



# مَجَلَّةُ مَجْمِعِ الْعُنْدَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَرْبَعِينِ



# مَحْكَمَةُ الْعِدْلِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَدْدِيَّةِ

---

السنة الثانية

العدد المزدوج ٥ - ٦

يناير - كانون الاول / ١٩٧٦ م.

جمادي الآخرة - ذو القعدة/١٣٩٩ هـ.



# المحتوى

## الصفحة

- ١ - كتب الانساب وتاريخ الجزيرة  
للدكتور عبد العزيز الدوري  
٥
  - ٢ - في سبيل تعریب التعليم الجامعي في العلوم الطبيعية  
للدكتور احمد سعيدان  
٢٠
  - ٣ - تعریب العلوم الانسانية  
للدكتور محمود ابرهيم  
٤٢
  - ٤ - اللغة والاسلوب في شعر عرار  
للدكتور محمود السمره  
٦٧
  - ٥ - قضايا تعریب الكيمياء ومشكله  
للدكتور عادل احمد جرار  
٧٥
  - ٦ - مع دیوان الادب ، لابي ابرهيم الفارابي  
للدكتور ابرهيم السامرائي  
٩٠
  - ٧ - تعریب ام اقتباس ؟  
للأستاذ عبد الحق فاضل  
١٠٦
  - ٨ - من مزالق الترجمة بين العربية والتاريسية  
للدكتور يوسف حسين بكار  
١٢٥
  - ٩ - دراسات في النظم والعقائد الاباضية  
للدكتور عوض خليفات  
١٤٤
  - ١٠ - الباحثون الإيطاليون ودراسة التاريخ العربي  
للمستعرب الإيطالي أومبرتو رينستانو  
١٦٧
- ترجمة : عيسى الناعوري

# مع الكتب

## الصفحة

- رأيات المبرزين وغایات المميزين ، لابن سعيد الاندلسي  
٢٠٨ مراجعة الدكتور رضوان الدياب

• • •

## مجمعيون راحلون

- ١ - الزيل المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس  
٢٢٤ لعيسى الناعوري
- ٢ - نقيد العربية الاستاذ عباس حسن  
٢٣٠ للدكتور عدنان الخطيب

• • •

## تعليقات ومناقشات

- ١ - « تين ايجرز » = « عشريون »  
٢٤٨ لعيسى الناعوري
- ٢ - اقتراح اسم عربي لمحصول الحبوب الجديد  
٢٥٠ للدكتور خيري الصقر

• • •

## أخبار مجتمعية

- ١ - نعي عالم جليل : الحاج عبد الكريم جرمانوس  
٢٥٤
- ٢ - المجمع العلمي الهندي  
٢٥٥
- ٣ - انتخاب أعضاء مراسلين في المجمع العلمي الهندي  
٢٥٥
- ٤ - المجمع العلمي العراقي  
٢٥٦
- ٥ - من أجل تعریف التعليم العلمي الجامعي  
٢٥٦
- ٦ - تعریف المصطلحات  
٢٥٧

# كُتُب الْأَنْسَاب وَتَارِيخُ الْجَزِيرَة

للدكتور عبد العزيز الدويري

( عضو شرف في مجمع اللغة العربية الأردني )

١ - لا يُراد هنا بيان أهمية النسب ودوره في الحياة العربية ، ونكتفي الاشارة الى انه كان بصوره المتعددة أساسياً في حياة القبائل قبل الاسلام ، وعاملها بعيد الالتر في الحياة العامة بعد الاسلام . واذا كانت ظروف الحياة في الbadية تؤثر في جسم الكيانات القبلية، بتحديدتها او بتوصيمها عن طريق المحالفات وتداخل الأنساب، فان الأنساب في العصر الاسلامي أثرت في تنظيم الديوان ، وفي التصوير ، وفي تنظيم المقاتلة ، كما اثرت ( وتأثرت بدورها ) بالظروف السياسية في الدولة الاسلامية، وبالصراع على السلطة . وخلال ذلك كلّه كانت العناية بالنسب كبيرة، والتاكيد عليه واضحاً .

ظهرت العناية بالأنساب، بروايتها وكتابتها، خلال القرن الاول للهجرة ، وتمثلت في مرحلتها الاولى بوجود نسابين في كل قبيلة ، وبوجود كتب لدى القبائل بانسابها واخبارها وأشعارها . وبشير المهداني الى وجود سجلات ( زبّر ) لدى عرب اليمن بانسابهم اطلع على بعضها ( الاكليل ج ١٠ ص ٧٠ - ١ وص ١١١ ) .

وظهر نسابون وتسعوا اهتمامهم الى اكثر من قبيلة، وبدأوا بجمع انساب القبائل في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة ، جنباً لاهتمام بنساب قريش خاصة ؟ كما ظهر بين النسابين من اهتمام باخبار القبائل مع انسابها، فأسمموا في الدراسات التاريخية . وفي طلبيعة مؤلاء محمد بن السائب الكلبي ( انظر

ابن النديم من ٩١ من اهتمام الوليد بن يزيد بالاتساب ؛ والاغانى  
و ١٩ من ٥٩ من اهتمام خالد التسري بما ) .

وليس تصلنا مؤلفات من الاتساب الا من القرن الثالث ،  
في مقدمتها جمهرة النسب، لمهاش بن السائب الكلبي ،  
ثم "نسب قريش" لصعب الزيري ( وقطعة من جمهرة نسب  
قريش واخبارها لابن أخيه الزبير بن بكار ٢٥٦هـ ) . وتبلغ  
الكتبة في اطار النسب او جهاً عند البلاذري ( ٨٩٢/٢٧٩ ) .  
ومستتناول الملاحظات التالية المؤلفات الثلاثة المذكورة :

٢ - وجمهرة النسب لابن الكلبي ( ٨١٩/٢٠٤ ) كتاب شامل في  
أنساب العرب ( اطلعنا على مخطوطين له : الاول مخطوط  
المتحف البريطاني ؛ فيه انساب عرب الشمال، ونسب الازاد  
وعنوانه جمهرة النسب ( ونرمز له بـ ق ١ ) ، والثاني مخطوط  
الاسكوريا ، وفيه نسب ربعة، ثم انساب القبائل اليمنية ؛  
وعنوانه : كتاب النسب الكبير ( ونرمز له بـ ق ٢ ) .

ويبدو ان "جمهرة النسب" جاء برواية محمد بن حبيب  
( انظر ق ١ ص ٢ ب ، ١١٩ ، ١١٩٤ ) ، في حين ان كتاب  
النسب الكبير جاء عن ابن الكلبي مباشرة . كما يبدو ان  
ترتيب القبائل لا يخلو من اختلاف بين المخطوطين ؛ ففي حين  
ترد الازاد اول القبائل اليمنية في جمهرة النسب ، بينما كتاب  
النسب الكبير يكتنده ( ق ٢ ص ٨٧ ) ويتناول مجموعة من القبائل  
قبل ان يتناول الازاد ( ق ٢ من ٢٥١ ) . وهذا يتطلب دراسة  
مقارنة لتكوين فكرة عن اثر الرواية في تناقل الكتاب .

ويرد في آخر النسب الكبير : « آخر كتاب نسب معد  
واليمين الكبير » تأليف محمد بن السائب الكلبي » ( ق ٢ من ٥٢٨ ) .  
وهذا ينافي ما جاء في مطلع الكتاب وفي تناوله ؛ وهو غير  
دقيق بالنسبة لكتابنا ، ولكنه له دلالته . نهل وضع الكلبي  
كتبا في الاتساب ؟

لقد درس الكلبي ( ١٤٦/٧٦٣ ) انساب العرب وحوال جمع

الروايات القبلية من نُسَاب القبائل ، ومن افضل نُسَابه في كل قبيلة ، كما امساد ؛ ورجع الى شعر النقائض، خاصة نقائض الفرزدق . وقد اشار ابنه هشام من دراساته واتهاماً في وضع كتابه ( الدوري ) - بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، من ٤٠ - ١١ . ولكن لم ترد اشارة الى كتاب له . الا ان الاشارات في ثنايا الكتاب تشير بأنه وضع كتاباً ؟ فقد جاء : « وفي كتاب الكلبي » ( ق ١ من ٧٤٩ ) و « عن كتاب محمد بن حبيب عن الكلبي » ( ق ١١١٨ / ١ ) ، و « هذا ليس من كتاب الكلبي » ( ق ١٦٥ ب ) ، و « وقتل ابو جعفر : هذا من غير كتاب الكلبي » ( ق ١٦٤ ب ) ، و « عَادَ الى كِتَابِ الْكَلْبِيِّ » ( ق ١٦٥ ب ، ١٧١ ) و « رجع الى حديث الكلبي » ( ق ٢/١٤٢ ، ١٤٤ ) . هذا اضافة الى اشارات مثل « قال الكلبي » ( ق ٤٨/١ ب ) التي قد شير الى الاخذ من كتاب او شفاهًا .

وهكذا يتبين ان محمد بن السائب الكلبي وضع كتاباً في النسب ( ويبدو ان عنوانه : نسب معدّ واليin الكبير ) ، وان ابنه هشام روى هذا الكتاب كما يبدو من مطلع المجرة ( ق ٢/٦٠ ب ) . ومن ثنايا الكتاب ( ق ١/٦٠ ) : « نسب ولد طباخة بن مضر بن نزار بن معدّ عن الكلبي » ، وفي ق ٢/٨٥ : « وابنه هشام بن محمد بن السائب الرواـي عن أبيه » .

واضاف ابن الكلبي دراساته وبحوثه، كما يتضح من بعض الاشارات . مثلاً : « قال ابن الكلبي : حدثنا خراش قال : سمعت اشياخاً لبكر بن وايل يقولون » ( ق ١١٩٤ / ١ ) ، و « قال هشام بن الكلبي قال خراش : كانوا .. » ، ( ق ١٧٢ / ١ ) و « قال هشام بن محمد الكلبي، حدثنا ابو خباب الكلبي عن يحيى بن عروة بن هانيء المرادي .. » ( ق ٢/٨٥ - ٦ ) . وعند الحديث عن ام « عايز بن ثعلبة » يرد « وأمه اسماء» وهي الجذماء بنت جل بن عدي بن عبد مناة .. وكان شرقي بن العطامي يقول: هي الجذماء بنت علبة .. بن عميرة بن اسد . قال هشام ا

وهذا من قوله باطل لا يعرف ، والقول هو الاول « (ق ١١٩٥/١) ».  
 ويرد ذكر بعض من اخذ عنهم ابن الكلبي ، فعند الاشارة الى  
 لقيط الرواية يقول ابن حبيب : « وكان صدota .. وقد لقي  
 هشام ابن الكلبي لقيطا » (ق ١٦٢/١ ب ) ، وعند ذكر العلاء  
 بن المنهال (من غني بن اعصر ) يرد : « كان شريفاً لقبه ابن الكلبي  
 وكان يحدث عنه » (ق ١٨٩/١) . وفي ذكر ميك المرادي يرد :  
 « قال هشام بن محمد بن الكلبي، حدثنا أبو خباب الكلبي .. الخ »  
 (ق ٦/٢) . ويشار الى بعض من لقائهم ابن الكلبي مثل عرفاء بن  
 مصاد بن شريح ، وقد لقيه هشام بن الكلبي في زمان ابى جعفر  
 وهو ابن تسعين سنة ، وكان بدويًا » (ق ١٢٠٤/١) ، وانظر  
 ق ١٧٨/١ عن الشاعر ابى الشعب ) .

وقد ترد اشارات الى انساب لم يذكرها الكلبي ، مثل  
 « ولد قيس بن ثعلبة بن عكابة ضبيعة وتيم .. ولم يذكر  
 الكلبي ولد تيم » (ق ١٢١٥/١) ؛ و « هؤلاء بنو الهجيم بن  
 عمرو بن تيم » ، وليس هذا عن الكلبي » (ق ١٩٣/١) . او  
 ترد تعديلات ؛ ففي الحديث عن بعض الأوس يذكر : « عبد  
 الرحمن بن ابى ليلى .. كان مولى الاتصار، مدخل نبئهم ابن  
 احية، في قول الكلبي ؛ وأما ولده فقالوا اسمه داود بن بلال  
 بن احية » (ق ١٥٩/١) .

ويبدو ان محمد بن حبيب قام ببعض التدقيق او الاضافة  
 في روايته ونشره لجمهرة النسب ، كما يتبين من بعض  
 الملاحظات مثل « قال أبو جعفر : هذا من غير كتاب الكلبي ،  
 كتبته من بعض ولد عطارد » (ق ١٦٤/١) ، ومثل « وكان في  
 اصل كتاب الكلبي خلف بن معشر ، ولم يكن فيه بدر وعنة ،  
 وبدر من كتاب ابن الاعرابي (٢٣١/٨٤٦) » (ق ٤٧/١ ب ) .  
 وتتكرر الاشارات لأخذة من كتاب ابن الاعرابي ؛ « وفي كتاب  
 ابن الاعرابي محظى ابن حنابة مكان ليث » (ق ١٩٠/١) ، وانظر

٤٩ ب ، ٤٨ ب ، ٤٧ ب ) ، ومثل قوله « وهو ابو عبد الله بن عنترة .  
قال ابن الاعرابي قتمة ، وقتل الكلبي قتمة » ( ق ١ / ١١٣ ب ) .

وينسب الكلبيان الى التشيع ؛ ولا نجد في الكتاب ما يشعر بذلك الا في ملاحظات قليلة عرضية ( انظر ق ١ / ١٧٠ ، ١٦٧ ، ١٨٠ ، ١٠٧ ، ١٨٠ ب وخاصة ١٢٥٦ ) وفي الاهتمام بذكر من قتل مع علي ، والحسين ، وفي حركة المختار . ولكن الكتابة تتسم بالدقة والموضوعية بصورة عامة .

٢ - ولجمهرة النسب اهمية كبيرة في ذكر الشخصيات العربية من الجاهلية الثانية الى أيام الملوك ( ق ١ / ٢٠٣ ب - ٢٠٤ ) ، مع تعليق موجز او اشارة مرئية تبين دور من ظهر في الحقول المختلفة - من كان شريفا او سيدا في قومه ، ومن برع في يوم من أيام العرب ، ومن كان فارسا ، ومن وفدت على النبي ( ص ) او صحبه ، ومن استشهد في مغازي الرسول ( ص ) ، خاصة بدر واحد ، ومن استشهد في الردة ؛ كما ذكر بعض من قتل في أيام العرب الكبرى في الاسلام ، كالقادسية واليرموك والجمل وصفين .

ويعنى المؤلف بصورة خاصة بالاشارة الى من تولى مناصب مسؤولة من امراء وعمال ، وقادة ، واصحاب شرط ، وقضاء . وهو حريص على ذكر الشعراء في القبائل . وبالاضافة فهو ينسّه بمن تميز في مجالات اخرى مثل الخوارج ، ونبياء الدعوة العباسية ؛ وبمن تميز في حقول الثقافة ، كالفترة والنحو والانساب . وهو ينفرد بهذا ببعض الملاحظات او المعلومات التي لا تُرد عند غيره .

ولعل امثلة من الاشارات والملاحظات التي يوردها توضح طبيعة اخباره . فمن اخبار الجاهلية - امثلة : « منهم سعد بن

خسلان بن ظالم، كلن سيد بنى سعد في زمانه .. وكان جاهيلياً «  
(ق ١٨٤ - ب) . هوذة ابن على بن تمامة (من بنى سحيم)  
وكان يجيز البرد لكرسي حتى تبلغ نجران ، فاعطاه كسرى قلنسية  
تيمتها (٣٠,٠٠٠ درهم ) (ق ٢٥/٢) . « و منهم (الازد)  
المسؤول بن حيما بن عاديا بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كلب ؛  
كان من أوفي العرب» وهو صاحب تيماء، وولده بها الى اليوم «  
(ق ١٢٤٨/١) . « وحرثة بن عمرو (شيبان) وهو ذو الجناح ؛  
كان على بن بكر بن وائل يوم اوارة ، يوم قاتلت بكر بن وائل  
المذر بن ماء السماء (ق ١٩٦/١) .

ومن الفترات الاسلامية - أمثلة : « أبو رحم؛ وهو كلثوم  
بن الحسين بن عتبة بن خلف .. استخلفه رسول الله في  
غزوة حنين وفي حجة الوداع على المدينة » (ق ٤٩/١) .

« وشرحبيل بن السمط بن الاسود .. شهد القادسية ؛  
جاهيلي اسلامي ، وولي حمص؛ وهو الذي قسمها منازل حين  
افتتحها » (ق ٩١/٢) . « فمن بنى سعد بن مرة (ذهل) المثنى  
بن حارثة ... صاحب يوم النخيلة الذي قتل مهران » (ق ١٢٠٠/١) .

« فمن بنى بهلة عوف بن حصين؛ وهو الزبرقان بن بدر ..  
الذي أدى الصدقة الى أبي بكر في الرّدة » (ق ١٨٩/١) .

« ان سليمان بن كندير وله عثمان نجران (من قشير بن كعب) »  
(ق ١١٣٦/١) « منهم (مازن بن منصور) عتبة بن غزوan ..  
الذى فتح البصرة، وكانت يومئذ البصرة (كذا) ، وهو الذى  
بصر البصرة » (ق ١٥٧/١) .

« ومن بنى عمرو بن امرىء القيس .. عامر بن النعمان بن  
عامر الشرقي؛ وهو الوليد بن الطمامي .. النسابة ؛ كان في  
صحابة المنصور والمهدى » (ق ٤٣٧/٢) وانظر (ق ١٦٣/١) .

« لقيط الرواية وكأن صدوقا » . « منهم سعيد بن الحنف بن عماره .. وكان نقيها بالكونة » ( ق ١ ٨٣ / ١ ) . انتظر ق ٢ / ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ق ١ ١٠٨ / ١ ب ) .

« علي بن ظبيان بن هلال بن قتادة ( غطفان ) قاضي القضاة لهرون الرشيد على الشربة ، وكأن ولأه الخاتم مع محمد بن هرون ، وولأه قضاة القضاة » ( ق ١ ١٧٠ / ١ ) .

« عبد الله بن الطيبلي بن ثور ، شهد مع علي مشاهده .. وهو جد البكائي صاحب المغاري » ( ق ١ ٤٢ / ١ ب ) .

« لاهز بن قريظ التقيب بن سرى الكاهن ؛ قتله أبو مسلم لقوله لنصر بن سيار : ان الملا يأترون بك » ( ق ١ ٨٥ / ١ ب ) . وانظر ١ ٨٦ عن القاسم بن مجاشع التقيب ، و ٨٥ ب . عن موسى بن كعب ( التقيب ) .

« أبو بلال مرداس، وأخوه عمرو، أبناء مدبر بن عمرو .. وأمهما أدية، وهما الخارجيان » ( ق ١ ٧٦ ب وانظر ق ٢ ٣٤ / ٢ ) . « راسب بطون منهم عبد الله بن وهب الخارجي، قُتيل يوم النهر » . اشارات أخرى ( ق ١ ١٩٨ / ١ ب ، ١٩٩ ب ، ٢٣٠ ب ، ٧٧٨ ب - ١٨٠ ) .  
« من ولده ( مخنف بن سليم الأزدي ) أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن عنف الرواية » ( ق ٢ ٢٤ / ٢ ) .

« شرحبيل بن معدى كرب .. وفند الى النبي ( ص ) وكان في النسين وخمسة ( من العطاء ) » ( ق ٢ ٩٠ / ٢ وانظر ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٨٣ / ١ ) عن حجر بن عدي « وكأن في ٢٥٠٠ ) .

ويشير الى الشعراء ( انتظر ق ١ ٢٠٨ / ١ - ب ، ١ ٢١١ ، ١ ٢١١ - ب ) ، ويورد مقتطفات من شعرهم ( انتظر ق ١ ١٣٨ / ١ ، ١ ١٥٣ ، ١ ١٥٣ ) هي في العادة بين بيت وثلاثة أبيات، وقد تصل الى خمسة او ستة أبيات .

ويشير ابن الكلبي الى عدد كبير من ايام العرب في معرض حديثه عن شريف او فارس ؟ مثل قوله : « فمن بنى عمرو بن ربيعة هانئ بن مسعود .. كان على بكر بن وائل يوم ذي قار » (ق ١٩٧/١) . و « منهم عبّاد بن مسعود بن عامر» الذي هاج القتال بين تميم وبكر بن وائل يوم اللصاف » (ق ١٩٦/١ - ب). و « ومن بنى عتبة بن سعد .. صاحب مقدمة كلب يوم خرار » (ق ٢٢٨/١) . او ترد الاشارة بمناسبة قتل شريف» مثل « ويزيد (غطفان) قاتل كهف الظلسم الفساني يوم جبل نيد » (ق ١٧٢/١ ب) ، او لحادث ذي صلة مثل « ضبيعة بن الحارث بن خلف .. الذي يقول له عامر بن الطفيلي وطعنه يوم النتاء .. » (ق ١٨٦/١) .

ومن الايام التي يشير اليها يوم اوراة (ق ١٩٦ ب) ويوم الجلة (ق ١١٨٨/١ - ب) ويوم جبلة (ق ١٧٨/١ ب - ١٢١) ويوم الذناب (ق ٢٢٦ ب ) ، ويوم الكلاب (ق ١٣٠ ب ، ٢٢٧ ب ، ق ١٨١/٢ ) ، ويوم قصبة (ق ٢٠٧/١ ب )، ويوم اللصاف (ق ١٩٧/١ - ب) ، ويوم التحالف (ق ١٩٦/١)، ويوم النجير (ق ١٠٤/٢ ) ، ويوم الاجfer (ق ٢/١٥٥) ويوم صفاق (ق ٢/١٨٥ ) ، ويوم نيف الربيع (ق ٢/١٨٨ ) ، ويوم الاخرين (ق ٢/١٩٠ ) ، ويوم الزرم (ق ٢/١٩٠ ) ، ويوم بعاث (ق ٢/٢٦١ ) ، ويوم عين التمر (ق ٢/٦٢ ) ، ويوم النار (ق ٢/١٦٢ ) ، ويوم الكلاب الثاني (ق ١/١٩٨ ) ، ويوم الغريتين (ق ١/١٢٤ ) ، ويوم الحاجر (ق ١/١٣٣ ) ويوم الرقم (ق ١/١٢٢ ب ) ، ويوم التحيل (ق ١/٢٣٠ ب ) ، ويوم المذبار (ق ١/١٣١ ) ويوم ذي علق (ق ١/١٢٢ ب - ١١٢٣) .

ويتناول الكثير من شؤون القبائل ، فيورد ملاحظات من دخول جماعات من قبيلة في نسب قبيلة اخرى ، وبذلك يعدل من النظرة بان النسب كله لا ينبع واحد ، سواء اكان هذا الدخول

لأسباب قبلية أو معاشرية أو سياسية . معنـد الحديث من نسب اياد بن نزار يقول، « وولد زهير بن اياد حذقة والشلل دخل في تنوخ ، وعبد الله دخل في بني تميم ، وعمرا دخل في بني الصم » (ق ٤٤٢ ب ) . وينذكر عن ولد ربيعة بن نزار : « واكلب دخل في خشم ، وهـم رهـط طـلـش بن حـراك الشـاعـر ، .. وعـابـسـة وهـم بـالـيـمـن » . ثم يقول « واماـضـنـة فـانـهـمـ دـخـلـواـ فيـ بـنـيـ عـذـيرـةـ بنـ سـعـدـ بنـ هـزـيمـ بنـ قـضـاعـةـ » (ق ٥٢ ) . وعـنـدـ الـحـدـيـثـ عنـ فـازـارـةـ بنـ ذـيـبـانـ يقولـ ، « وـمـنـهـمـ بـيـهـسـ وـاخـوـتـهـ التـسـعـةـ .. لـحقـواـ بـطـنـ مـذـحـجـ .. وـهـمـ الـيـوـمـ يـنـسـبـونـ فيـ عـنـسـ بـنـ مـالـكـ بـنـ مـذـحـجـ » (ق ١٧٦/١ ) . وعـنـدـ الـحـدـيـثـ عنـ جـذـامـ يـقـولـ : « مـولـدـ اـسـلـمـ بـنـ مـالـكـ عـنـبـ ، وـهـمـ الـيـوـمـ فيـ بـنـيـ شـيـبـانـ » (ق ١٢٢/٢ ) . وعـنـ ذـكـرـ سـعـدـ الـعـشـيرـةـ يـقـولـ : « وـولـدـ زـيدـ اللـهـ اـبـنـ سـعـدـ الـعـشـيرـةـ عـامـرـ وـاـشـرـسـ وـالـدـيـلـ وـعـوـفـ ، دـخـلـ اـشـرـسـ وـالـدـيـلـ وـعـوـفـ فيـ بـنـيـ تـغـلـبـ ، وـاقـاتـلـ عـامـرـ بـنـ زـيدـ اللـهـ عـلـىـ قـبـائـلـ الـاـزـدـ يـقـولـ : « غـولـدـ بـكـرـ بـنـ يـشـكـرـ عـامـرـ .. وـسـعـدـ وـعـوـفـ وـالـحـارـثـ .. دـخـلـواـ فيـ بـنـيـ زـيـدـ » (ق ٣٣٧/٢ وـاـنـظـرـ قـ ١٨٢/١ ) . وـاـنـظـرـ الـحـدـيـثـ عنـ قـبـيـسـ عـيـلـانـ قـ ١١٩ـ بـ ، وـعـنـ دـخـولـ بـنـيـ عـمـروـ بـنـ جـنـحـودـ مـنـ حـضـرـمـوتـ فيـ تمـيمـ . اـنـظـرـ قـ ١٨٨/١ ، وـاـنـظـرـ قـ ٨٧ـ بـ ) .

واـذاـ كـانـتـ هـذـهـ مـلـوـمـاتـ تـكـشـفـ عـنـ بـعـضـ التـدـاخـلـ فيـ النـسـبـ لـاسـبـابـ سـيـاسـيـةـ اوـ اـجـتمـاعـيـةـ، فـانـهـ تـؤـكـدـ الـاهـتـامـ بـالـنـسـبـ وـرـصـدـهـ بـتـدـقـيقـ الـمـلـوـمـاتـ عـنـ الـاـنـسـابـ .

وـيـذـكـرـ اـبـنـ الـكـلـبـيـ مـلـوـمـاتـ اـجـتمـاعـيـةـ عـنـ اـسـمـاءـ القـبـائـلـ وـعـادـاتـهاـ وـتـقـالـيدـهاـ ، وـبعـضـهاـ لـهـ اـهـمـيـةـ خـاصـةـ . فـيـ اـسـمـاءـ القـبـائـلـ يـذـكـرـ مـثـلاـ سـبـبـ تـسـمـيـةـ اـعـصـرـ ( بـنـ سـعـدـ بـنـ قـبـيـسـ عـيـلـانـ قـ ١٦٥ـ بـ ) ، وـيـوـضـعـ ظـرـوفـ تـسـمـيـةـ اـبـنـاءـ تمـيمـ ( زـيدـ ، مـنـاةـ ) ،

عمرو ، الحارث ( ق ١٩٥ / ١ ) ، وسبب تسمية الريطب بهذا الاسم  
وما يشمله ( ق ٩٦ / ١ ب - ١٩٧ ) .

وهو يذكر معلوماته أحياناً ، ففي قصة حوار مع نبيي من  
فخذل بنى عبد الله بن دارم ، يرجع نسب الاسرة في تدرج متسلسل  
مع وصف كل خطوة حتى ينتهي إلى مضر ( ق ١٩٥ / ١ ب - ٩٦ ) .

ويشير إلى بعض الأعراف القبلية ، فيتحدث عن نوع من  
القسم ؛ قال خراث : « كانوا يحلون بالملح والرماد والنار »  
وبذات الودع ، يربدون سفينة نوح » ( ق ١٧٢ / ١ ) . وعنده  
ذكر مقتل زيد بن بكر بن هوازن على يد أخيه معاوية يضيف :  
« نوداه عامر بن الظرب ١٠٠ من الإبل ، وإنما جعلها مئة لعظم  
الإبل عندهم ليتناهوا عن الدمار ، فهي أول دية كانت في العرب  
مئة من الإبل حكم عامر بن الظرب حكمًا جاريًا » ( ق ١١٢ / ١ ) .  
وعند ذكر عمرو بن حارثة بن ربيعة ( من خزاعة ) يقول :  
« هو الذي بحر البحيرة » و « سبب السائبة » و « ووصل الوصيلة » و « حمى  
الحامى » و « غير دين اسماعيل » ، و « دعا العرب إلى عبادة الاوثان » ،  
« وكان صاحب الكعبة » ( ق ١٩٥ / ٢ ) . وعنده الحديث  
عن حجر بن يزيد بن معدى كرب بن سلمة ( من بنى سلمة بن  
الحارث ) يسميه « صاحب مرباع بنى هند » ، ويضيف ، « والرابع  
أن يأخذ الرابع من الفنية ، وعليه طعام الجيش لأنّه الرابع »  
( ق ١٠٦ / ٢ ) .

ويورد ابن الكلبي معلومات طريفة ، فيتناول مثلاً المفتربات  
من بنى هاشم ، أو اللواتي تزوجن في قبائل أخرى ، مثل الانصار  
وخزاعة وعامر بن صعصعة وأل معدى كرب ، من حمير والقين  
وسليم ولخم وزيارة ؟ وهو استطراد بين سعة الروابط  
القبلية لترشيش ، ويؤكد ما قيل في السقينة من أن ترشيشاً أو سط  
العرب أنساباً ( ق ١١٥ / ١ ب وما بعدها ) . وينظر أن تقبلاً

( من ولد منبه بن بكر بن هوزان ) وهو ثقيف كان « أول من جمع بين اختين من العرب » ( ق ١٥٣/٢ ) .

ويتضم ملاحظة عن بدايات الخط العربي في الجزيرة، في معرض حديثه عن بشر بن عبد الملك، أخ اكيدر ( في دومة من كلب ) اذ يقول، « وهو الذي علمه أهل الانبار خطأ ، هذا الذي يسمى الجزم، وهو كتاب العربية ؛ وكان أول من كتبه قوم من طي بيته، فتعلمه أهل الانبار ، فعلم أهل الانبار أهل الحيرة ». وكان بشر بن عبد الملك يأتي الحيرة بحال النصرانية فيتقيم بما الدهر، فتعلمه بشر بن عبد الملك، ثم شخص الى مكة في تجارة فتعلم ابا سفيان بن حرب بن أمية – وابا قيس بن عبد مناف بن زهرة، وتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية ، ثم اتى الطائف فتعلم غيلان بن سلامة الثقفي ، ثم اتى بادية مصر فتعلم عروة بن زراة الكاتب، ثم اتى الشام فعلمهم « ( ق ١٢٦/٢ ) .

ويورد ابن الكلبي احيانا معلومات عن مواطن القبائل ؟ فعند ذكر بني أسود بن مالك ( بطن من بني مالك بن شعبة ) يقول انهم « أصحاب التخل باليمامة الذي يصرم في السنة مرتين ، دعا لهم النبي ( ص ) » ( ق ١٢٥/١ ) . كما يورد اشارات الى انتقال القبائل الى الامصار ؛ فعند الحديث عن عشرات الاخذ يقول، « وأآل معيوف بدمشق بالغوطة في قرية يقال لها عين حرما » ( ق ٢٤٢/٢ ) . ومكتنته معرفته بالكونفنة من تعداد الكثير من العشائر والبطون التي اقامت بها ولها مسجد ، وقائمته مهمة وغنية . ومن هذه : ذهل بن معاوية ( من كندة ) لهم مسجد ( ق ٨٨/٢ ) ، وامرؤ القيس بن الحارث ( بطن من كندة ) ( ق ٨٩/٢ ) ، ومالك بن الحارث ، والطیح بن الحارث ( ق ٨٩/٢ ) وامرؤ القيس بن معاوية بن عدي ( بطن ن . ص ) ، ومالك بن ربیعة ( بطن ) ( ن . ص ) ومالك بن ربیعة ( بطن ) ( ق ٨٩/٢ – ٩٠ ) ، وجبلة بن عدي بن ربیعة ( بطن ) والحارث بن

عدي ( ق ٩٠ / ٢ ) ، ومرة بن حجر بن عدي بن ربيعة ( بطن ) ( ق ٩٢ / ٢ كندة ) ، وعمرو بن ربيعة من ولد وهب بن ربيعة بن معاوية ( بطن ) ، وأبو الخير وهب ( بطن ) ( ق ٨٥ / ٢ كندة ) ، والرقم بطن من ولد نعمان بن عمرو ( ق ٦٦ / ٢ كندة ) ، وشجرة ( بطن ) من ولد معاوية بن ربيعة بن وهب ( ق ٩٨ / ٢ ) . ومن البطون الأخرى التي لها مساجد، مسلمة وهو الحر ( بطن ) من ولد عمر بن أبي كرب ( ق ١٠٣ / ٢ ) ، وبمذلة ( بطن ) من ولد المثل بن معاوية ( ق ١٠٣ / ٢ ) . وفي الحديث عن النخع بن عمرو يشير إلى بطني جذيبة وحارثة ولكل مسجداً بالكونفة ( ق ١٩٤ / ٢ ) . ويذكربني مسلمة ( بطن ) منبني الحارث بن كعب ولهم مسجد ( ق ٩٢ / ٢ ) . ويذكر من بجيالة قيس وأوس وعود لهم بالكونفة مسجد، وعدادهم في قيس ( ق ٢٤٦ / ٢ ) . ويتحدث عن ولد معاوية بن ثعلبة فيذكر زبان « بطن بالجزيرة » ويضيف « وبالكونفة أهل بيت وملك وهو تراغم بطن» وبرغم بطن لهم بالكونفة مسجد « ( ق ١٢٨ / ٢ - ٦ ) . وهذا يعطي صورة عن بطون اليهانية بالكونفة .

ويتحدث عن اتجاه قبائل سبا في خروجها، ويضع خبره في اطار حديث ينسب للرسول ، فيذكر أن سبا ولد عشرة، متشاماً أربعة موتاً، ستة ؟ فالذين تشايناً: غسان ولخم وجذام وعاملة ، والذين تبايناً: حمير والازد ومذحج وكندة والأشعر وانمار ، الذين منهم بجيالة وخشم ( ق ٨٥ / ٢ - ٦ ، وانتظر ق ٩٧ / ٢ ، ٩٨ ، ٩٩ ) . وبذلك يعطي صورة لا تخلو من دقة عن حركة اليهانية .

وختاماً يمكن القول أن ابن الكلبي يعطي تعليقات مربعة مع الأسماء ، ويورد أحياناً ملاحظات أوفى ؟ وهي في مجموعها تعطي فكرة شاملة عن القبائل ورجالها البارزين في الحصول على المختلفة .

هذه الملاحظات واسعة نسبياً لاعطاء فكرة شاملة عن دراسات الكلبين ، التي تناولت عرب الشمال وعرب الجنوب، ولأن الكتاب لم ينشر ، ولا بد من التوسيع بجهود كاسكل ، فسيتحويل الكتاب إلى جداول ، وفي مقدمته المهمة .

(W. Caskel - Gamharat An-Nasab ... Des Hisham Ibn Muhammad al-Kalbi, 2 vols. Leiden 1966).

٤ - ومن الاوائل في دراسة الانساب مصعب الزبيري (٢٢٢ - ٨٤٧/٦ ) وهو من آل عبد الله بن الزبير ، وكان عالماً بالانساب . ولم يصلنا من كتابيه « النسب الكبير » « ونسب قريش » الا الثاني . وتدل استشهادات المؤرخين كالطبرى والبلذرى وأبى الفرج الاصفهانى على أهمية هذا الكتاب ؛ وهو افضل ما وصل اليانا من نسب قريش .

وتشرى خطة الكتاب بوجود اطار مستقر للنسب، اتبعه معاصرة ابن الكلبى ومن جاء بعده . ويبعدوا أن مصادره واسعة ؛ فقد افتتح كتابه بالأخذ من الزهرى ، « قال محمد بن شهاب الزهرى » ( ص ٢ ) . وأخذ من مؤلفات تاريخية مثل قوله: « قال الواقدى . . . في بعض اسناده » ( ص ٢١٩ ) ، او « ذكر موسى بن عقبة عن أبى حبيبة » ( ص ١٠٣ ) . ورجع إلى اهل النسب كما يبدو من قوله « واجمع أهل النسب لاختلاف بينهم » ، او « قال بعضهم » ( ص ٤ ) . وأفاد كثيراً من روايات في النسب والاخبار ، شفوية ومكتوبة كقوله « سمعت أبى ، عبد الله بن مصعب ، يقول » ( ص ٢٩٦ ) و « حدثني حماد ابن عضيل بن فضالة بن رواد الليثى ، وكان حماد قد بلغ مئة سنة وستين ( ص ٢٤١ مثيرة إلى ليؤكد اتصال الخبر ) ؛ وقوله « وأخبرنى بهذا الحديث مصعب بن عثمان بن نوفل بن عمارة » ( ص ٣٢٩ ) ، و « حدثني عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير وغيره » ( ١٠٦ ) ، و « أخبرنا سليمان بن

عيّاش السعدي قال « (ص ٢٢٩) . واخذ عن أبي الزناد ، مثل « قاتل أبو الزناد » و « ذكر أبو الزناد » (ص ١٠٣ ، ١٠٤) .

وقد يأخذ مصعب دون ذكر المصدر صراحة ، مثل قوله ، « وحدثني بعض من يعلم » (ص ٢١٤) و « وأخبرت عن هشام ابن يوسف الصنعاني عن معمر » (ص ٢٣٩) ، و « أخبرني من قرأ في دينياج كسوة الكعبة » (ص ٢٣٩) و « وذكر أن أبا موسى الأشعري ذكر » (ص ١٠٢) . ويأخذ عن جماعة كقوله ، « قالوا » (ص ٨١) على طريقة الاستناد الجماعي . وكل ذلك يدلّ على جمده الواسع في دراساته وفي جمع أخباره . ومع ذلك لا ينتظر من مصعب الزبيري أن يتبع في ذكر المصادر ، مع وجود دراسات قبله ، مثل دراسات الزهرى وأبى اليقظان ، ومع وجود نسبتين ، بالإضافة إلى ديوان الجند .

ولا بد من ملاحظة أولية هي أن مصعب الزبيري أغنى كتابه بمجموعة طيبة من الأخبار والشعر ، فتجاوز خطة الملاحظات المركزية التي أخذ بها ابن الكلبي .

٥ - يعطي المؤلف معلومات مهمة عن التحولات في الانساب ، بذكر النسب الصحيح وما اتجهت إليه بعض القبائل ؛ ولعل التمثيل مفيد هنا ؛ فنذكر أن عك (الحارث) من ولد عدنان بن أذ ، ويضيف « وكل من بالشرق من عك ينتسبون إلى الإزد .. وسائر عك في البلاد وفي اليمن ينتسبون إلى عدنان بن أذ » (ص ٥) .

ويبيّن أن من ولد معدّ بن عدنان قضاعة (ونزار) ويضيف : « وقد انتسبت قضاعة إلى حمير ، فقلوا : قضاعة بن مالك بن حمير بن سبا .. وزوروا في ذلك شمرا » . ويستطرد إلى تأكيد ذلك بقوله : « وأشعار قضاعة في الجاهلية وبعد الجاهلية تدلّ على أن نسبتهم في معدّ » (ص ٥) . وبورد ملاحظة عامة

من ربعة وضر ويقول : « وكان يقال ربعة وضر المريحان من ولد اسماعيل » ندخل من كان منهم بالعراق في النخع، ومن كان منهم بالشام على نسبهم في نزار » ( ص ٦ ) . ويدرك أن بجيلاً من انمار بن نزار، وأنهم « انتسبوا الى اليمين » إلا من كان منهم بالشام والمغرب فانهم على نسبهم الى انمار بن نزار » ( ص ٧ ) . وعند ذكر خزيمة بن يشكير يقول « وقد انتسبوا في الاخذ ، ومنهم خثعم » وهو اقبل بن انمار بن نزار .. وهم بالسراة على نسبهم الى انمار بن نزار ؛ واذا كانت بين اليمين فيما هنالك وبين حضرموت ، كانت خثعم مع اليمين على ضر » ( ص ٧ ) . ويبين من هذه الاشارات انتساب قبائل من عدنان الى اليمين ، مما يُشير بحركها جنوباً قبل الاسلام ؛ فالاشارات اليها في الفتوح وبعدها تعتبرها يمانية . وقد كان مالونا في اليمين دخول عشرات او مجموعات في انساب غيرها، لضرورات زراعية او سياسية .

ولعل اهم ما في نسب قريش انه يجمع بين الانتساب والاخبار التاريخية والادبية ؛ فهو يورد معلومات واخباراً عن الشخصيات التي يذكرها من العصر الجاهلي الى زمن الرشيد ، واحياناً المؤمن ( ص ٢٢٨ ، ٢٧٢ ) ، اي الى عصره .

واخباره احياناً وافية ومهمة ؛ وقد يتسع فيها الى ما يقرب من ترجمة شاملة ، مثل اخباره عن ابن عباس ( ص ٢٦ - ٧ ) ، وعن عبد الله بن جدعان ( ص ٢٩١ - ٢٩٢ ) ، وعن الحكم بن المطلب ( ص ٣٢٩ - ٣٤١ ) ، وعن خالد بن الوليد ( ص ٣٢٠ - ٣٢١ ) ، وعن عبد الله بن عامر ( ص ١٠٧ - ١١ ) .

ويأتي احياناً بملحوظات طويلة هامة عن بعض الشخصيات ( مثل ابن الزبير ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ) وانظر ( ٢١٨ ) بقصد اشتراكهما في احداث هامة ؛ وهي اقرب الى روایات كتب الادب ، ولكنها

على سمعها لا ترقى الى ترجمة (مثلاً حركة زيد بن علي من ٦٠ - ١ ) . وقد يكتفى المؤلف بمجرد اشارة موجزة او طويلة الى حدث ( انظر من ٢٢٠ - ١ ، من ٢٤٦ ، من ٢٢٢ ) .

ومعه يلتقي في أخباره الى جانب المروءة، فيهم بصفات الشجاعة وبالاستشهاد وبالكرم ( انظر مثلاً من ٣٣٨ وما بعدها ، من ١٢٧ ، من ١٤٧ - ٩ ) . ويتحدث من أخبار بعض التضيّة ( مثلاً من ١٢٨ ، من ٢٣٤ ، من ٢٧٢ ) ؛ ويشيد باستقامة البعض وصلابتهم عند عرض أخبارهم ( مثلاً محمد بن عمران أيام المصور من ٢٨٤ - ٥ ) .

ويعطي الزبيدي معلومات اجتماعية مهمة تتصل بالمساهمات وبالعلاقات الاجتماعية ؛ ويشعر باهمية المرأة ودورها ( انظر مثلاً من ٣١٢ - ٣١٤ ) ، كما يعطي أخباراً وافية عن بعض السيدات ؛ ولهذا دالته ( مثلاً صفية بنت عبد المطلب من ٢٣٠ ، وأمية بنت عبد بن بجاد من ٢٢٢ - ٣ ) .

وينميّز الزبيدي ، اضافة الى امانته ، بأنه يعطي أحياناً أخباراً لها أهمية خاصة ، وقد ينفرد ببعضها ؟ ففي الاشارة الى وجز بن غالب يذكر انه « أول من عبد الشعرى » ، وانه كان سيداً في خزانة؛ ويضيف « ووجز هو أبو كبشة، الذي كانت قريش تنسب رسول الله (ص) اليه ؛ والعرب تظن أن أحدهما لا يعمل شيئاً إلا يُعرّق ينزعه شبهه ؛ فلما خالف رسول الله (ص) دين قريش قالت قريش، نزعه أبو كبشة ، لأن أبو كبشة خالف الناس في عبادة الشعرى .. » ( من ٢٥١ - ٢ ) .

ولعله أدق من يكشف النظرة الداخلية لروان للسفويتين في فترة معاوية، وذلك من خلال نجواه في المدينة مع عمرو بن عثمان بن عفان ، اذ قال له: « ما أخذ هؤلاء - يعني بنى حرب بن أمية -

الخلافة الا باسم أبيك فما ينفك ان تنهض بحقك ، فنحن اكتر  
منهم رجالاً . . . » ، وعند رجالهم ثم اضاف : « ومنا ملأن وهو  
فضل ، وملأن فضل ، فضول رجال ابى العاص على رجال بنى  
حرب » . ثم يورد ردة معاذية على مروان ، وفيه « أشهد يا  
مروان أنتي سمعت رسول الله (ص) يقول : اذا بلغ ولد  
الحكم ثلاثة رجال اخذوا مال الله دولاً، ودين الله دخلاً، وعباد الله  
خولاً . والسلام » . وهو قول اشتهر فيما بعد دون المقدمات  
(انظر ص ١٠٩ - ١١٠ ) .

ولعل من اطرف ما اورده دور العرفاء أيام معاوية  
في المدينة، في بدء ولاية عاصم بن أبي هاشم بن عتبة . يقول :  
« وكان العطاء يدفع الى العرفاء ، وكان لكل قبيلة عريف يأخذ  
اعطيتهم ويدفعها اليهم . فحبس عاصم اعطيبة الناس وقال :  
ياتيني اهلها فادفع الى كل رجل عطاءه في يده . وكانت  
العرفاء يأخذونها، فلا يغيبون غائباً، ولا يميتون ميتاً، ويصدقون  
أهلها فيعطونهم بعضاً ويأخذون بعضاً ؛ فرار عاصم ان يصلح  
الديوان فلا يعطون غائباً ولا ميتاً ، ويأتيه اهل العطاء ويدفعون  
اليهم اعطيتهم وقد عرفهم ؛ فكره الناس ذلك لما كانوا يصيرون  
من حظ الموتى والغائب ، وامتنعوا من اتيانه . . . » (ص ١٥٤) .  
وهو نص يدل على تلاعب العرفاء وقبائلهم في دفع العطاء  
ليحصلوا على اكتر مما يحق لهم ، كما بين وظيفة العرفاء  
واهميتهم .

ويكثر في الكتاب ايراد المقطوعات الشعرية والقصائد ،  
التي قيلت في مناسبات ، او تعود للمترجم له إن كان ينظم الشعر  
(انظر مثلاً ص ٢١٦ - ٢٢٢ ، ٧ - ٣١٤ ، ٣ - ٣٢٤ ، ٥ - ٣٢٤) .

٦ - أما انساب الاشراف للبلذري ، في فيه دراسة شاملة للتاريخ  
العربي الاسلامي، ومجموعة كبيرة من التراجم في اطار خطة  
النسب .

ويبدو أن تنظيم خطة الاتساع لديه ولدي من سببه يتحقق  
مع تنظيم ديوان المقاطة ، ابتداءً بالرسول، ثم الاترپ فالاقرب .  
 فهو يبدأ بالسيرة ( ق ١ من ٤٠ - ٢٧٨ ) بعد أن يمهد لها  
بقسمة في أنساب العرب ليصلها بأجداد الرسول، وبتاريخ قريش  
قبل الاسلام ( ق ١ من ١ - ٤٠ ) ، يليها أبو طالب وأولاده  
( العلويون ) ( ٢٩٠ - ٥٢٦ ) ، والعباس بن عبد شمس ( الامويون )  
( العباسيون ) ( ٥٢٦ - ٦٧١ ) ، وامينة بن عبد شمس ( الامويون )  
( ٦٩٠ - ١١٦٦ ) ، وق ٢ - ١ - ٤١٥ ) ، وبقية قريش ( ق ٢  
٤١٥ - ٦٩٧ ) وبقية مصر ( ق ٢ - ٦٩٧ - ١٢٦٨ ) . وهكذا  
يخصم للسيرة حوالي  $\frac{1}{16}$  من الكتاب، ومثل ذلك للعلويين ،  
وخصص للأمويين حوالي  $\frac{1}{16}$  الكتاب، ولل Abbasiyin حوالي  
 $\frac{1}{16}$  منه، وبقية مصر أقل من ربعه .

لقد تناول البلاذري في كتابه قبائل مصر، الا القليل منها ،  
( مثل كلاب ، هلال ، قشير ) ولم يتناول ربيعة واليمان! وإن وجد  
ما يدل على أن دراسته تجاوزت ما في الكتاب ، الا انه توفي  
قبل أن يتم كتابه ( حاجي خليلة ٢٧٤/١ ) . وفي تاج العروس  
اشارات اليه تتعلق باليمان ) .

تناول البلاذري العباسيين بتوسيع الى أيام المتصور ،  
وأوجز في أخبار المهدى والرشيد ( ق ١ من ٦٦٧ - ٦٧١ ) ؛ وهذا  
يسترعى الانتباه اذا تذكرنا معاصرة البلاذري لل Abbasiyin من  
ايام المأمون الى أيام المعتمد ( ت ٢٧٩ هـ ) ، وصلته بالخلفاء  
ال Abbasiyin من المتوكل ( ٢٤٧ هـ ) الى المعتر ( ت ٢٥٥ هـ ) .  
مهل التزم البلاذري بالتوقف عند حدود المعاصرة ؟ ان شيخه  
المدائني تناول التاريخ العربي الى أيام المعتصم ، وان بعض  
المعاصريه كخليلة بن خياط واليعقوبي والبسوي ( ٢٧٧ هـ ) والطبرى ،  
تناولوا هذا التاريخ الى فترات تالية بين الواثق ( ت ٢٣٢ هـ )  
والكتى ( ت ٢٩٥ هـ ) . ام ان البلاذري سار على هيكل اهل

النسب مثل مصعب الزبيري وابن الكلبي ؟ لقد بدا تقليص العرب في الديوان منذ قدوم العباسيين؟ ولكن هذا لم يحصل جديا الا أيام المأمون ، ثم جاء المعتصم فأستطع العرب من الديوان . وهذا يعني ان تسجيل المائة العرب انتهى في مطلع فترة المعتصم، مما يجعل التوقف في إطار الانساب طبيعيا في الهيكل والتدريج .

وتبدو ميزة انساب الاشراف في انه تقدم تاريخا للأشراف العرب في مختلف الحقول ، مع تاريخ الخلافة ؛ وهو نسق فريد في سعة افقه وشموله .

٧ - وقد أفاد في تفاصيل خطته من خطوط تاريخية متعددة - من أساليب كتب الطبقات، وكتب الاخباريين، اضافة لكتب الانساب . ولئن كان هيكلا هو اطار الانساب، فان عناوينه الفرعية للأحداث الهمة في فترة كل خليفة، تذكر بعناوين كتب الاخباريين ، في حين ان تناوله للسيرة ولترجمات الاشراف متاثر بخط التراجم والطبقات . ويلاحظ بين اسانته المدائني ( ٨٣٩/٢٢٥ ) شيخ الاخباريين ، وابن سعد ( ٨٤٤/٢٢٠ ) صاحب الطبقات ، ومصعب الزبيري وابن الكلبي .

أفاد البلاذري من كتب الاخباريين ، خاصة ابى مخنف ( برواية ابن الكلبي او مباشرة من كتابه ) وعوانة بن الحكم ، وبصورة واسعة من المدائني مصدره الاول عن الخلفاء ( بالأخذ عنه مباشرة او بالنقل من كتابه ) . ومن دراسات اصحاب المغاربي في السيرة والتاريخ مثل عروة والزهري وابن اسحاق والواقدي وكتبه محمد بن سعد ، كما افاد من اهل الانساب ، خاصة ابى اليقظان ومحمد ابن السائب الكلبي، وابنه هشام، ومصعب الزبيري .

وأضاف البلاذري بحوثه ودراساته بالأخذ من شيوخه ومن روایات شفوية أخرى ، وأنساد من اسناره في جمع روایات محلية موثقة من أشیا خال المدن التي زارها في الشام والشغور والمدينة، إضافة للمدن العراقية .

والبلاذري يتحقق مصادره ، ويفاضل بين الروایات، ويبيدي رايته أحياناً لتوثيق روایة . وقد يورد صوراً لرواية باسانيد مخطفة لاظهار مجال الخلاف ، ولكنـه كثيراً ما يأخذ معلوماته من مجموعة مصادر ليعطي خبراً متصلـاً . ويبـدو أنـ النـظرـةـ إلىـ المؤـرـخـينـ السـابـقـينـ (ـ منـ اخـبارـيـنـ،ـ وـاصـحـابـ مـفـازـيـ،ـ وـطـبـقـاتـ)ـ وـتـارـيخـ،ـ وـنـسـابـينـ)ـ اـسـتـقـرـتـ فـيـ عـصـرـهـ وـمـكـنـتـهـ مـنـ ذـلـكـ .ـ وـهـنـاـ يـخـلـفـ الـبـلـاذـرـيـ عـنـ الطـبـرـيـ فـيـ اـسـلـوبـهـ التـارـيـخـيـ ؛ـ فـيـنـماـ يـعـتـمـدـ الطـبـرـيـ اـسـاسـاـ اـحـدـ مـصـادـرـهـ فـيـ مـدـرـسـةـ اـسـلـامـ (ـ كـابـنـ اـسـحـقـ فـيـ السـرـةـ،ـ اوـ اـبـىـ مـخـفـفـ فـيـ الثـورـاتـ الـعـلـوـيـةـ)ـ ثـمـ يـضـيفـ روـايـاتـ فـرـديـةـ لـيـعـطـيـ مـعـلـومـاتـ مـكـمـلـةـ اوـ مـبـاـيـنـةـ ،ـ بـيـنـيـ الـبـلـاذـرـيـ قـاعـدـةـ مـعـلـومـاتـهـ عـلـىـ ماـ هـوـ مـقـبـولـ لـدـىـ مـجـوـعـةـ مـنـ المؤـرـخـينـ لـيـعـطـيـ اـخـبـارـاـ يـبـداـهـاـ بـ (ـ قـالـواـ)ـ ،ـ ثـمـ يـورـدـ روـايـاتـ مـفـرـدةـ لـيـتـمـ اـخـبـارـهـ ،ـ وـهـوـ اـسـلـوبـ بـالـغـ الـاهـمـيـةـ فـيـ فـهـمـ الـبـلـاذـرـيـ .ـ وـفـيـ حـينـ يـرـكـزـ الطـبـرـيـ عـلـىـ الـمـدـرـسـةـ الـعـرـاقـيـةـ فـيـ اـخـبـارـهـ ،ـ يـبـسـوـ الـبـلـاذـرـيـ اـكـثـرـ اـسـتـقـادـةـ مـنـ مـدـرـسـةـ الـدـيـنـ خـاصـةـ فـيـ اـحـدـاـتـ الـفـتوـحـ وـالـاحـدـاـتـ الـتـيـ تـنـتـصـلـ بـتـارـيخـ الـاـمـةـ فـيـ الـفـتـرـاتـ الـاـوـلـىـ ؛ـ كـمـ اـنـهـ يـعـطـيـ اـهـمـيـةـ خـاصـةـ لـرـوـايـاتـ الـنـطـقـةـ الـتـيـ وـقـعـ فـيـ اـحـدـاـتـ وـيـتـمـهاـ بـ روـايـاتـ اـخـرىـ خـارـجـيـةـ .ـ

ويتحقق البلاذري في ايراد التوارييخ والارقام ، ويراعي التسلسل الزمني في كتابه، الا حيث يقتضي هيكل النسب التقديم والتأخير ( مثلاً معاوية قبل عثمان ، وترجمة عمر بن الخطاب متأخرة ) . وعند حديثه عن كل خلية يتناول ما وقع في عهده من احداث ،

كما يعنى بـ «معاليات الأحزاب السياسية ، وخاصة الخوارج ؛  
وهو أفضل المصادر عنهم وأوثقها في مصدر الإسلام ..

ان تقلقة البلاذري ، كما يبدو من مصادره وشيوخه، ومن  
اشتغاله بالترجمة، ومن مواهبه الشعرية ، تشير الى أنه جمع  
بين الاهتمام بالدراسات العربية والاسلامية، وبالثقافات الاجنبية؛  
هذا مع تركيزه على احوال العرب ودورهم التاريخي في الاسلام ؛  
وهو لذلك يبدي اهتماماً بالتوابع الاجتماعية والثقافية والادبية  
في اخباره، ويتوسّع فيما يورد من مقتطفات شعرية، وإن تحاشى  
ايقاد القصائد المطولة .

وليس هذا مجال تحليل كتابه الضخم ، بل يمكن ايراد  
ملاحظات موجزة ( خارج تاريخ الخلفاء ) .

٨ - ان ميزة البلاذري الخاصة بالنسبة للمؤرخين المعاصرین هي في  
كون أنساب الاشراف تاریخاً للأشراف العرب في تراجمهم، كلّ  
في موقع نسبه ؛ وهو بذلك يعبر عن اتصال هذا التاريخ ،  
ويرى في الاشراف مركز الاهمية من هذا التاريخ ، ويعبر عن  
النظرة الاجتماعية لهم عند العرب . وهو في تراجمه وما يقتدمه  
من اخبار وآثار، معجم ضخم للتراث العربي ( يشبه المعجم  
الوطني الكبير الحديثة ) . وبعض تراجمه واسعة تسترعي  
الانتباه، مثل ترجمته للاحنف بن قيس ( ق ٢ من ٩٩٤ - ١٠١٠ )  
والحجاج ( ق ٢ من ١٢١٧ - ١٢٥٨ ) اضافة لاخباره ایام عبد الملك  
والوليد ) ، ولبعض النصائح والشعراء، مثل النابية الذبياني  
( ق ٢ من ١٠٩٣ - ٦ ) واکثم بن صيفي ( من ١٠٧٣ - ١٠٨٣ )  
والفرزدق ( من ٨٧٦ - ٨٩٥ ) وجریر ( من ٩٤٧ - ٩٦٢ ) وخالد  
بن صفوان ( من ٩٧٧ - ٩٩١ ) . وقد يفيض في الترجمة أكثر  
من المعنى بحقل الاختصاص، كما في ترجمته لابي الاسود الدؤلي  
( ق ٢ من ٧١٠ - ١٣ ) . وهو بذلك يكشف جانبًا من اهتماماته  
الادبية .

وفي انساب الاشراف ثروة من الاخبار عن المسلمين الاولين ،  
فيذكر في كل ترجمة دخول الشخص في الاسلام، ومزاياه، ودوره،  
ومواقفه، واخباره الخاصة ؟ وهي ترجمات مسماة عادة ، وتختلف  
اهمية كل منها حسب دور المترجم له .

ويُعْنِي البلاذري بأمور القبائل في اطارها لنسبها ، يقدّم  
معلومات واسعة عن قريش قبل الاسلام وبعد، بتفاصيل لا تُرَد  
عند مؤرخ آخر ؟ وينبه الى امور طريفة ( مثلاً في حديثه عن  
عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول : « قيل ما ساد قريش مُلِيق  
غير عتبة وابي طالب » ( ق ٢ ص ٤٠٧ ) ، وانظر اخباره عن  
محاولة عثمان بن الحويرث ان يتراص في قريش، ويرتبط بيصر  
الروم ( ق ٢ ص ٨٨ ) ، ومثل اشاراته لليابان ( ج ١ ص ٥٩ -  
٦٠ ) .

ويهتم البلاذري باليام العرب، ويعطي معلومات مركزة ومهمة  
عن مجموعة منها، مثل يوم ذي نجح ( ق ٢ ص ٩٤ - ٩٣ ) ،  
( ٤ ) ، ويوم غيط الدرة او صحراء فلح ( ق ٢ ص ٩٢٥ ) ويوم  
تحقق ( ق ٢ ص ٩٢٦ ) ويوم ذي طلوح ( ق ٢ ص ٩٢٨ - ٩٣٠ ) ،  
ويوم الروت ( ق ٢ ص ٩١٨ - ٩ ) . وداحس والغبراء ( ق ٢  
ص ٩٢٤ - ٥ ) ، ويوم القربيتين ( ق ٢ ص ٨٣٠ - ١ ) ، ويوم  
بزاحة ( ق ٢ ص ٨٢١ - ٢ ) ويوم النسار ويوم الجفار ( ق ٢  
ص ٧٢٨ ) ، وأيام الفجر ويوم ذات نكيف ( ج ١ ص ٧٥ ) ويوم  
نظرة ( ج ١ ص ١٠١ - ٢ ) ، ويوم شمطة ( ج ١ ص ١٠٢ - ٣ ) و  
في ١ ص ١٧٠٠ ، ويوم تحريرة أول أيام الفجر ( ق ٢ ص  
٧١٩ ) ، ويوم نطاع ( ق ٢ ص ٨٣٥ ) ويوم الشيطين ( ق ٢ ص  
٨٤٥ ) ويوم جبلة ( ق ٢ ص ٨٥٢ ، ٣ - ٨٦٦ ) ويوم اوارة  
( ق ٢ ص ٨٦٦ - ٧ ) ويوم قشاوة ( ص ٩٤٠ ) ويوم الكلاب  
الاول ( ق ٢ ص ٨٩٧ ) ويوم الكلاب الثاني ( ق ٢ ص ٧٩١ - ٢ ) ،  
هذا، وترد اشارات اكثراً ايجازاً لايام اخرى ( مثل يوم  
١٠٢٣ ) .

خو(ق ٢ ص ٨٦٠ ) ويوم الهاياء (ق ١٠٢٢ / ٢ ) ويوم رحرhan  
(ق ٢ ص ٨٦٢ ) ويوم الغبيط (ق ٢ ص ٩٤٣ ) ويوم سلمان  
(ق ٢ ص ٨٧٣ ) .

وهو يورد مقتطفات في مواضع عدّة من نقاصلن جرير  
والفرزدق ( انظر ق ٢ ص ٩٢٤ ، ٩٤٠ ) . ويلاحظ ان البلاذري  
حاول الافادة من اكثـر من مصدر في اخبار الايام ( انظر ق ٢  
ص ٩٢٥ ) وفق اسلوبه ، ولكن يبدو ان جل اعتماده كان على  
محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام (ق ٢ ص ٩٤١ ، ٨٦٧ ) ،  
وهو قليل الاشارة الى ابـي عبيدة (ق ٢ ص ٩٤١ ) . وقد  
يأخذ عن راوية من البدو ( مثل مراسـن بن اسماعيل ق ٢ ص ٨٦٧ )  
او يكتفي باشارة عابرة ( مثل « قال بعضهم ق ٢ ص ٩٢٤ ) .  
وهكذا يحفظ البلاذري روایات مبكرة عن الايام توازي روایات  
محمد بن حبيب ( عن ابـي عبيدة ) ، ولهذا اهمية خاصة .

ويتحدث البلاذري عن الشؤون المختلفة للقبائل قبل الاسلام ،  
من غزوـات اعيـاديـة ( مثل غـارات بـنـي شـعلـةـ بنـيـ بـنـيـ أـسـدـ  
(ق ٢ ص ٧٣٥ - ٦ ، وانظر ٩٢٠ - ٢ ) ، الى اـحـلـافـ ( مثل  
حـلفـ قـرـيشـ معـ الـاحـابـيـشـ وـظـرـوفـهـ قـ ٢ ص ٧٢٢ ، ٧٢٨ ) ، او  
محاـولاتـ ثـارـ مـهـمـةـ ( مثل مـقـتـلـ حـجـرـ بنـ عـدـيـ عـلـىـ يـدـ بـنـيـ أـسـدـ  
وـمـحاـولاتـ اـمـرـىـءـ القـبـيسـ لـلـثـارـ قـ ٢ ص ٧٤٠ - ١ ) اوـ شـؤـونـ  
اـخـرىـ مـثـلـ الـاتـقـاقـ عـلـىـ جـعـلـ وـلـايـةـ المـوـسـمـ وـالـافـاضـةـ بـالـنـاسـ اـلـىـ  
بـنـيـ تـبـيمـ (ق ٢ ص ١٠٢١ - ٢ ) ، بلـ يـعـطـيـ مـعـلـومـاتـ طـرـيـفـةـ  
عـنـ الرـادـفـ لـدـىـ الـمـاذـرـةـ، وـمـعـنـاـهـ، وـمـهـمـةـ الرـدـفـ، وـأـمـيـازـهـ  
(ق ٢ ص ٩١٧ - ٨ ) .

ويورد البلاذري معلومات بالـفـةـ الـاـهـمـيـةـ عـنـ الـحـيـاةـ الـاـقـتصـادـيـةـ  
خلـالـ التـرـنـينـ الـاـوـلـيـنـ ( انـظـرـ مـثـلـ قـ ٢ ص ٧٥٣ ، ٩٨٨ ، ١٠٠٧ )  
بـماـ فـيـ ذـلـكـ اـثـرـ الـجـنـافـ فـيـ الـبـادـيـةـ عـلـىـ مـيـاهـ بـعـضـ الـقـبـائـلـ

وحركتها ، كما يتضمّن معلومات ثمينة عن نظرية العرب للأرض ، ومن تعلُّم الاشراف إلى ارستقراطية ملائكة ؛ وهو في طبعة المؤرخين الذين اهتموا بهذه النواحي هنا وفي كتابه فتوح البلدان .

كما أنه يعطي معلومات غنية في الناحية الاجتماعية ( انظر ق ٢ ص ١٠٦ ، ٧٥٠ ) . وأخباره عن حركة القبائل وانتقالها من الجزيرة إلى الامصار لا مثيل لها في الشمول والتفاصيل والدقة ( وإن قارئها الطبرى أحياناً في السمعة ) .

٩ - ويستند البلاذري في معلوماته عن القبائل إلى أبي البيقظان ( ٨٠٥/١٩٠ ) لدرجة كبيرة ، ويأخذ عنه عادة بعبارة : قال أبو البيقظان ( ق ٢ ص ٨٧١ ) أو « وفي رواية أبي البيقظان » ( ق ٢ ص ٨٩٥ ) ، وبذلك يؤكّد الاشارات إلى أهميّته ودوره في النسب .

كما أنه يأخذ كثيراً عن ابن الكلبي ( هشام بن محمد ) برواية مباشرة ( عن ابنه ) أو بالأخذ من كتابه ( ق ٢ ص ٤٥ ، ١٠١ ، ١٥٤ ) ويعتمد عليه اعتماداً واسعاً في أخباره عن قريش قبل الاسلام . ويأخذ عن أبيه محمد بن السائب الكلبي برواية ابن هشام أو بالأخذ عنه مباشرة ( قال الكلبي ق ٢ ص ٢٤ ، ٦٦ ) وبهذا يؤكّد وجود كتاب لمحمد بن السائب في الانساب ؛ وهو يأخذ عنه أحياناً دون اشارة واضحة مثل تعقيبه : و قال غير الكلبي ( ق ٨١٩/٢ ) ويفيد تفضيله له حين يقول : « و قال غير الكلبي .. و قول الكلبي أثبت .. ( ق ٢ ص ٨٢٧ ) .

وإذا كان البلاذري في فترة قبل الاسلام يعتمد على روایات فردية، فإنه في الفترات الاسلامية يستند في الأساس في أخباره على مصادر متعددة، فيبدأها بـ ( قالوا ) ، تضمنها روایات فردية مسندة ( انظر ج ١ ص ٢٢٥ وما بعدها ) . ونكتفي بالمثل من

السيرة . نهى حين يعتمد الطبرى على سيرة ابن اسحق ،  
مان البلاذري يعتمد بالدرجة الاولى على الواقدي وتبينه محمد  
بن سعد ، اضافة الى رجوعه الى مؤسس مدرسة المفازي  
( الزهرى ٨٥ رواية ، وعروة بن الزبير - حوالى ٤٠ رواية ) ، أما  
ابن اسحق فيرجع اليه بقدر متواضع - ( ٤٢ رواية ) . وكمثل ذلك  
تنتظر الى اخباره عن بدر لنرى أن مطلب معلوماته يرد تحت ٤  
ـ ( قالوا ٢٨٨ - ٩٠ ، ٩١ ، ٢ - ٢٠٤ ، ٥ - ٣٠٤ ) . وبجانب ذلك  
ترد اخباره عن الواقدي ( ٢٩٤ ، ٨ - ٢٩٨ ، ٢٠٢ - ٢٠٥ ، ٢٠٨ - ٣٠٨ )  
ويأخذ الاخبار عن ابن سعد مباشرة ، كما ان جل اخبار الواقدي  
يرد في حديث ابن سعد ، وببعضها بالنقل من كتبه « قال الواقدي  
ص ١١٢ و ٢٩٢ وبعدها ، ص ٢٩٨ ، ص ٣٠٥ وبعدها » وهو  
يتم هذا بروايات فردية مستندة عن محظى المدينة ورواتها .

يبعدو ان البلاذري توسيع في مفهوم « الاشراف »؟ فهو لا  
يقتصر على من يأخذ شرف العطاء ، ولا على من ينتسب الى  
اشراف القبائل ، كما انه لا يقتصر على من سجل في ديوان  
المقاتلة الذي لم يمتد يشمل الا جزءا من المقرب في الامصار ، من  
ايام الروانين ، بل انه شامل هؤلاء جميعا وانتبه بصورة  
خاصة الى من صار له دور في الحياة العامة السياسية ولادارية  
ولفكرية ( الشعراء خامسة ) .

وهو على صلته بالعباسيين يحاول ان يكون موضوعيا ؛  
ولعل صلته بهذه افادته في الاطلاع على روايات داخلية عن  
الدعوة العباسية وعن الفترة الاولى ، وفي الانفادة من الدواوين .  
وهو على العموم محاييد متزن . وهو في الانساب يعبر عن  
نظرة اجتماعية عربية الى دور الاشراف العرب في تاريخ الامة ،  
كما يعبر عن اتصال خبراتها وسيرها .

د. عبد العزيز الدوري

# في سبيل تعریف التعليم الجامعي في العلوم الطبيعية مشاكل وحلول

للدكتور احمد سليم سعيدان  
(عضو مجتمع اللغة العربية الأزوري)

١ - في تقديرني اننا تجاوزنا مرحلة الدعوة الى تعریف التعليم الجامعي ، والتغزل بمحاسنه ، والتأكيد على انه ضرورة تربوية وقومية ؛ فقد عقدت من اجل ذلك مؤتمرات ، وألقيت بحوث ومحاضرات ، واشترك في هذا المضمار باحثون اجلاء ، من العرب ومن غير العرب .  
يبدو لسي ، على كل حال ، انه لم يعد يجدي في هذه المرحلة ، تعداد محاسن التعریف ، ولا رصد مساواء التعليم في الجامعات العربية بغير اللغة العربية . فان يكن احد ما زال في شك من جدوی التعریف ، فغاية الامر عندي ان يقال له : تعال نجرّب ، ثم نحكم على النتائج .

اذا تجاوزنا مرحلة الدعوة الى التعریف ، فنحن اذن في مرحلة التنفيذ ؛ واما اذا قد اجزنا ان نمسك ، في هذه المرحلة ، عن الخوض في تأييد التعریف ومعارضته ، فلا يجوز لنا ، ونحن نخطط للتنفيذ ، ان نتجاهل حجج المعارضين ودعائهم . وغنى عن البيان ان دعاوى المعارضين تجعلها تساؤلاتهم : این المصادر العربية ؟ واین المراجع التي تبقينا على علم بتطور العلوم ؟ ثم این الدوريات العربية العلمية التي فيها نشر ابحاثنا ؟ انهم ، بایجاز ، يريدون ان تكون المكتبة العربية

في مثل غنى المكتبات الغربية في الكتب والنشرات العلمية . وهذا مطلب حق ينبغي ان نسمى لتحقيقه جاهدين .

ولكتسي ابادر الى القول بان تساؤلات المعارضين ، على وجاهتها ، تختلي وراءها غير ما نظهر . وانسي ، وقد سبق ان خضت مع زملاء لى معركة التعريب في قطر عربي شقيق ، على يتيمن ان ما لا يظهره المعارضون هو التهيب والترحّج : معلمٌ تعلَّم بالانكليزية ، وهو الان بما يعلم ؛ فمهما لها محدود ، ونهم طلابه له اقلَّ القليل ؛ ولكن الامر يُستور ، فلماذا يخوض هذا المعلم تجربة التعليم بالعربية ، وهذا ما يقتضي نونق تعلَّم مصطلحاتها ، استذكار قواعدها الصارمة ؟ انه يخشى ان يعلم بلغة قد يتقنها طلابه اكثر منه . ان دافع المعارضين الباطن هو في اغلبه خوف وكسل ؛ وقد ينجلي اكثر هذا الخوف عند بدء التعريب . ولكن يبقى ان المطالبة بابقاء الكتب والنشرات العلمية تحت متناول يد القارئ العربي امر لا بد من السعي الدائب لتحقيقه .

٢ - ولقد سمعت مولة حق قالها غير واحد ، مؤداتها ان التعريب خطوة سياسية ينبغي ان تأتي بقرار سياسي من عمل . وفي يقيني ان هذا القرار يعطي التعريب دعماً كبيراً ؛ ولكن يبقى الخوف من نشر التجربة الاولى، ل مجرد ان الجنود المجهولين الذين يمارسون التعليم في قاعات الدرس لا يريدون التعريب لمثل هذا الترجم الذي اشترب اليه . فمع المرسوم السياسي الذي يأمر بالتجريب ، يبقى حاجة الى فئة من المعلمين أنفسهم تؤمن به ، وتدعوا اليه ، وتداعم عنده ، وترقب من حيث تشعر او لا تشعر تنفيذه ؛ ونبقي ايضاً بحاجة الى خطوات تمهيء الاسباب للبدء به وللسير فيه .

هناك خطوتان رائحتان خططناهما في الاردن ، وفي الذهن كل هذه المشاكل التي ألمحتُ اليها . ولابداً بثانية الخطوتين :

اقدم رئيس الجامعة الحالي ، الدكتور ناصر الدين الاسد ، على الطلب الى عميد كلية العلوم فيها بالاسراع بترجمة التعليم في كلية .

ومسئل الرئيـس : هل اقـر ذلك مجلس العـداد ؟ فقال : وما لكم ولـه اـن لـلكلـة الحقـ في ان تعلم بالـعـربـية اذا هـي ارادـت .

ولـا عـرف اـعـضـاء هـيـاة التـدـريـس فيـ كـلـيـة الـعـلـوم انـ رـئـيس الجـامـعـة يـسانـد التـعرـيف وـيلـحـ بـطـلـه ، اـرـتـفـعـت اـصـوـات الدـاعـين لـه ، وـخـفـت اـصـوـات المـعـارـضـين . وـانـ كـلـيـة الـعـلـوم فيـ الجـامـعـة الـارـدنـيـة تـتـطـلـع الانـ لـأـن تـبـدا التـعلـيم بالـعـربـية ، فيـ الـعـام الـدـرـاسـي الـقادـم ، فيـ السـنـة الجـامـعـية الـاـولـى ، عـلـى الـاقـلـ .

ولـا شـكـ انـ خـطـوة رـئـيس الجـامـعـة الـارـدنـيـة لمـ تـكـن لـتـجـعـ لـوـلا خـطـوة سـبـقـتها وـمـهـدت لـهـا السـبـيل ؛ تـلـكـ هيـ خـطـوة مـجـمـعـ اللـفـة العـربـية الـارـدنـيـة ، واـكـثـرـية اـعـضـاءـه منـ رـجـالـاتـ الجـامـعـة الـارـدنـيـة . تـلـكـ انـ المـجـمـعـ كانـ تـدـشـرـعـ بـتـرـجـمـة خـمـسـة كـتـبـ فيـ الـعـلـوم الـاسـاسـية ، اـخـتـارـها اـسـاتـذـةـ كـلـيـةـ الـعـلـومـ اـنـفـسـهـمـ عـلـى اـمـلـ اـسـتـعـمالـهـاـ فيـ السـنـة الـاـولـىـ الجـامـعـيةـ ، وـبـعـضـ الثـانـيـةـ .

وـقـدـ أـعـلـمـتـ الجـامـعـاتـ العـربـيةـ وـالـجـامـعـاتـ الـلـغـوـيـةـ بـهـذـهـ خـطـوةـ التيـ خـطـاهـاـ مـجـمـعـ اللـفـةـ العـربـيةـ الـارـدنـيـةـ ، وـتـوـالـتـ عـلـىـ المـجـمـعـ كـتـبـ التـائـيدـ وـالتـشـجـعـ منـ مـخـلـفـ الجـامـعـاتـ وـالـجـمـاتـ .

٢ - وـلـكـ غـنـيـ عنـ الـبـيـانـ انـ اـمـرـ تـرـجـمـةـ الـكـتـبـ الـعـلـمـيـةـ لـاـ يـنقـضـيـ بـتـرـجـمـةـ خـمـسـةـ كـتـبـ ، وـلـاـ عـشـرـةـ ، بلـ وـلـاـ الفـ ؛ اـنـهـ عـمـلـيـةـ مـتـواـصـلـةـ دـائـيـةـ ، لـهـ بـدـايـةـ ، وـلـيـسـ لـهـ نـهـايـةـ . اـنـهـ تـمـشـيـ معـ التـعلـيمـ الجـامـعـيـ جـنـبـ جـنـبـ ، وـكـالـتـعلـيمـ ، يـسـلـمـهـاـ كـلـ جـيلـ ، مـعـ صـفـوةـ خـبـرـانـهـ ، إـلـىـ الـجـيلـ الـذـيـ يـلـيـهـ .

فيـ اوـائلـ هـذـاـ القـرنـ ، قـامـ وـاحـدـ منـ روـادـ ماـ يـسمـىـ بـالـنـهـضةـ العـربـيةـ الـحـدـيثـةـ ، بـتـرـجـمـةـ كـتـابـ انـكـلـيزـيـ فيـ الـهـنـدـسـةـ الـمـسـتـوـيـةـ . وـلـعـلـ اـكـثـرـناـ يـذـكـرـ الـكـتـابـ ، فـقـدـ تـلـمـذـنـاـ كـلـناـ عـلـيـهـ ، وـكـنـاـ نـعـرـفـهـ باـسـمـ كـتـابـ «ـهـوـلـ وـاسـتـيفـنـزـ» . وـلـقـدـ عـاشـتـ هـذـهـ التـرـجـمـةـ نـحـوـ نـصـفـ قـرنـ مـسـىـ

مدارس الشرق العربي . ولقد نشَّكَ الاصل وتوَقَّفَ عن الطبع ، وظلَّتْ من بعده الترجمة تُطبع المرة ثلو المرة .

مثل هذا لم يعد يحدث ؟ انتا نعيش في عصر ينطهر فيه العلم بسرعة مذهلة ، وتتجدد وسائله وسبل عرضه وتوصيله للناس ؟ مما من كتاب علمي يصمد لرياح التطور اكثر من خمس سنوات ، بعيداً او قُبليها يُطرح على الرف ان لم يبادر المؤلف الى تجديده على نحو يتنقَّ مع ما استجدة من معلومات وخبرات ومفاهيم واذواق . لذا نجد الكتب التعليمية تتلاحق، ويزحم بعضها ببعض : فما كان يُعد كتاباً موقتاً بالامس ، يُسقط اليوم في الميزان .

وليس هذا التغير المستمر نقصاً في الفكر العلمي ، ولكنه من طبيعة وطبيعته ؛ فما زال الدوام والخلود هدف الادب ، فان التطور هدف العلم . والتتطور في مقاييس العلم هو الحياة ، والحياة هي الخلود . نظرتان مختلفتان، ولكنهما تلتقيان في الانق البعيد .

اما نقدم نَخْصُ الى ان ترجمة الكتب التعليمية عمل يتمنى ان يكون دائماً مستمراً لا ينقطع . وهذه ضرورة تزداد الحاجة كلما مضينا قدماً في تعريب التعليم . ونحن نراعي في الوقت نفسه ان نبقى مواكبين ، على قدر الطاقة ، لتيّار التطور العالمي .

فما زلنا الى هذا السيل من الكتب التعليمية الذي تعرّزه المطبع ، كتب البحوث العلمية والدوريات وامهات المراجع ، نجد انتا امام امر جلل ينوق كل وصف . قدر ما تخرجه مطبع العالم من الفكر العالمي الرصين ، في الدقيقة الواحدة ، ما لو جمع في مجلد واحد لبلغ هذا المجلد حجم الموسوعة البريطانية .

والكتبة العربية لها علينا واجب تزويدها بالفكر العالمي ، والقارئ العربي له علينا واجب تقرير هذا الفكر اليه ؛ وهذا واجب لا بد من الاضطلاع به اذا كانا ينفي ان تكون الاجيال العربية

على علم بروح العصر ، وعلى فهم لعقليته . واضطلاعنا بهذا الواجب  
يُسْتَلزم ترجمة دائمة متصلة .

انني ارجو الا يظن انني في تحمسى للترجمة خلطت  
بين مهتين : ترجمة الكتب التعليمية من اجل التعریف ، وترجمة  
النکر العالمي الذي يستهدف خلق اجيال عربية تضيق الى موروثها  
الفكري والحضاري ، الذي نعتر بـه، مما ووعيا لروح العصر الذي  
نعيش فيه . صحيح ان هنالك فرقاً بين المهتين ، ولكن يخطئ من  
يظن ان التعليم يمكن ان يمضي سليماً بمعزل عن الحياة ، او ان  
العلم في اي عصر يمكن ان يُفْهَم الفهم الابيحياني البناء بمعزل عن فکر  
ذلك العصر . انه يكون كثيرة قطفت من شجرتها ، مما تکن حلوة  
مانها تطعم اکلا واحداً ، اما الشجرة فتطعم الناس اجيالاً واجيالاً،  
وتقيء بظلها على كل مستظل . اني اتمنى ان يكون تعليمنا ، لا ثماراً  
يتخطفها الاکلون ، بل اشجاراً تؤتي اکلها الشهي وظلها الظليل ورونقها  
الغض النضير . لعل من نقايس نُؤلمُنا التربوية القائمة انها تقدم ثماراً شهيبة  
اكثر مما تفرس اشجاراً ندية .

٤ - نحن اذن امام واجب دائم لا ينقطع ، هو واجب الترجمة .  
وامر الترجمة لا يجوز ان يبقى «وضى بلا تنسيق ، كيلا تصير الترجمة  
اقليمية ، وكيلا يهدى الوقت والجهد بترجمة الكتاب الواحد اکثر من  
مرة دون مبرر ، وكيلا تنزل الى الميدان مصطلحات متضاربة تدخلنا  
في دوامة المقابلة ، وحساسيات الاختيار والمناضلة .

المطلوب ترجمة الكتب الجامعية تشرف عليها الجامعات  
العربية ، وتباركها الجامع اللغوية . والترجمة لا تقتسم بمجرد ان  
تُتَّلِّق مسادة الكتاب الى العربية ؟ فلا بد من طباعة ، ثم لا بد من  
نشر . فهل تقوم الجامعات والمجامع بالترجمة ، ثم تسلم امرها الى  
دور النشر التجارية ؟ ان كان يتحقق هذا في حالات ، فهو لا ينبعي ان  
يكون في الكتب التعليمية التي تُؤلفها او تترجمها لابنائنا الطلبة وزملائنا  
المعلمين .

انن تُحسِّن الجامعات والمجامع منعا اذا هي انشات مكاتب للترجمة والنشر ، تُعنى بنشر الكتب التعليمية باثمان تساعد على تيسير العلم، ولا تستهدف الربح الوفير .

٥ — ارجو الا يغيب عن البال ان الهدف الكبير الذي نهدف اليه هو تعريب التعليم الجامعي ؟ ومن اجل التعريب جئت اطرح فكرة الترجمة ، وفكرة مكاتب الترجمة والنشر .

وغمي عن البيان اننا لا ينبغي ان نؤجل التعريب الى ان نترجم وننشر ، ونقيم في كل جامعة او مجمع مكتبا للترجمة والتاليف والنشر . ان ما اتذم عليه مجمع اللغة العربية الاردنية مبادرة فيها كثير من المجازفة ، وكثير من الامل . كان يستهدف وضع نواة تمكن المعلم في الجامعة الاردنية من ان يمضي مع الطلاب في السنة الاولى الجامعية على نحو لا يختلف كثيرا عما فهو في المرحلة التوجيهية . ولكن لا شك ان تعريب التعليم ، مهما ساندته الترجمة ، يمكن ان يمضي بدونها ، ولو مرحلبا .

ليس امرا هينا ان نحاضر ونشرح ونقاش بالعربية ، حتى مع ذكر مصطلحات اجنبية، اذا لزم الامر ، ثم في نهاية المطاف نرجع الى مرجع اجنبى ؟ لأن اقول لطلابي : ستقابلكم في هذا المرجع مصطلحات جديدة ، اليكم قائمة بها وبمعانيها العربية ، اجدى وأضمن لفهم الطالب من ان احضره بلفة لا يفهمها ، ثم اسلمه الى كتاب يحوّل درس العلم عنده الى بحث في القاموس . بل اني على يقين ان الرجوع الى كتب اجنبية امر لا مندوحة عنه ، حتى وان تكاثرت الكتب المترجمة ؛ وهو امر سبز ايد كلما صعدنا في سلم التعليم الجامعي .

٦ — ومشاكل الترجمة والنشر ليست سهلة هينة ، وانما هي كثيرة متشابكة ، آخذ بعضها برقب بعض ؟ ولذا فاني ، في سبيل التفكير فيها تفكيرا صانيا بناء ، احللها الى عواملها الاولية . ومن عواملها الاولية : ما الذي نترجمه ؟ ومن الذي يترجم ؟ وماذا بعد الترجمة ؟

بعباره اخرى : ابحث في امر الكتب التي تترجم ، وامر الاشخاص الذين يقومون بترجمتها ، ثم اأمر نشر هذه الكتب .

ا - اما بقصد الكتاب الذي يترجم ، فبين البيروقراطية والمركبة التي تدعوا الى مجلس عربي عام يقوم باختيار الكتاب،<sup>نیووقتنا</sup> في بسطه الاجراء ودوامة اختلاف الاذواق والمستويات ، وبين فوضى المبادرات الفردية ، كان يقوم كل مدرس بترجمة الكتاب الذي يحلو له ، ثم اذا بنا نجد للكتاب الواحد اكثر من ترجمة واحدة ، ارى ان نختار طريق المركبات المحلية . ففي الاردن ، مثلا ، يقوم المدرّسون باختيار الكتب التي يوصون بترجمتها من اجل التدريس ، فيعرضون قائمة باسمائهم على مجالس الاقسام ، فمجلس الكلية ؛ فاذا اقتضى المجلس بجدوى الترجمة ، آخذنا بعين الاعتبار عمر الكتاب الحالي من ناحية ، وامكانيات التاليف من ناحية اخرى ، يتقدم بطلب الى مجمع اللغة العربية الاردني ؛ فاذا اقر المجمع الترجمة يخبر بذلك الجامعات العربية والمجامع ، كيلا تقوم بترجمة الكتاب نفسه . فاذا انتقضى سنتان ولم يظهر الكتاب ، تصبح الجامعات والمجامع في حل من امر ترجمته .

فما المشاكل المنظورة التي يمكن ان تقوم في وجه هذا الترتيب البسيط ؟

اولا : الجامعة التي لا تجد الى جوارها مجتمعًا مستعدا للإشراف على ترجمة ما توصي بترجمته من كتب وعلى تمويله ، يمكن ان تستعيض عنه بمكتب ترجمة تقيمه لهذا الغرض ، كي يتولى مهمة المجمع هذه، مستمدًا سلطاته من الجامعة ذاتها .

ثانيا : الحصول على حق الترجمة ، اذا امكن ، امر ينبغي ان تسمى اليه الجامع ومكاتب الترجمة ؛ فاذا تعذر من حسن حظنا اننا لم نرتبط عاليًا باتفاقية حق المؤلف والناثر ؛ يمكن ان نخبر المؤلف او الناشر او كليهما اننا نرغب في ترجمة الكتاب ، وليس علينا بعد ذلك مأخذ قانوني .

**ثالثاً** : ان النظرة الواقعية قد تفابر توحيد الكتاب الجامعي فـي جميع احياء العالم العربي . ولعل في ان يترجم في الموضوع الواحد ، من المستوى الواحد ، اكثر من كتاب ، خيرا ؛ فابناؤنا بحاجة الى كتب مقررة والى مراجع ؛ وإن من الخطر ان يكون ثمة مرجع واحد يرجع اليه الطالب والمدرس .

**رابعاً** : ينبغي ان نشجع التأليف الاصيل بقدر ما ينبغي ان تشجع الترجمة ؛ فاذا استعمل كتاب مؤلف محلياً، فينبغي ان يحرص مكتب الترجمة ان يكون هذا الكتاب من مستوى جيد متجدد ، فاذا لم يجدد وجب تغييره بدون تردد . ان لم يكن ما نولنه للجامعة في المستوى العالمي المقبول ، فلا خير فيه .

**خامساً** : بالتأكيد : ما كل ترجمة مقبولة ، لا من حيث اللغة ، ولا من حيث المحتوى ؛ فكل كتاب يترجم او يؤلف ينبغي ان يعرض على لجنة تقييم تشهد بسلامة لغته وصحة ترجمته .

**بــ** ناتسي الان الى اختيار المترجمين : فهواء طبعا من اساتذة الجامعة ، كل في ميدان تخصصه . والاساتذة منهم قلة يقدرون على الترجمة ، واكثراهم لا يقدرون . اما اولئك الذين يقدرون على الترجمة فقد اتوا موهبة عالية، هي القدرة على فهم لغتين فهما صحيحا ، وعلى التعبير بلغتهم على الأقل تعبيرا صحيحا . مثل هؤلاء تادرون على ان يكتبوا للمجلات السيارة مقالات يتضمنون عليها مكافآت عالية . فان لم يكن المردود المادي للترجمة مجزيا ، فسينفضل هؤلاء ان ينصرفوا الى كتابة المقالات ؟ وان هم لم يترجموا فكل ما ندعوه اليه مآلـه الفشل . لذلك لا بد من حافظ سخـي يحفزهم للترجمة . وابول ما ينبار الى الذهن اعتبار الترجمة الناجحة مبررا قوبا للترقية . انسى اقولها بكل ما املك من قوة : مهما بلغ ترحيبنا بالبحوث الجامعية الاصيلة ، فان الترجمة الناجحة اكثـر منها فائدة وادعى للترحيب . ولذا فاني ادعو الى جعلها مـيـزا يستـدعي الترقـية .

اما الذين لا يقدرون على الترجمة ، فللا ينبغي ان ندير لهم ظهورنا ؛ ذلك ان الترجمة تتحسن بالمارسة ، ومن لا يتقنونها الان فقد يتتقنونها في المستقبل ؛ ولذا نعلى المسؤولين من امر الترجمة اخذ هؤلاء بكثير من الصبر والحكمة والاتابة ، عسماهم يغدون بعد حين احسن حالا . ان من واجبات مكاتب الترجمة ان تساعد على تخريج اجيال ممن يتقنونها .

ويشدد تخريج هذه الاجيال ، اقترح بقوّة ان يكون من مساقات كل قسم مساق واحد على الاقل يقتضي ان يقوم فيه الطالب بترجمة كتاب ، او نصل من كتاب ، او بحث في ميدان تخصصه . ويمكن ان تجمع هذه الترجمات وتنشر . واذا خطّط لمثل هذا المساق تخطيطا سليما ، فسيكون ما يُبذَل فيه من جهد مثرا اكثرا مما نتصوّر .  
واود ان اشير الى العدو الراهن في المحتل من ارضنا .  
بمثل هذا الذي اذكره خلقوا لهم لفنة بعد ان لم تكون شيئا مذكورا ، ونقلوا الى هذه اللفة اكثرا الفكر العالمي الرصين ، وكونوا لهم مكتبات فخنس اغنى المكتبات .

فإذا تصوّرنا نشاطا في ترجمة الكتب العلمية ملء العين ، تنظمه وتشرف عليه مكاتب متخصصة ، في رحاب جموع لغوی او جامعة ، وترجمة اخرى جادة يقوم بها طلاب لاستكمال متطلبات تخرّجهم ، لا يمكن الا ان يرتسم في الصورة سيل من المصطلحات العلمية ، منها المعرّب ومنها المترجم ، ومنها القديم ومنها المستحدث ، ومن هذا المستحدث ما قد يقصد وما قد يذهب كالزيف جفاء ، يرفضه اللسان .  
ومع هذا السيل الذي يتدفق في كل قطر ، من ذا الذي يضمن الا نفتح اعيننا الا وقد وجدنا لكل قطر مصطلحات علمية خاصة به ، تكرّس الانفصال اللغوی مثلما كرّست الاحداث الانفصال السياسي ؟ !

الذى يضمن ذلك قيام مكاتب الترجمة بتنسيق هذه المصطلحات وجمعها وعرضها في مجموعات على الجامع اللغوية ، كيما تساعد على اقرار ما تراه مناسبا ، وعلى رفض ما لا تراه مناسبا .

وإذا كانت نتردد كثيراً في تقييد المترجمين ، ونطلب أن يمضوا قدماً في ما يرون من مناسباً من تعریب أو ترجمة للمصطلحات المستحدثة ، وإذا كانت ندرك أن مفاهيم بعض المصطلحات يعترف بها ما يعتري العلوم ذاتها من تطور ، ففيبني الا نتردد قيد أ neckline في اشاعة ما تقرره الجامع اللغوية من مصطلحات مستحدثة ، وفي الالاحاج على الالتزام به ريشما يأتي ما هو احسن منه . ليست الغاية التي نستهدفها قطع الطريق على استحداث المصطلحات ، ولكن الغاية ان نعمل على توحيد هما في العالم العربي .

ومكتب التنسيق، الذي يقوم بهذه المهمة خير قيام، ينبغي أن يكون من العلميين المتخصصين الذين يشاركون في الترجمة ذاتها ، ويعرفون عمّا يتحدثون . لذا ارى أن يكون هو نفسه مكتب الترجمة : بنظم الترجمة ، وينسق المصطلحات ، ويرفعها الى الجامع .

#### ج - وبعد الترجمة تأتي الطباعة والنشر .

اما الطباعة فتتولاها المطبعة ، والتكنولوجيا توالي الطباعة اهتماماً كبيراً ، فما قد نراه الآن أحدث مطبعة نجده بعد سنتين قد ماته قطار التطور السريع . ومع تطور الطباعة يأتي التقني بالتلويين والاخراج وعرض الكتاب على نحو جذاب . ولقد اقتنعني الخبرة العملية والممارسة ان المطبع المحلي تجد أسهل عليها واقل كلفة ان تلبي الطلبات المتزايدة : من اخراج جذاب ذي الوان وتجليد ، باللجوء الى مطبع في اثينا او روما . وهذا امر مؤسف ، ولكن لعمل علاجه من شأن المطبع المحلي . علينا ان ندفع بها للحاق بالركب ، وهي عاجلاً او آجلاً ستستجيب .

ولكن الطباعة غالبة التكاليف ؛ انها تبلغ اربعة اضعاف ما تكلفة الترجمة . وإذا كان الكتاب الذي يترجم سيعطى الى عدد كبير من الطلاب ، ضمّيناً ان تُسترد تكاليفه في غضون سنتين . ولكن قلماً يتوافر مثل هذا العدد في غير السنة الاولى الجامعية . اما في غيرها

من المستويات فقد يكون استهلاك الكتاب المتخصص بطيئاً الى حد لا تتحمله الجامعة ولا المجمع . حتى ولا دعم الدولة يضمن بقاءه طويلاً دون هزّات مبعثها التغيرات السياسية المطيبة .

لهذا ارى ان تتعاون مكاتب الترجمة والتنسيق ، وان يُسند بعضها بعضاً على نحو يتنقّل عليه وتتوّقع بصدقه انتقاليات . واود ان اترك تفاصيل هذا الامر الى لجنة العمل التي دعوت الى تكوينها . قد تكون احدى السبل ان تستند الدول العربية الفنية مكاتب الترجمة والتنسيق في الدول الاخرى . ومن السبل التي تبادر الى ذهني ، والحديث منحصر في الكتب التي تستعملها كليات العلوم ، توزيع اعباء الترجمة على هذه المكاتب ، بحيث يزداد كل مكتب المكاتب الاخرى بعدد من النسخ يضمن سرعة التصريف ومواكلة التغيير السريع في الكتب .

المطلوب على كل حال ، ان يكون بامكان كل مكتب ان يُقدِّم ، دون خسارة كبيرة ، على ترجمة كتاب علمي يعرف ان عدد الطلاب الذين يستعملونه لا يزيد عن عشرة في كل عام ، وانه قد يتضطر الى اهماله وترجمة غيره بعد خمسة اعوام . مثل هذا الكتاب لن تكون ترجمته مجديّة الا اذا استعمل على نطاق العالم العربي باسره .

اخْلُصُ ما نقدم الى ان مكتب الترجمة الذي في ذهني هو مكتب ترجمة وتعريف ونشر يتبع الجامعة او المجمع ، ويرتبط بالمكاتب الاخرى عن طريق اجتماعات سنوية توزّع فيها اعباء الترجمة ، وتحَدُّد التخصصات والارتباطات .

ليس في النية طرد اللغات الاجنبية من كليات العلوم ، بل انى ارى ان قد يكون من الاجدى تعريف بعض الطلاب في بعض التخصصات بالكثر من لغة اجنبية واحدة . وانا ابيح لنفسي ان انصرف لمعالجة الوضع في بلاد كالاردن ، اللغة الاجنبية فيه هي الانكليزية . والسؤال الان : كيف نضمن رفع مستواها لدى ابنائنا ، لا خضه ، في ظل التعريب ؟

وانسى انظر في هذا الامر نظرة واتعية ، قوامها النقاط المحددة التالية :

١ - ان طلابنا يأتون الى الجامعة بعد سنوات مدة ظلوا فيها يدرسون اللغة الانكليزية مع موضوعات تعليمية اخرى . هم ، في ظل هذا النمط التعليمي ، لا يجهلون الانكليزية كلية ، ولكنهم اولا : لست بحاجة لهم فرصة التحدث بها بالقدر الكافي ، ولا فرصة استعمالها في شؤون الحياة العامة ؛ ثم هم ثانيا : يجهلون المصطلحات والتعبيرات العلمية .

٢ - في تقديرى ان اي مساق يعطى لهؤلاء الطلاب في اللغة الانكليزية لا يرفع من مستواهم بالقدر المقصود ، سوى مساقات تنصب على دراستهم والتحدث مهم في موضوعات تخصصهم العلمية . هذه المساقات تعرّفهم بالمصطلحات والتركيبيات العلمية ، ولكنها ، كالمساقات التقليدية التي سبق لهم ان درسوها في المرحلة السابقة ، لا تحسن مستوى توظيفهم للغة في شؤون الحياة اليومية .

٣ - ان ما يضمن تحسين مستوى ابناءنا الى حد ملحوظ باللغة الانكليزية، تحدثنا وكتابة هو ارسالهم للعيش في محيط انكليزي لمدة ثلاثة اشهر الى سنة . ان ابناءنا يذهبون اليوم للتعلم في بلد لا يعرفون من لغته كلمة واحدة ، ثم هم بعد ستة اشهر يصبحون على علم بلغته يمكنهم من حضور المحاضرات والتحدث مع ابناء البلد .

٤ - وغنى عن البيان اننا نتمنى ان يحرص جميع ابناءنا على الاستزادة المستمرة من المعرفة ، ولكننا نعلم ان هذه امنية لا تتحقق الا بقدر محدود .

من هذا كلّه اخلص الى نتيجة واحدة اجدني مقتنعا بها ، هي ان تعريب التعليم في كليات العلوم ، مع اعطاء مساق تمهدى باللغة الانكليزية ، يعرّف الطالب بأعجم المصطلحات العلمية وببعض التعبيرات ؛ ثم مساقين او اكثر من ميدان تخصصه ، بالانكليزية ايضا ، يراعى

نبهها الالاح على استعمال الدوريات والبحوث التي تنشر فيها ،  
يخرج لنا طلابا اكثرا من نخرجهم الان اتقانا لمواضيعات تخصصهم ،  
وأقدر ايضا على استعمال المصادر الانكليزية العلمية . فمن شاء  
مزيدا من معرفة الانكليزية فليعيش في جو يتبع له ان يتعلم المزيد  
من الانكليزية تحدنا وكتابة .

ولا ينبغي ان ننسى اتنا او مينا بان يكون من واجبات كل طالب  
في كلية العلوم ان يمارس الترجمة من اللغة الانكليزية، استكمالا لمتطلبات  
نخرجه .

ارجو ان اكون قد وُقّت في طرح بعض المشكلات واقتراح بعض  
الحلول .

د. احمد سعيد

# تعريف العلوم الإنسانية

قضايا ومقترنات

للكتور محمود ابرهيم

( عضو بجمع اللغة العربية الأدبية )

مقدمة :

الاهتمام بالانسان ، يُسْمَى من سمات التراث العربي كُلّه .  
منذ جاهلية العرب ، كان الانسان وال العلاقات الإنسانية ، محور  
ما أُنْتَجَ من ادب العرب ، وجُلُّه شعر في ذلك الوقت . وحين انت  
دعوة الاسلام ، وتنزَّل بهذه الدعوة قرآن كريم ، كان الانسان ، فرداً ،  
وعضوا في جماعة ، موضع الاهتمام الكبير . وقد كُرِّمَ في النصوص  
القرآنية ، كما لم يُكُرِّمَ في اي نص : فـلا عجب اذن ان تكون  
الحضارة التي وُجِدت في ظل الاسلام قد رَكِّبَت تركيزا خاصا على  
الانسان ، حتى ليصبح القول إن من خصائصها الاولى اهتمامها  
بالانسان ، وإن لم تغفل البيئة التي عاش فيها الانسان ، والنواحي  
الطبيعية التي تحكمها . وما على المرء الا ان يستعرض النتاج الغير  
لهذه الحضارة ، لكي يرى موضع الانسان فيه ، والتغلغل العميق  
في احساس النفس الإنسانية وهواجسها وتطلّعاتها .

وهنا ينبغي التنبيه الى ان شأن الدراسات الإنسانية عند اية  
امة من الامم ، غير شأن الدراسات الطبيعية ، لأن الدراسات  
الإنسانية مرتبطة بذوات الامم ، معبرة عن شخصياتها المميزة ، فـهي  
حين ان الدراسات الطبيعية غير مرتبطة بذاتية امة معينة ، اذ هي  
نتاج القوانين الطبيعية العامة الشاملة ، التي لا تتغير بتغير المجتمعات  
والبيئات ، ولا تتأثر بخصائص الامم . ولذا فـان قيم الامم ومتطلباتها وقواعد

أخلاقها ، إنما تتراءى فيما يصدر عنها من دراسات انسانية ، قبل أي نوع آخر من الدراسات . ومعنى ذلك أن العلوم الإنسانية لامة ، يعني أن تكون مبنية عن ذاتها ، معبرة عن شخصيتها ، والا تعرّضت الأمة لمخاطر كبيرة ، قد تؤدي في النهاية إلى اذابتها حضارياً في أمم أخرى . وليس المقصود من هذا القول ، ان تنفلق كلّ أمة على نفسها في مجال العلوم الإنسانية ، فلا تطلع على ما لدى الأمم الأخرى ، وإنما المقصود أن يُكَيَّفَ ما يؤخذ عن الآخرين مما يُسْتَحْسَنُ ويُقْبَسُ حتى يصطبغ بصبغة الأمة المتَّبِّسة ، ويندمج في مُثُلِّها وقيمتها ، لكي يكون عنصر إثراء واغناء ، لا عنصر تسلّط وطغيان .

ولقد مرّ العرب بتجربة الاحتكاك بالعلوم الإنسانية عند الآخرين ، حينما احتلطوا ، زمن العباسيين ، بشعوب أخرى ذات تراث حضاري عريق ، فترجعوا عن كُتب الفرس ذات الصبغة الاجتماعية ، كما ترجموا عن كتب اليونان ذات الصبغة الفلسفية ؛ ولكنهم كانوا قادرين على ان يستوعبوا ما أخذوه عن الفرس واليونان معاً ، ويصبغوه بالصبغة الإسلامية ، لأنهم كانوا في مرحلة ثقة عارمة بالنفس جعلتهم قادرين على ان يطّوّعوا لما ياخذونه عن الآخرين لعقيدتهم وقيمهم ، بعد ان طوّعوا للفتنم ، ايمنا منهم اذ ذاك بأنهم كانوا يدينون بخير عقيدة ، وينكلمون خير لغة .

ومع ذلك ، فالناظر فيما ترجمه العرب في تلك الحقبة عن الآخرين في نطاق العلوم الإنسانية ، يرى انه أقلّ بكثير مما ترجموه في نطاق العلوم الطبيعية . وذلك امر طبيعي متوقع ، لأن ما كانوا يقترون اليه من العلوم الطبيعية كان كبيراً ، وهي علوم لا تَمَسّ ، كما ذكرنا آنفاً ، ذات امم وشخصياتها ، بسبب صبغتها الشمولية العلامة ، في حين ان اعتزاز العرب اذ ذاك بما لديهم من قيم انسانية مبنية عن عقيدتهم ، كانت تشعرهم انهم في غنى عما لدى الآخرين ،

وأنهم هم الذين يحملون رسالة إنسانية عامة ، من واجبهم أن ينقلوها إلى شعوب الأرض جميعا .

والذى ينبغي أن نذكره الآن ، هو أنه عندما اتصلنا في العصر الحديث بالعلوم الإنسانية الغربية ، لم يكن لدينا ناقة أسلاننا بالنفس ؟ بل على التقيض من ذلك ، كنا - وما نزال لسوء الحظ - نشعر بتنوّق الآخرين في كل شيء تقريبا ، وبالانسحاق أمامهم في كل شيء تقريبا كذلك . ولذا فانتا ونحن نأخذ عنهم علومهم الإنسانية ضمن ما نأخذ ، نتعرّض ، اذا لم نحسن التبّه ، الى مخاطر احلال قواعد محلّ قواعد ، وقيس محلّ قيم ، وبالتالي الى مخاطر اذابة شخصيتنا الحضارية في شخصية حضارية أخرى . وقد تفاقم هذا الخطر في الآونة الأخيرة ، بعد ان كانت حضارة الغرب ، بما توافر لها من امكانيات هائلة ، تطغى على حضارات الشعوب جميعا ، وبعد ان ولدت تجربتنا الصعبة مع الصهيونية وحلفائها ، الشعور بالاحباط عند الكثريين منا ، بكل ما ينتقى عن هذا الشعور من هوانٍ على النفس ، ونقدٍ قاس للذات يبلغ حدَ التهديم .

### العلوم الإنسانية في الجامعات العربية :

في نطاق الحديث عن تعريب العلوم الإنسانية في الجامعات العربية ، قد يقال إن القضية غير قائمة أصلا ، او هي قضية جزئية ، لأن العلوم الإنسانية : من ملمسة واجتماع وتربية وعلم نفس وعلوم سياسية واقتصادية ، الى غير هذه مما يدخل فيما اصطلاح على تسميته بـ « العلوم الإنسانية » ، تُدرّس فعلا باللغة العربية في الأغلبية الساحقة من الجامعات العربية ، وبخاصة جامعات المشرق العربي ؟ ولا يشذ عن ذلك الا عدد محدود من هذه الجامعات ، وبخاصة في المغرب العربي .

وهذا القول ، ولو انه صحيح من الناحية الاحصائية ، الا انه يغفل مجموعة من الامور التي لا بد من توافقها ، لكي يصبح

بوسعنا القول بأن هذه العلوم معرّبة فعلاً . ويمكن ايجاز هذه الامور فيما يلى :

١ - ان اللغة التي تدرس بها هذه العلوم في معظم الجامعات العربية ، انتها هي خليط من عربية ومفردات اجنبية ، وهي وبالتالي ليست اللغة العربية السليمة الموحدة ، التي ينفهمها ابناء العرب على اختلاف مواطنهم .

٢ - ان المصطلحات التي تُستعمل في التدريس ليست مصطلحات عربية موحدة ، ذات دلالات واحدة ؟ فهي تختلف من بلد الى آخر ، بل من جامعة الى اخرى ؛ وكثيراً ما تقدم بالفاظها الاجنبية ، حسب لغة البلد الاجنبي الذي تلّى فيه استاذ المادة ثقافته .

٣ - في كثير من الجامعات العربية ، لم تُجرِ محاولات لربط المصطلح الجديد بمصطلح عربي مقابل سبق أن استعمله اسلافنا ، واكتسب من خلال استعماله عبر القرون دلالات وايحاءات تاريخية وفكرية ووجودانية لا يمكن ان تتوافق في مفردة جديدة على الانزال العربية .

٤ - وفي كثير من الحالات كذلك ، يجري النقل من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية في العلوم الانسانية ، دون ادراك الناقل للخلفية الحضارية والاجتماعية للمادة المنقوله عن مصدر اوروبي او امريكي ، ولا بدّي توافق هذه المادة مع المجتمع العربي ، باوضاعه التاريخية ، والحضارية والاجتماعية الخاصة به . في حين ان الذي يتصدى لنقل مثل هذه المواد ، ينبغي ان يكون على علم باوضاع كلا المجتمعين المعنين : المجتمع المنقول عنه ، والمجتمع المنقول اليه ، حتى تُتقّدم المادة الى الطلبة ، وهم على بصيرة بخلفيتها عند الآخرين ، وبمدى توافقها مع مجتمعهم .

هـ - وقد يحدث ان يكون الناقل - مترجمًا كان ام مدرّساً - لا ينطاطف نكرياً ووجودانياً مع المجتمع العربي الذي ينتمي اليه ؟ بل قد لا يكون على بيّنة من تاريخ هذا المجتمع ، وما ارتبط به من نُظم وقواعد وقيم ، ومن التطورات التي مر بها عبر تاريخه ؛ فكثيرون هم مدرسون العلوم الإنسانية الذين كانت جميع دراساتهم التالية للمرحلة الثانوية في جامعات أجنبية لا تُعنى أساساً بالمجتمع العربي ، بل قد لا تدخل ما يرتبط به وبمقومات الحياة فيه في مناهجها ، فيتخرج الطالب العربي في هذه الجامعات وهو يكاد لا يعرف شيئاً عن المجتمع الذي ينتمي اليه أصلاً ، في حين انه يعرف بحكم دراسته أشياء كثيرة عن المجتمعات الأخرى : من يونانية ورومانية قديمة ، الى أوروبية وأميركية حديثة . وحين يعود الى بلده للعمل في جامعاتها ، لا يدرك ، وهو ينقل علمه الى طلبه ، ان طبيعة المادة التي يدرّسها ليست ذات صبغة عالمية ثابتة ، بل هي قابلة للتكييف والتغيير بتغيير البيئات الاجتماعية التي تدرس فيها .

والخطير في مثل هذه الحالة بين ، إذ أن تداخل القيم والقواعد السلوكية والمعيشية ، وتضارب هذه القيم والقواعد أحياناً ، يُحدث اضطراباً في التنوّس ، وبخاصة في نقوسِ غضّة كنفوس الطلبة ، تكون في دور التخلّع الى القيم والمثل والانتماء التي تبني عليها المواطنـة الواحدة في البلد الواحد ، او الانتفاء الواحد في الامة الواحدة ، كما هي الحال بالنسبة الى طيبة العرب ، وامة العرب .

### التعرّيف في صورته الصحيحة :

ايّ نوع من تعرّيف العلوم الإنسانية نريد اذن ، اذا اردناه تعرّيفاً سليماً بريئاً من الثغرات والمحذورات المذكورة آنفاً ؟ ان طبيعة هذه الثغرات والمحذورات، كما اوضحت آنفاً ، هي ، الى حد كبير ، مؤشر الى طبيعة التعرّيف الذي نريده للعلوم الإنسانية التي

تُدرّس في الجامعات العربية ؟ ولكن التعرّيف الذي نريده لهذه المعلوم في نطاق الجامعة ، ينبع من أن يتناول كذلك أموراً أخرى ؟ فليس التعرّيف بمقتضى على أن تكون لغة التدريس هي اللغة العربية السليمة ، بل لا بد كذلك من أن تُجرى بحوث علمية في نطاق هذه العلوم باللغة العربية ، حتى يدرك المشتغلون بهذه العلوم على جميع المستويات ، أن اللغة العربية يمكن أن تكون لغة البحث العلمي في هذا الميدان ، شأنها في ذلك شأن أيّة لغة أجنبية تُنشر بها بحوث في العلوم الإنسانية في الدوريات العلمية . والذي ينشر بحثاً في العلوم الإنسانية باللغة العربية في مجلة علمية ، لن يصعب عليه أن يؤلف كتاباً في هذه العلوم باللغة العربية ، لكنه يُشمر الطالب والقارئ العربي من أي نوع أنه قادر على أن يجد المرجع الذي يتراوّف فيه في هذه العلوم بلغته ، مثلما أنه قادر على أن يستمع إلى من يتحدث في هذه العلوم باللغة العربية ، وحتى تصبيع مفردات هذه العلوم ومصطلحاتها في متناول القارئ العربي أيّها كان ، فتشيع على اللسانة ، ولا تتحصر بين مدرس وطالب في قاعة محاضرات داخل أسوار الجامعة .

### المدرس :

كثيراً ما يقال إن تعرّيف التعليم الجامعي ، في جميع المواد لا في مواد دون أخرى ، هو أبنية جميلة ، ولكنه صعب التحقّق ، لأن المدرس الجامعي غير قادر على أن يدرّس مادته لطلبه باللغة العربية ، بعد أن تلقى هو هذه المادة بغير اللغة العربية . والمدرس كان وما يزال ، أهمّ عنصر في العملية التعليمية ؛ وإذا لم يكن هو مُعدّاً لأن يُدرّس باللغة العربية ، فلا يمكن لشيء آخر أن يجعل التعليم بهذه اللغة ممكناً .

وهذا القول يعجز المدرس عن التدريس باللغة العربية ، لا بثبت كثيراً للتحميس الدقيق ، كما يتبيّن مما يلى :

١ - اذا افترضنا اولا ان المدرس المعنى لا يعرف العربية اطلاقا ،  
لانه اجنبي ، فان ذلك لا يكون مشكلة حقيقة ، لأن عدد مدرسي  
العلوم الانسانية من الاجانب في البلاد العربية قد تضاعل  
الآن الى حد بعيد ، حتى غدت جامعات عربية كبيرة ،  
ليس فيها اجنبي واحد يدرس هذه العلوم ( باستثناء مدرسي  
اللغات الاجنبية طبعا ) . وهذا العدد القليل جدا من المدرسين  
الاجانب تحمل مشكلته بان يتبدل به مدرسون عرب ،  
وإن استبقي بعض من الاجانب لتفوق في مادة تخصصه ، فلا  
باس من ان يدرس جزءا من المنهاج في اطار مادته باللغة  
الاجنبية ، لبقاء الطلبة على صلة بالمصطلح الاجنبي والمراجع  
الاجنبية . بل ان من المفيد ، حتى في حالة عدم وجود مدرس  
اجنبي في قسم من اقسام العلوم الانسانية في جامعة عربية ،  
ان يُعطى للغرض عينه بعض محاضرات بلغة اجنبية يلقبها  
مدرس عربي . وقد مررنا في قسم اللغة العربية بالجامعة  
الأردنية بمثل هذه التجربة حين حاضر بعض المدرسين العرب  
في القسم باللغة الانجليزية ، في مادة النصوص الاستشرافية  
المكتوبة بذلك اللغة .

٢ - أما بالنسبة الى المدرسين العرب ، فان التدريس بلغة غير  
العربية في مادة العلوم الانسانية ، اصبح لا يتسق مع واقع هؤلاء  
المدرسين بحكم مصادر ثقافاتهم ، فقد ذهب الزمن الذي كانت  
الانجليزية او الفرنسية فيه اللغتين الاجنبيتين الوحيدةتين اللتين  
يتعلم بهما الانسان العربي في الخارج ؛ اذ اصبح هذا الانسان  
يدرس في عدد كبير من اقطار العالم بلغات تختلف باختلاف القطر  
الذي يدرس فيه ، مما يجعل تدريس الطلبة العرب بلغة البلد  
الذي درس فيه المدرس أمرا غير عادي ؛ ولم يبق والحالة هذه  
الا ان يجرى التدريس باللغة المشتركة الوحيدة بين المدرس  
وطبلته العرب ، وهي اللغة العربية .

وهنا نعود الى الدعوة الثالثة بعدم قدرة المدرس الجامعي على ان يدرس باللغة العربية ؛ ويرد على ذلك ما يلى :

١ - لا يمكن الادعاء بأن انسانا نشا في مجتمع عربي ، ودرس مدة اثنى عشر عاما على الاقل خلال مرحلة التعليم العام باللغة العربية ( هذا اذا لم يدرس بعد ذلك في اية جامعة عربية ) يمكن ان يكون اعججيا غير قادر على الابانة ، مجرد انه قضى بضع سنوات من عمره في بلد اجنبي . وحتى ان تتعذر هذا المدرس في بداية تدريسيه بلغته القومية ، فان الممارسة والمران كثيرون بأن يزيلوا هذا التعمّر تدريجيا ، الى حين التخلص منه نهائيا . وغير خاصٍ ما يبني على التعليم باللغة القومية من آثار ايجابية على المتعلمين ، لتفاعلهم مع الانكارات المتقدمة بلغتهم القومية أضعاف تفاعلهم مع انكارات تقدم اليهم بلغة اجنبية .

٢ - وحتى نساعد مدّرسى هذه العلوم على الاداء عن انفسهم بيسر ودقّة في اللغة العربية ، يُقترح ما يلى :

١ - استئثار هؤلاء المدرسين على مطالعة الكتب المكتوبة بالعربية ذات العلاقة بتخصصهم ، ولا سيما كتب التراث العربي ، التي تقدم نتائجها أفكارا ومادة لغوية ذات علاقة بالعلوم الإنسانية ، بما في ذلك المصطلح الفناني العربي ، الذي يمكن اقتباسه والاستفادة منه . ومع كتب التراث القديمة ، يمكن للمدرس بالطبع ، ان يستفيد كذلك من الكتابات العربية الحديثة المرتبطة بالعلوم الإنسانية .

ب - اناحـة الفرصة لبرنامج تبادل بين مدّرسى هذه المواد في الجامعات العربية ، حتى يتاح للمدرسين حديثي المهد باستعمال اللغة العربية في التدريس ، ان يشهدوا تدريس هذه المواد في الجامعات العربية التي تبرأتت بتدريسيها

**باللغة العربية ، وأن يشاركون هم في عملية التدريس بالعربية ؟ ولكي بناءً كذلك لطلبة الجامعات العربية حديثة المعهد باستعمال العربية في التدريس ، ولدرسيهم ، فرصة الاستماع إلى مدرسین زائرين أفسوا التدريس بالعربية ، وهم بحاضرون بهذه اللغة .**

**ج - تنظيم دراسات للتقوية في اللغة العربية تُعَد خصيماً ل الدراسي العلوم الإنسانية ، ويُعَتمَد فيها على نصوص مختارة من مواد تلك العلوم ، ما بين قديمة وحديثة ، تتكون هي المحور الذي ينطلق منه في عملية التقوية ، وذلك بغرض اكتساب المهارات اللغوية ، بما في ذلك التعبير غير المتعثر مشافهةً وكتابةً بالعربية ، ومن أجل الالفة بالنص العربي المرتبط بالعلوم الإنسانية . وقد يدخل في هذه الدراسات كذلك أعمال ترجمة من اللغة العربية واليها في نطاق تلك العلوم ، وكتابة تقارير وبحوث تعصيرة فيها باللغة العربية .**

**د - وقد يكون مما ينفي ، حيثما توافرت الامكانيات ، أن يحضر هؤلاء المدرسون بعض المحاضرات في كليات التربية الموجودة في جامعاتهم ، للإستماع إلى أساليب تدريس العلوم الإنسانية التي تقع ضمن اختصاصاتهم ؛ اذ ان نسبة الكبير من العناصر المشتركة في عملية تدريس مواد معينة ، حتى في مستويات تعليمية مختلفة ، ولا سيما ونحن نركز هنا على اللغة التي يجري بها التدريس .**

#### **المطلع :**

**ومن أوائل القضايا التي يوردها المخوفون من تعريب التعليم الجامعي بشكل عام ، قضية المصطلح ، انطلاقاً من نكرة صحيحة ،**

مؤداتها ان المجتمع الذي ينبع الماداة العلمية ، ينبع معها مصطلحاتها . وبما ان مجتمعنا ما يزال عالى على الانتاج العلمي الغربي ، الذى يتتسارع في عصرنا هذا بصورة لم يسبق لها مثيل ، فإنه سيواجه هذه المصطلحات الأجنبية الكثيرة التي تتتسارع مع تتسارع الانتاج العلمي . و اذا امكن لشعوب لم تمر لغاتها بالتجربة الحضارية التي مرت بها الامة العربية ، ان تتجاوز هذه الصعوبة ، فتدرس وتكتب وتألف في العلوم الحديثة كلها بلغاتها ، فان بامكاننا ان نتجاوز هذه الصعوبة كذلك اذا ما قررنا نحن مواجهتها ، وخطّطنا لايجاد حل لها ، على أساس العمل الجماعي المنظم .

وأول ما ينبغي فعله في هذا السبيل ، التخلص نهائيا من موقف الكثرين من اللغة العربية واللغات الأجنبية ، وهو موقف الاعجاب والاكتبار للفنون الأجنبية ، واعتبارها لغات العلم والمعرفة والحضارة القادرة على مواكبة الحياة الحديثة ؛ وموقف الاستضعف لشأن اللغة العربية ، واعتبارها لغة الماضي ، او على اكتر تقدير ، لغة الشعور والعواطف والادب ، لا لغة العلم والمعرفة ، المبنية عن الحياة المعاصرة .

وحين نتخلص من هذه العقدة ، يمكن ان نسر في حل مشكلة المصطلح في العلوم الإنسانية على ضوء مجموعة من الحقائق ، تلخصها فيما يلى :

١ - ان المصطلحات المستجدة الخاصة بالعلوم الإنسانية هي في الواقع ، اقل بكثير من نظيراتها الخاصة بالعلوم الطبيعية والتطبيقية .

٢ - ان تراثنا العربي ، بدءاً بالقرآن الكريم والسنّة النبوية ، ومروراً بمؤلفات أدباء العربية وكتابها الكبار عبر القرون ، حافلة بالمصطلحات المتعلقة بالعلوم الإنسانية ؟ وهذه المصطلحات ؟

حين تفرغ وتنظم في جداول حسب موضوعاتها ، كثيلة بان <sup>تمد</sup>  
الدارس بالكثير مما يحتاج اليه من الانفاظ التي يتلمسها للدلالة  
على معانٍ جديدة عليه . وفضل هذه الانفاظ على غيرها ،  
انها قد اكتسبت  <sup>عبر تاريخ استعمالها في البنية العربية ،</sup>  
دلالات وايحاءات لا يمكن ان تكون للفاظ اخرى ، فضلاً عن  
انها استُخدِمت في ظل حضارة وقيمة عربية ، وتراث عربية  
في الحياة .

٢ - واذا عَزَّ اللُّغَةُ الْعَرَبِيُّ لِمُصْطَلِحِ الْجَنْبِيِّ جَدِيدٌ ، فَمِنَ الْأَنْفَلِ  
أَنْ يُنْظَرَ فِي تَلْمِيسِ الْمُصْطَلِحِ الْعَرَبِيِّ الْمُقَابِلِ إِلَى وَظِيفَةِ الْمُصْطَلِحِ  
الْجَدِيدِ ، أَوْ إِلَى مَدْلُولَهُ النَّعْلَى فِي لُغَتِهِ . وَلَقَدْ مَرَرْنَا فِي مَجْمِعِ  
الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَرْدَنِيِّ بِهَذِهِ التَّجْرِيَّةِ ، فِي مُصْطَلِحَاتٍ تَمَكَّنَتْ  
إِلَى مِيَادِينِ عِلْمٍ مُخْلِفَةً ؛ وَكَانَ نَسْتَرِشُدُ بِوَظِيفَةِ الْمُصْطَلِحِ  
الْجَنْبِيِّ ، وَلَا سِيمَا إِذَا لَمْ يَسْعَفْنَا الْبَنَاءُ الْلُّغُوِيُّ لِلْمُصْطَلِحِ ،  
فَنَجَدْ فِي ذَلِكَ عَوْنَا لَنَا فِي تَقْدِيمِ الْمُقَابِلِ الْعَرَبِيِّ . وَقَدْ يَشَدُّ  
لُغَتِ الْمُصْطَلِحِ ، وَقَدْ يَؤْخُذُ جَمْلَةً كَمَا هُوَ أَنْ كَانَتْ لَهُ صِيَغَةٌ  
عَالَمِيَّةُ لَا تَحْصُرُهُ فِي نَطَاقِ لُغَةٍ دُونَ أُخْرَى .

٤ - ولکسی يمكن امداد المترجم او المدرس بذخیرة من المصطلحات  
في مادة تخصصه ،  <sup>تلمس</sup> هذه المصطلحات في المعجمات الاجنبية  
المخصصة ، ومن ثم  <sup>تلمس</sup> لها المقابلات العربية .

٥ - واذا كان الامر يستدعي في البداية ان  <sup>يضم</sup> مصطلحات كل  
فرع من فروع العلوم الانسانية كراسٌ خاصٌ بها ، فان  
الهدف النهائي ينبغي ان يكون وضع معجم كبير لمصطلحات  
العلوم الانسانية ، يكون عوناً للدارس والمدرس على السواء ،  
ويضم بين دفتريه المصطلحات المأخوذة من تراثنا ، اضافة الى  
المصطلحات المستجدة . وقد يكون من الخير ان يحتوي هذا  
المعجم على الفاظ مقابلة بلغة اجنبية واحدة على الاقل ، لما في

ذلك من مون للباحثين والمت�رجمين في إطار هذه العلوم . وهذا المجمـ، كـيـ مـجمـ آخر ، يـكون قـابلـاـ للـتنـبـحـ وـالـزـيـادـةـ ، لـسـيـ فـنـرـاتـ زـمـنـيةـ مـتـقـنـاـ مـلـيـمـاـ .

٦ - وـغـنـيـ عـنـ الـبـيـانـ ، أـنـ جـهـودـاـ كـهـذـهـ لـاـ يـكـنـ أـنـ تـكـوـنـ فـرـديـةـ ، وـذـلـكـ بـسـبـبـ ضـخـامـتـهاـ وـعـجـزـ الـأـنـدـارـادـ مـنـ الـقـيـامـ بـهـاـ ، وـلـاتـنـتـلـعـ إـلـىـ اـيـجادـ الـمـصـلـطـحـ الـعـرـبـيـ الشـامـلـ ، لـاـ الـمـصـلـطـحـ الـخـاصـ بـيـلـدـ دـوـنـ آـخـرـ . وـكـثـيرـ مـنـ الـمـشـكـلـاتـ الـتـيـ نـوـاجـهـمـاـ فـيـ تـعـرـيفـ الـعـلـمـ الـإـنـسـانـيـ ، اـنـمـاـ كـانـتـ نـتـيـجـةـ اـنـبـاقـ الـمـصـلـطـحـ مـنـ جـمـدـ فـرـديـ اوـ اـقـلـيمـيـ ، دـوـنـمـاـ تـنـسـيقـ بـيـنـ الـجـهـودـ عـلـىـ نـطـاقـ الـوـطـنـ الـعـرـبـيـ كـلـهـ .

٧ - ولـتـوحـيدـ الـمـصـلـطـحـ عـلـىـ نـطـاقـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ ، وـلـامـكـانـ الـقـيـامـ بـالـجـهـودـاتـ الـكـبـيرـةـ الـتـيـ تـنـتـلـعـبـاـ عـلـيـهـاـ عـلـيـةـ التـوـحـيدـ ، ثـمـ عـلـيـةـ الـطـبـاعـةـ وـالـنـشـرـ ، يـمـكـنـ السـيرـ فـيـ خـطـوـاتـ لـمـ تـُمـدـ مـجـهـولـةـ لـمـ شـارـكـواـ فـيـ اـعـمـالـ التـعـرـيفـ ، وـالـهـيـنـاتـ الـتـيـ تـنـتـلـعـهـاـ وـتـشـرـفـ عـلـيـهـاـ فـيـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ ؟ـ وـهـيـ كـمـاـ يـلـيـ :

أ - تـقـومـ الـهـيـاةـ الـمـحـلـيـةـ فـيـ بـلـدـ عـرـبـيـ بـمـجـهـودـ عـلـىـ مـسـتـوـىـ ذـلـكـ الـبـلـدـ ، فـيـ عـلـيـةـ تـعـرـيفـ الـمـصـلـطـحـاتـ .ـ وـهـذـهـ الـهـيـاةـ ، غـالـبـاـ مـاـ تـكـوـنـ مـجـمـعاـ لـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ ، إـنـ وـجـدـ ، اوـ جـامـعـةـ ، اوـ اـيـةـ مـؤـسـسـةـ مـعـنـيـةـ بـاـعـمـالـ التـعـرـيفـ ، مـثـلـ لـجـانـ التـعـرـيفـ وـالـتـرـجـمـةـ وـالـنـشـرـ الـوـطـنـيـةـ .

ب - تـُرـسـلـ حـصـيـلـةـ هـذـاـ الـجـهـودـ إـلـىـ اـتـحـادـ الـجـامـعـ الـعـرـبـيـةـ ، وـمـكـتبـ تـنـسـيقـ التـعـرـيفـ فـيـ الـرـيـاطـ ، وـالـمـنـظـمـةـ الـعـرـبـيـةـ لـلـتـرـبـيـةـ وـالـقـنـافـةـ وـالـمـلـوـمـ .

ج - تـُنـسـمـ هـذـهـ الـحـصـيـلـةـ إـلـىـ نـظـائـرـهـاـ فـيـ كـرـاسـ يـخـصـصـ لـكـلـ مـادـةـ ، وـتـقـدـمـ الـكـرـاسـاتـ الـمـخـلـفـةـ إـلـىـ مـؤـتـمـرـ التـعـرـيفـ

العلم الذي ينعقد مرة كل ثلاث سنوات ، وتناثش  
متفرقات البلاد العربية المختلفة من خلال لجان تبثق  
من المؤتمر ، وتختنق كل منها بمادة من المواد .

د - يمثل ما اتفقت عليه هذه اللجان تبنياً على مستوى  
العالم العربي لمصطلحات معينة . واذ تطبع هذه  
المصطلحات وتوزع ، فان كل بلد عربي ، في جامعته  
ومؤسساته المختلفة ، يكون ملتمساً أبيبها بالأخذ بها  
واستعمالها .

ه - وحين تتكامل هذه المصطلحات ، وتشمل مراحل التعليم  
المختلفة ، ينبغي ان تجمع في معجم منتٍ يضمها جميعاً .

ولا بد هنا من التنويه بالجهد الذي يبذلته مكتب تنسيق التعریف في الرباط ، في جمع المصطلحات المرتبطة ببيانين معرفة مختلفة وتنسيقاً ، وآخرتها في كراسات ، فضلاً عن نشره طائفة كبيرة من هذه المصطلحات في (اللسان العربي) ، المجلة التي تصدر عن المكتب . وحيثما لو كانت الاستفادة من هذه الكراسات والمجلة على نطاق اعمق وأوسع في البلاد العربية ، اذ ان الكثرين ، حتى من المختصين ، لم يستفيدوا ، او لم تتع لهم فرصة الاستفادة ، من محتوياتها .

ومما يرتبط بموضوع المصطلحات في الدراسات الإنسانية ، ان يُتفق على ان توضع في نهاية كل كتاب يترجم الى العربية من لغة اجنبية ، قائمة بالمصطلحات التي وردت في الكتاب ، مع مثيلاتها العربية التي استعملت في الترجمة ؛ لأن في ذلك فائدة لقارئ الكتاب ، ولأن حصيلة هذه القوائم ستكون من الرواند التي تردد عملية التعریف المستمرة .

## المنهاج :

قد يبدو الحديث من المنهاج في موضوع تعریف العلوم الإنسانية امراً خارجاً عن الموضوع ؛ ولكن اذا نهمنا تعریف هذه العلوم بالمعنى الواسع ، الذي يتتجاوز مفهوم الترجمة ونقل المفردة الأجنبية الى العربية ، فان منهاج هذه العلوم يدخل مباشرة في موضوع التعریف ، لأن تعریف العلوم الإنسانية ، ينبغي ان یفهم منه كذلك ارتباط هذه العلوم بمواد دراسية تتصل بالمجتمع العربي في حاضره وماضيه ومستقبله على السواء . ونحن اذا استعرضنا مناهج التربية وعلم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد ، على سبيل المثال ، فاننا ٹلماً نجد في هذه المناهج مادة كافية عن مبادئ التربية العربية الإسلامية ، او اشكال تطبيقها ، او عن النظرية الاجتماعية الإسلامية ، وما أُنجز في هذا الميدان من دراسات ، او عن الاقتصاد الإسلامي كما يمكن استخلاصه من النظرية والتطبيق .

ثم ان هذه المناهج ، تَلَّ ان ترتكز على المجتمع العربي الحديث ، في دراسة اوضاعه الراهنة ، واستقصاء حاجاته ، وَتَمَسَّ الطحول لمشكلاته . فالدراسات الإنسانية ليست مجرد دراسات نظرية ، بل هي ، في الدرجة الاولى ، دراسة لمجموعة الناس التي ينتمي اليها الطالب ، او هكذا ينبغي ان تكون . وهي وبالتالي ينبغي ان تكون في الجامعات العربية دراسة للمجتمع العربي في حاضره وماضيه ، قبل ان تكون دراسة لمجتمعات اخرى . وتعریف هذه العلوم ينبغي ان یُفهم منه ، ضمن ما یُفهم ، توجيهها لخدمة الانسان العربي والمجتمع العربي ، من اجل صياغة الفكر العربي ، والاتجاهات والواقف العربية ؛ لأن هذه العلوم ، دون غيرها ، هي التي تحدد هويات الأمم ، وهي التي تُعرف ابناءها بماهية المجموعة الإنسانية التي ينتسبون اليها : بتراثها الماضي ، ووضعها الحاضر ، وتطوراتها نحو المستقبل .

واذ ندعو الى ان تعلق في مناهج العلوم الانسانية تضليلاً  
الانسان والمجتمع العربين ، لكي لا تكون هذه المناهج نُسخاً عن  
مناهج وضمت لمجتمعات غير مجتمعنا ، فاننا لا نقول بالانقطاع عن  
العلم الخارجي ، وما توصل اليه هذا العالم من انكار ونظريات تتعلق  
بهذه العلوم ، ومن تجارب في نطاق مادتها ؛ غير ان ذلك ينبغي  
تناوله بالقدر الذي يمكن الاستفادة منه في مجتمعنا وبينتنا ، حتى  
لا يشعر طالب التربية، مثلاً ، انه يعالج امور التربية في امريكا ، ولكن  
لا يشعر طالب الاقتصاد ان تضليلاً السوق الاوروبية المشتركة ، مثلاً ،  
نطفي على التضليلا الاقتصادية التي يواجهها العالم العربي ، والبلد  
الذي يعيش فيه .

ولما كان مدرس المادة في الجامعة هو الذي يضع ، في المعتاد ،  
مناهج مادته ، فإنه مدعوًّا الى أن تكون هذه المادة عربية الاهتمامات  
بالدرجة الاولى ، مع ضرورة الالتزام بايام نظريات او تجارب عالمية  
نافعة يستفاد منها جميعاً ، باعتبارها ادوات معايدة يستخدمها  
الباحث للوصول الى الحقائق .

### الترجمة :

عملية التعریف في العلوم الانسانية ، كما في اي نوع من علوم  
العصر ، تقتضي ترجمة كتب أجنبية كثيرة الى اللغة العربية .

ون تلك بديهية من البديهيات ، لا تحتاج الى تبرير او تعليل .  
ولكن يبقى ان نتساءل عن نوعية الكتب التي تُترجم ، والكيفية التي  
تُجري بها الترجمة ، لانه لا يمكن ان يترك امر ترجمة الكتب الى  
الافراد وحدهم ، لكي يختاروا ما يشاؤن منها ويتربّصوا بها .

ولعل النقاط التالية ، تمثل ايجازاً لمجموعة من التصورات  
في هذا الشأن :

ا - تتكّون باشراف اتحاد الجامعات العربية لجان ، يختص كلّ واحدة منها بواحد من العلوم الإنسانية ، وتضمّ أعضاء هيئات تدريس مختصين من جامعات عربية مختلفة ، لاختيار أممات الكتب في الموضوع المعنى ، من أجل نقلها الى العربية .

ب - يوكل الى كل بلد عربي ، من خلال جامعاته المثلثة في الاتحاد ، ترجمة كتب معينة من تلك التي اختارتها اللجان المختصة ، حسب امكانيات البلد البشرية والمالية ، واللغة الأجنبية الشائعة فيه .

ج - تتعاون الجامعات العربية في كل بلد عربي مع مجاميع اللغة العربية حينما وجدت ، ومع اية هيئة او افراد يمكن ان يسموها في عملية الترجمة ، وتضطلع هذه الجامعات ببنقات الترجمة والطباعة .

د - تستفيد الجامعات العربية جميعها من الكتب المترجمة ، بأن تقتني منها في مكتباتها ، وبيان تتيح لمن شاء من طلبتها الحصول عليها .

ه - تجتمع هذه اللجان اجتماعات دورية ، كل ثلاث سنوات على الاقل ، من أجل اقتراح كتب جديدة للترجمة .

و - يوصى بان يكون مثل هذه الترجمات ، حين يضطلع بها اعضاء هيئات التدريس ، سبيلا الى الترقية في المراتب الاكاديمية .

ز - لتسهيل عملية الطباعة والنشر ، قد يكون من المفيد ان تنشأ في كل جامعة عربية ، كما هي الحال في الجامعة الاردنية ، دار للنشر ، تتولى الاتفاق على الترجمة والطباعة ، وتقسم بعملية النشر .

ح - ايمـا ترجمـة لكتـب في جـامـعـة عـربـيـة ، يـعمـ خـبـرـها عـلـى جـمـيعـ الجـامـعـات ، ومـجـلـعـ اللـفـةـ العـربـيـة ، وـالـنـظـمـةـ العـربـيـةـ لـلـتـرـبـيـةـ وـالـقـانـونـ وـالـعـلـومـ ، وـمـكـتبـ تـسـقـيقـ التـعـرـيفـ فـيـ الرـيـسـطـ ، اـحـتـراـزاـ مـنـ اـزـدواـجـ الـجـهـدـ وـالـنـقـلـ .

ويـجـعـرـ القـولـ هـنـاـ إـنـ لـجـعـ اللـفـةـ العـربـيـةـ الـأـرـدـنـيـ تـجـربـةـ مـتوـاضـعـةـ نـاجـحةـ فـيـ تـرـجـمـةـ الـكـتـبـ الـعـلـمـيـةـ ، اـذـ اـخـتـارـ الـجـمـعـ ، بـعـرـفـةـ الـمـخـصـصـينـ فـيـ كـلـيـةـ الـعـلـومـ فـيـ جـامـعـةـ الـأـرـدـنـيـةـ ، مـجـمـوعـةـ مـنـ الـكـتـبـ الـتـيـ تـدـرـسـ فـيـ السـنـةـ الـأـوـلـىـ فـيـ أـقـسـامـ الـكـلـيـةـ الـمـخـلـلـةـ ، وـكـلـفـ مـجـمـوعـةـ مـنـ اـسـاـنـدـةـ جـامـعـةـ الـأـرـدـنـيـةـ وـجـامـعـةـ الـيـرـموـكـ تـرـجـمـتهاـ . وـقـدـ سـارـ الـعـلـمـ فـيـ تـرـجـمـةـ سـيرـاـ مـرـضـيـاـ ، وـسـتـكـونـ تـرـجـمـاتـ الـعـربـيـةـ جـمـيـعـهـاـ فـيـ مـنـتـاـولـ لـيـدـيـ الـطـلـابـ ، باـذـنـ اللـهـ ، قـبـلـ نـهـاـيـةـ عـامـ ١٩٧٩ـ /ـ ٨٠ـ ، مـعـ قـوـائـمـ فـيـ نـهـاـيـةـ كـلـ كـتـبـ مـتـرـجـمـ ، تـضـمـ الـمـصـلـحـاتـ الـوارـدـةـ فـيـ الـكـتـابـ ، مـعـ مـقـابـلـاتـهـ الـعـربـيـةـ . وـقـدـ أـحـيـطـ الـجـامـعـاتـ الـعـربـيـةـ وـمـجـامـعـ الـلـفـةـ الـعـربـيـةـ وـالـنـظـمـةـ الـعـربـيـةـ لـلـتـرـبـيـةـ وـالـقـانـونـ وـالـعـلـومـ عـلـمـاـ بـذـلـكـ . وـالـمـتـوـقـعـ الـأـنـ تـنـتـصـرـ الـاسـتـادـةـ مـنـ هـذـهـ الـكـتـبـ عـلـىـ جـامـعـتـيـ الـأـرـدنـ ، بـلـ سـتـكـونـ عـامـةـ فـيـ الـجـامـعـاتـ الـعـربـيـةـ كـلـهـاـ . فـاـذاـ اـسـطـاعـ الـجـمـعـ الـأـرـدـنـيـ ، بـامـكـانـيـاتـ الـمـوـاضـعـةـ ، اـنـ يـشـرـفـ عـلـىـ هـذـهـ الـتـرـجـمـاتـ وـيـنـقـذـهـاـ ، فـمـاـ الـمـكـانـيـاتـ الـمـتـضـامـنـةـ لـلـجـامـعـاتـ الـعـربـيـةـ ، كـتـبـلـةـ بـاـنـ تـنـتـجـ اـسـعـافـ مـاـ اـنـتـجـهـ هـذـاـ الـجـمـعـ . وـاـمـلـ وـطـيدـ فـيـ اـنـ تـسـاعـدـ هـذـهـ الـكـتـبـ الـمـتـرـجـمـةـ عـلـىـ الـبـدـءـ ، فـيـ اـتـرـبـ وـقـتـ مـمـكـنـ ، بـالـتـدـرـيـسـ بـالـلـفـةـ الـعـربـيـةـ فـيـ كـلـيـةـ الـعـلـومـ فـيـ جـامـعـةـ الـأـرـدنـيـةـ .

وـبـمـاـ اـنـ تـتـبـعـ الـمـسـتـجـدـ فـيـ عـلـومـ الـعـصـرـ عـالـمـ اـنـهـ يـلـتـئـمـ عـادـةـ فـيـهـ تـشـرـهـ الدـورـيـاتـ الـعـلـمـيـةـ ، فـاـنـ مـنـ الـمـفـدـ جـداـ اـنـ تـحـيـاـ تـوـصـيـةـ كـانـتـ قدـ اـتـخـذـتـ فـيـ حـلـقـةـ الـتـرـجـمـةـ الـتـيـ اـنـعـقـدـتـ فـيـ الـكـوـيـتـ عـامـ ١٩٧٣ـ ، وـمـؤـدـاهـاـ اـنـ تـصـدرـ عـنـ الـنـظـمـةـ مـجـلـةـ عـلـمـيـةـ ، تـنـشـرـ فـيـهـاـ تـرـجـمـاتـ الـبـحـوثـ الـتـيـ تـتـخـرـجـ لـاهـيـتـهاـ ، وـمـثـلـ هـذـهـ الـمـجـلـةـ ، اـنـ وـجـدـتـ ، يـشـارـكـ فـيـ الـكـتـابـ فـيـهـ اـسـاـنـدـةـ الـمـخـصـصـونـ فـيـ اـيمـاـ جـامـعـةـ مـنـ الـجـامـعـاتـ الـعـربـيـةـ .

وقد يتبني اتحاد الجامعات العربية نشر هذه المجلة ، وتحمّل  
م الموضوعاتها ، وتوزيع مادتها الاصيلية على الجامعات العربية للقيام  
بترجمتها . ومثل هذا المشروع لو خرج الى حيز التنفيذ ، فانه  
سيكون ذا فائدة مزدوجة ، لانه يصل المختصين بالجديد من البحوث  
في ميادين اختصاصهم ، وبهيئة لهم الفرصة لنقل المادة المكتوبة  
بلغة أجنبية الى اللغة العربية ، بما يحمله هذا النقل من استعمال  
للغة العربية في التعبير عن هذه العلوم في احدث اوضاعها ومعطياتها ،  
ومن تعریف المصطلحات التي تَرِدُ في بحوثها . وهنا يجدر ايضاً  
ان تتبع كل ترجمة لبحث من البحوث بقائمة تضم ما ورد فيه من  
مفردات اصطلاحية ، تُكتب بكلتا اللغتين : العربية والاجنبية .

#### التاليف والنشر :

اما حديث عن التعریف لا بد ان يُذكر فيه ، في معرض تعداد  
الصعوبات ، قلّة المراجع باللغة العربية . وهذا التهیب من التعریف ،  
والتحدث عن الصعوبات التي تكتنفه ، سبقيان على الاسنة الى  
ان يُخلل المسؤولون عن التعریف فعلاً في التجربة ؛ فمثل هذا التهیب  
كان قائماً في السودان بالنسبة الى تعریف التعليم الثانوي ، قبل  
ان يصبح هذا التعریف حقيقة واقعة ؛ وهو ما يزال قائماً بالنسبة الى  
بعض مراحل التعليم العام في بعض من اقطار المغرب الشقيقة .  
والواقع انه بالنسبة الى العلوم الانسانية ، تمثل المراجع مشكلة  
اخف بكثير من مشكلة المراجع في العلوم الطبيعية ، لأن ما اُلف  
بالعربية في هذه العلوم ، اكبر بكثير مما اُلف بها في العلوم الطبيعية .  
ولكننا نبقى مع ذلك بحاجة الى مزيد من المؤلفات من نمط معين ،  
هو النمط الاكاديمي الذي يحمل سمة البحث العلمي .

وحين يوضع اسانذة الجامعات العربية أمام مسؤولياتهم تجاه  
طلبتم ، بعد التعریف العام الشمولي للعلوم الانسانية ، فانهم لا  
بد ان يؤلفوا ويترجموا لكتابي يؤثّروا لطلبتم المراجع التي لا بد منها ،  
لان تعریفاً بالمعنى الصحيح ، ينبغي عليه الا ترقى الكتب الاجنبية

باحتياجات الطلبة العرب ، حتى لو كان الطلبة قادرين ، من الناحية اللغوية ، على استيعاب المادة المكتوبة باللغة الأجنبية . وهنا أود أن أتحدث عن تجربة عملية في الجامعة الأردنية ، تُدرّ لكاتب هذه المسطور الاطلاع عليها عن كتب ، حين كان يشغل منصب عميد البحث العلمي والدراسات العليا في الجامعة المذكورة . هذه التجربة ، تمثلت في اتحادة الفرصة لأساتذة الجامعة لأن يتقدمو بحوثنا أصلية إلى مجلة علمية تصدر عن العمادة تحت اسم ( دراسات ) ، يُعتبر النشر فيها من سبل الارتقاء في المراتب الأكademie . وأشترط فيما يُقدم للنشر فيها في إطار العلوم الإنسانية ، أن يكون باللغة العربية دون غيرها ؛ كما تمثلت في اتحادة الفرصة لاعضاء هيئة التدريس لأن يتقدمو بمؤلفات لهم تدعمها العمادة ماديا ، في إطار ميزانية دعم البحث العلمية .

وقد يصل الدعم بالنسبة إلى الكتب المتميزة ، إلى حد تغطية كلّية للنفقات ، بالإضافة إلى نشر الكتاب ، ومكافأة مجزية للمؤلف ، وذلك في إطار دار النشر التي أنشئت في العمادة ، ورصدت لها ميزانية خاصة . وغني عن البيان أن المؤلفات التي تدعمها العمادة ، تكون هي الأخرى من سبل الارتقاء في المراتب الأكademie في الجامعة .

ومعنى ذلك أنه عندما يواجه استاذ علم من العلوم الإنسانية بحاجته وحاجة طلبته إلى المراجع العلمية ، في ظلّ مناهج يخططها هو لتسدّ احتياجات المجتمع الذي يعيش فيه ، ولا تكفي فيها المراجع الأجنبية والمراجع العربية المطبوعة ، وحين يجد هذا الاستاذ أن مؤلفاته تحظى بسبيل الدعم المالي والنشر ، وتهيئ له أسباب الترقية في جامعته ، فنان كل هذه ستكون عوامل تدفع به إلى أن يكتب بحوثاً أصلية ، أو يُعدّ ترجمات لنشرها في مجلة ذات قيمة علمية تصدر عن جامعته ، وإلى أن يؤلف كتاباً في مادة اختصاصه وهو مطمئن إلى توافر كل ما يحتاجه الكتاب الجيد من متطلبات ، قد يعجز الفرد عن تأمينها . الواقع أن المجلة التي تصدر عن عمادة البحث العلمي

والدراسات العليا في الجامعة الاردنية ، لم تكن تقتصر فيما تنشره على انتاج العلميين في الجامعة ، اذ كانت وما تزال تنشر المادة الصالحة من حيثما وردت ، بعد ان يقّومها المختصون .

ذكرت هذه التجربة في الجامعة الاردنية ، لأنّي أقول إنّها تجربة قابلة لأن تعمم في كلّ جامعة عربية ، لاتّها سبيل مملي للحفظ على كتابة البحث وتاليف المؤلّفات في كلّ جامعة . وجدير بالذكر ان ما كان يصدر عن العمادة من مجلّات وكتب ، كان يجد سبيلاً الى الجامعات العربية عن طريق الاهداء والتبادل .

ولا شك ان تعليم التجربة على الجامعات العربية كلّها سيُعني اثراً لكتّبات هذه الجامعات ، وتأميناً للمراجع المطلوبة ، او لمدد كبير منها على الاقل .

#### الطالب :

من المسلمات ، أن الطالب العربي يفضل ان تكون دراسته في العلوم الإنسانية ، واية علوم أخرى ، بلغته العربية ، لأن ذلك يكتبه جهداً وقتاً يُبذلان في تقصي معانٍ المفردات والتركيبات اللغوية الأجنبية.

ولذا فانتا لا تحتاج الى ان ندفع الطالب العربي الى قناعة باستعمال اللغة العربية فيما يتعلم في الجامعة . بقي ان نتلمس الدور الذي يمكن لهذا الطالب ان يضطلع به في عملية التعرّيف ؛ ولا سيما ان الطالب الجامعي الان أصبح له دور ايجابي في العملية التعليمية ، مثلما ان له دوراً في العملية التعليمية ، ولم يُعد مجرد مُتلقٍ للمعارف عن اسانته . وفي نطاق المشاركة والتعاون مع استاذ الجامعة ، يمكن للطالب الجامعي ان يُسمّى في تعرّيف العلوم الإنسانية على النحو التالي :

١ - قد يعمل بتوجيه من اسانته على استقصاء الكتب العربية في العلوم الإنسانية ، سواء اكانت كتبًا تراثية ، او كتبًا حديثة ،

مع تعريف موجز بما ، وذلك بالاستعانة بمكتبة الجلعة ، او  
بليما مكتبة قد تتوافر فيها هذه الكتب .

ب - وقد يقوم الطالب الجامعي بالاسهام في استقصاء المفردات ذات الدلالة الاصطلاحية في كتب التراث العربي الخاصة بالعلوم الإنسانية ، ثم ترتيب هذه المصطلحات والتعریف بدلائهما .

ج - وقد يتم الطلب من ناحية أخرى، بالمساعدة في رصد المصطلحات الأجنبية في هذه العلوم بتجريدها من كتب انجليزية او فرنسية ، حسب اللغة الأجنبية المستعملة في جامعته .

د - وقد يكُلف ترجمة نصل او نصوص من كتاب اجنبي ، ليتمرس بالاسلوب العربي والاجنبي في هذه العلوم ، وي Alf مصطلاحاته في غيرها لغة واحدة .

ه - و يمكن ان يقوم خلال العام الدراسي بكتابة بحوث باللغة العربية ، يستعين في كتابتها بمصادر عربية واجنبية ، ثم يناقش هذه البحوث مع زملائه تحت اشراف استاذه في قاعة الحاضرة ، لكي يتدرّب هو وزملاؤه على معالجة موضوعات هذه العلوم مشافية ، مثلما يتدرّبون على معالجتها كتابة .

و - وفي نطاق الدراسات العليا التالية للشهادة الجامعية الاولى ، يوجه الطلبة لكتابه رسائلهم العلمية باللغة العربية – كما يجري الان فعلا في معظم الجامعات العربية – ويُحرّص على ان يهتموا، في مادة رسائلهم هذه بصورة خاصة ، بالمجتمع العربي في ماضيه وحاضره ومستقبله ، وأن ييرزوا ما أمكن النظريّة الاسلامية فيما يتعلق بالقضايا المثار ، وكذلك المعطيات التاريخية للحضارة الاسلامية ، بشأن ما يعالجونه في دراساتهم ؛ مع الاستفادة الكاملة من اية نظريّات او دراسات او ممارسات موجودة في اي مجتمع من المجتمعات العالميّة .

وقد يكون من المناسب ، ان استفيد من ملاحظة وردت في ورقة قدمها الدكتور سيد حامد حربز الى المؤتمر التاسع لاتحاد المعلمين العرب في شباط ١٩٧٦ ؛ ومفاد هذه الملاحظة ، انه ينبغي الا نرى العالم من حولنا ، او نرى انفسنا بعيون انجليزية او نسبة . وهنا قد تحتاج الى التذكرة بأن اللغة ليست وسيلة تواصل واتصال فقط ، وانما هي كذلك طريقة احساس وتفكير .

ز - وفي البلاد التي ما يزال التعليم في المرحلة الثانوية فيها باللغة الاجنبية ، لا بد من التنبه الى ضرورة تعريب التعليم الثانوي قبل ان ينتقل الطالب في تلك البلاد الى المرحلة الجامعية ، لأن من المخالف لطبيعة الاشياء ان تستعين بالطالب الجامعي الجديد في عملية التعريب ، وهو نفسه ما يزال لم يُعرَّب بعد في ثقافته .

### القرارات والتشريعات :

من الممكن ان يتجادل القائمون على التعليم الجامعي مدة نصف قرن حول تعريب هذا التعليم ، وان ينتصروا بين محْبُّذ ومعارض ، دون ان يُعْدِم اي من الفريقين حججا يقدمها لدعم موقفه . واذا كان قد احتجنا في هذه الكلمة المتواضعة عن تفصيل الحاجة المؤيدة للتعريب ، اعتقادا منا بأن تلك مرحلة قد فرغ المعنيون بالموضوع منها وتجاوزوها ، فانه لا بد من التول ان اجراء واحدا فقط هو الذي ينقل الموضوع كلّه من حيز الجدل النظري الى حيز التطبيق العلمي ، وذلك هو القرار السياسي او القانوني او الاداري ، سواء أصدرَ هذا القرار عن السلطة العليا في الدولة العربية ، او عن وزارة تعليم عال ، إن وُجِدت ، او عن ادارة كل جامعة من الجامعات العربية . واذ يوضع اعضاء هيئة التدريس امام الامر الواقع ، فانهم سوف يواجهون متطلباته ، ويُعْدِدون له ما يحتاجه . والصعوبات التي سيواجهونها ، ستتعالج من خلال التكثيف بعد ممارسة التجربة لا قبلها ؟ منحن لا

نستطيع ان نتفق مع اوضاع لم نمارسها اطلاقاً ، ولا يمكن تهبيء  
من شيء ان يزول الا بعد ان يمارس ذلك الشيء مثلاً ، وغالباً ما  
يتبين ان ما تهبينا منه كان مبالغ فيه . واذا كانت النتائج الى  
اللغة القومية قد نجحت في عدد كبير من بلاد الدنيا ، فلا يوجد  
سبب يحول دون نجاحها في الجامعات العربية . وقد يبدو من باب  
النتائج ان عالمَ كالعالم العربي ، ب موقعه الفريد ، وامكانياته  
الاقتصادية الهائلة ، وبتجربة لغته الحضارية العريضة العربية ، وبما  
له من دور في شؤون العالم المعاصر ، ما يزال يتطلب الدخول في تجربة  
التعريب ، مع ان تاريخ الحضارات يثبت ان الامم انما تبدع بلغاتها  
القومية ، وأن الذي يكون علة على لغة اجنبية فيما ينطق به  
ويكتب ، يكون كذلك علة على الناطقين بذلك اللغة فيما يحتاجه ،  
بل فيما يذكر فيه .

### خاتمة :

وفي النهاية ، اسمح لنفسي بان استشهد مباشرةً من فكرتين  
اوردهما الدكتور رشدي نكار في بحثه الذي تدّمه الى مؤتمر تعريب  
التعليم العالي في الوطن العربي ، الذي عُقد في بغداد في آذار عام  
١٩٧٨ ؛ وأولى تلك الفكرتين تتعلق بالدعوة الى القيام بعمل جماعي  
متكملاً ، يرصد مراحل تطور امتنا دون اهواء او تذوقات شخصية لكل مفكر  
على حدة ، والثانية تتعلق بتقديم النظريات العامة لحضارة اليوم  
الغربية ، وقدرتها المنهجية ، وعدم ترك الساحة الفكرية للترجمات  
التجارية والمبيتة والوجهة ، بهدف سلب شبابنا ذاتيته ، وتعريبه  
وتشكيكه في ارضيته .

والهدف من الفكرتين واضح فهو يتمثل في استيانة المعاistem الكبرى  
للتطور الحضاري الذي مرّت به امتنا ، حتى تتراءى تلك المعاistem  
بصورة موضوعية في احجامها الحقيقة ، وفي ركائزها الاساسية ،  
كيلا يضيع الدارس في التفصيات الجائبية ؛ وكذلك في استيانة

الاسس والمناهيم التي تقوم عليها الحضارة الغربية المعاصرة ، كيلا يضطرب الدارس بين الامر والفرع ، والجوهر والمظاهر ، ولكي يتتجنب المزالق ، فياخذ من تلك الحضارة ما ثبت نفعه دون ضرره ، مما يساعدك على تحديد طريقه ، والاستقلال بشخصيته ، والنجاة من اقتداء جاهل او تبعية غير مبصرة .

**الدكتور محمود ابراهيم**

## اللغة والأسلوب في شعر ( عرار )

للدكتور محمود السمر

(نائب رئيس مجلس اللغة العربية الأردني)

قبل ثلاثين عاماً توفي مصطفى وهبي التل ، وقبل خمسة وعشرين عاماً صدرت الطبعة الأولى من ديوانه « عشيات وادي اليابس » في عمان .

ورغم أن عراراً مشهوراً معروفاً في الأردن ، وهو شاعر الأردن دون منازع ، يحظى شعره المثقفون ، ويرددده حتى من نالوا حظاً قليلاً من الثقافة ، إلا أنه لا يكاد يعرفه أحد خارج الأردن .

لماذا ؟

لعلَّ من أسباب ذلك أن ديوانه الأول صدر في وقت كانت فيه امكانيات الطباعة في الأردن محدودة جداً : فالحروف صغيرة ، والخطاء كثيرة ، والورق رديء ، والتوزيع معدوم .

ثم : إن شعر عرار مُحلّي ، مفرق في محلّيته : محلّي في موضوعاته ، وأشاراته ، وكثير من تعبيراته . وما لسم يتمثل القاريء هذه كلها تمثلاً واضحًا ، نان تجاويه مع هذا الشعر بيقى محدوداً . وقد بذل المرحوم الاستاذ محمود المطلق جهداً طيباً في شرح ما يحتاج إلى شرح ، لتقرير هذا الشعر إلى أذواق القراء العرب . وأذكر أنه ما من مرة تذاكرت شعر عرار مم اخوة عرب ، وقدّمت لهذا الشعر بما يعين على ادراكه وتمثيله ، الا وجدت عندهم استجابة له ، ودهشة لأن مثل هذا الشاعر غير معروف عندهم .

ثُمَّ : هناك لوم يقع على أدباء الأردن : لهم لم يعنوا انفسهم  
بـ « عريف بالشاعر وتقديم الدراسات عنه » ، الا في نطاق محدود .

\* \* \*

لكلّ هذا وجدتُ ان الحاجة أصبحت ملحةً لاصدار طبعة ثانية من الديوان ، وخاصة عندما وضعت بين يدي اوراق الشاعر ، فوجدت فيها شعراً يستحق ان ينشر ، ولم ينشر .

وهكذا ، في سنة ١٩٧٣ صدر ديوان « عشيات وادي اليابس » في طبعة جديدة فريدة ، تعكس تقدم نحن الطباعة في الاردن الحديث ، وتضع بين ايدي القراء شعر الشاعر الاول في الاردن في شكل يليق بجمال هذا الشعر ؟ وقد زينته رسومات الفنان الوهوب « هنّا الدرة » ، آملين من ذلك ان نستطيع ايصال الديوان الى ايدي محبي الشعر الجيد ، لا في الاردن فحسب ، بل في اكثر عدد ممكن من البلاد العربية الشقيقة .

ولكن ما اردناه لم يتحقق ، لسبب بسيط هو انتشارنا الى مؤسسة ، او شركة ، لتوزيع الكتاب الاردني وتسويقه . وبقيت هذه الطبعة يسعى الى الحصول على نسخة منها ، ويجد في السعي ، من يجد الرغبة في ذلك .

\* \* \*

وفي رأيي انه ما زالت هناك حاجة الى اصدار طبعة جديدة من الديوان ، يقوم المحقق فيها بايراد الروايات المختلفة للآيات ، وترتيبها في القصائد ؟ فقد خلصتُ من اطلاقي على اوراق الشاعر الى أن الصورة التي بين ايدينا للقصائد والآيات ، ليست الا صورة واحدة من صور عدّة : فني كثير من القصائد نجد ترتيب الآيات مختلفاً ، والتغيير في النطاق الآيات كثيراً . ويفضلي هنا التحقيق الامثل الذي قام به المستشرق Ritter لكتاب « اسرار البلاغة »

لللام عبد القاهر الجرجاني ، وتحقيق الاستاذ الدكتور ناصر الدين الاسد لديوان قيس بن الخطيم ، وتحقيق الاستاذ الدكتور احسان عباس لديوان لبيد . على هذه الصورة نزيده . وقد شغلتني شواغل كثيرة عن النهوض بهذا العمل الذي يستغرق وقتا طويلا .

وفي رأيي ان اوراق الشاعر التي بين ايدينا ، تغري الناقد ايضا بالقيام بدراسة تقديرية نفسية : تدرس حياته ، وظروفه ، ومجتمعه ، باستقصاء . ثم تنظر في زمن نظمه لكل تصيدة ، والاسباب النفسية التي دعته لهذا التقديم ، وذاك التأخير ، وشطب هذه الكلمة او تلك ، ولماذا استبدل بها غيرها . إن قام بهذه الدراسة ناقد بارع موهوب ، فربما حصلنا على دراسة تقديرية مبتعة ، على غرار الدراسة التي وضعها John Middleton Murray عن الشاعر

بعد ان حصل على اصول قصائد الشاعر بخط يده . Keats

\* \* \*

وبعد ، كان لي على شعر عرار الملاحظات التالية :

١ - شعر عرار بسيط في مضمونه وشكله ، يقترب كثيرا من كلام الناس الذين هو منهم : عاش بينهم ، يشاركون افراهم ، وأحلامهم ، وأمالهم ، وبأسى لاحزانهم ، وتدميهم آلامهم؛ ومع هذا فشعره فعل السحر في تفاصيله .

### لماذا ؟

في رأيي ان السر في قسوة تأثير شعر عرار في النفوس أنه شعر يعبر عن تجربة محلية وانسانية ، معا ... تجربة عميقة ، فيها قدر طاغٍ من حدة الاحساس . وهو يعبر عن هذه التجربة بالفاظ مشحونة بهذا الاحساس . وحالة الاتصال الحاد ، حالة تميز الشعر الجيد عن غيره من الفنون الادبية الأخرى ؛ وهي حالة تصاحب الشاعر في اثناء عملية الابداع الفني ؛ ذلك لأن الشاعر

الحق انسان يتمتع بحساسية غير مادية ، تجعله ينماط مع احداث الحياة الإنسانية بدرجة عالية .

واللفة التي يستعملها عرار ، رغم محليتها ... ورغم بعض الاخطاء اللغوية والعروضية ، حافلة بالحياة ، تفتح عيوننا على عيوب في المجتمع ، قد نمر بها دون ان نحس بها ، واذا احسنا بها ، فند يكون هذا احساسا عابرا . ولكتها في هذا الشعر دفقات قوية ، تتبه المقل ، والنفس ، والاعصاب .

ومن الخطأ ان نعتبر شعر عرار وثيقة تاريخية ترسم بدقة ما كان يسود شرق الاردن زمنه ؛ ذلك لاننا نعرف ان الشعر ذاتي ، والشعراء يعبرون عن أحاسيسهم ، وانفعالاتهم الخاصة . ونحن في بحوثنا لا نعتمد شعر الشعراء وثائق نستشهد بها ، وان كنا نستعين بما في حدود ضيقتة . وهذا لا يضر الشعر ولا الشاعر : فالصدق الفني هو غاية الشاعر ، أما البحث عن الحقيقة فغاية العالم .

ان الشاعر لا يعرض لنا الحقائق عرضا موضوعيا كما توجد في الواقع ، بل يحوّرها بنضل ملكة الخيال التي وُبِّهَا ، ويكون منها كُلُّ نباً موَحِّدا . ومنذ ان كان في الدنيا شعر ، كان قدر الشاعر ان يرى ويرصد المظاهر المختلفة لهذا الكل المعقد الذي نسميه الحياة الانسانية ، ثم يعبر عن وقوع هذا الوجود على وجدانه بصدق وجمال .

وسواء أُنْتَنا بعد قراءة الشعر إِنْتَنا نوافق الكاتب في رايِه ، او لا نوافقه ، لأن الحياة في واقعها ليست كما يراها ، فهذا ليس هو المهم ، وانما المهم ان قرأتنا لهذا الشعر تجعلنا ننظر الى الحياة من زوايا جديدة ، وتضيف الى تجربتنا في الحياة تجربة جديدة ، قد تكون أعمق وانفع ، حتى اننا لنحس ، عندما نطوي آخر صنحة ، اننا ازددنا معرفة بالحياة والانسان .

وانست في شعر عرار تدخل دائرة التأثير ، وتبقى فيها الى ان تصل الى نهاية التصفيه ؛ ذلك لأن شعره يخلو من سقطات بعض الشعراء

الكبار ، الذين يجمعون أحياناً بين الرائع والرديء في القصيدة الواحدة ،  
ويجمعون بين صورتين متناقضتين في بيتهن متناقضين .

وإذا كنا قد بدأنا القول بأن من صفات شعر عرار أنه  
شعر مُختَلٌ ، بالمعنى الذي حدّدناه ، فما موقف الجماليين ، والنقاد  
الجدد ( The New Critics ) ، الذين يسيطرُون على دنيا  
الادب في أيامنا هذه في الغرب ، من مثل هذا الشعر ؟ إنهم يرون أن  
القصيدة الجيدة مكتوبة بذاتها ، لا لحتاج للكشف عن أسرار الجمال  
فيها إلى أن نعرف مناسبتها وظروفها ، ولا حتى من نظمها . وفي رأيِّي  
أن هذا القول صحيح ، ولكن في حدود . وإنما لست من المؤمنين  
ب أيامنا مطلقاً بما يقولون ، ومن المؤمنين بالمنهج التكاملِي الذي يرى  
الاستفادة من كل النظريات النقدية ، لأنها متكاملة ، غير متناضضة .  
والاختلاف بينها هو اختلاف في زاوية الرؤية .

## ٢ - شعر عرار شعر ملتزم .

وقد كان عرار شاعراً ملتزماً ، بكل ما في هذا المصطلح  
من دلالة وابعاد . وكانت مواقفه واضحة جريئة : فقد وقف إلى جانب  
الفقراء ، والمعوزين ، وهاجم المستغلين ، ودعا إلى المساواة ،  
ونسادي بالعدالة .

وهذا موقف سيبقى عراراً مذكوراً دوماً كشاعر صاحب رسالة ،  
اجاد التعبير عنها في شعره .

وهذا يجعلنا نقف أمام قضية مهمة في الفن : فنحن كلما نناشتنا  
في الفن عامة ، وفي الشعر خاصة ( وساتصر حديثي هنا على الشعر ) ،  
تسائلنا : ما غالية الشعر ؟

يرى البعض أن غالية الشعر هي المتعة ، وأن القصيدة الجيدة  
هي التي تولد أكبر قدر منها . وفي رأيِّي أن المتعة نتيجة ، لا غالية ،  
وان غالية الشعر عرض التجربة الإنسانية عرضاً يُرسّخ في نفوسنا

فيما ومواتك ، وإذا كللت فلبة العظم تفسر الوجود ، فإن فلبة الفن تقييم الوجود . وهذا ما نعلمه مرار في شعره .

وهذا ما عناء كولرودج في كتابه التيم « سيرة أدبية »

*Biographia Literaria*

عندما قال : إن الشعر ليس مجرد انتقالات واحساس ، فالشخص أنواع الأدب قادر على إثارتها . انه رؤيا ، وكشف عن أسرار الوجود .

\* \* \*

ورغم التزام عرار العميق الحاد ، فإنه كان في الوقت نفسه رومانتيا ، مفترقا في رومانتيشه . وإذا كان الرومانسيون الغربيون قد عبّروا بشعر حافل بالعاطفة المشبوهة من ثورتهم ، وهربوا إلى الطبيعة والحياة البسيطة ، عندما ادركوا عجزهم عن التغيير ، فقد فعل عرار مثلهم : هرب إلى مضارب النور ، وإلى حياة الريف ، حيث البساطة ، وراحة البسال ، والمساواة الناتمة :

الكل زط مساواة محقة تبني النوارق بين الجار والجار

\* \* \*

٣ - شعر عرار شعر للرمز فيه دور كبير .

والحديث من الرمز في شعر عرار حيث قد يطول ؛ ولهذا ساقصر الحديث عن الرمز عنده على ثلاثة جوانب بارزة : أولها : شخصية الهر : وهي شخصية حقيقة ، ورمادية ، فهى آن واحد .

وقد وصف المرحوم الاستاذ يعقوب العودات الهر ، فقال :

« شخصية نورية ، ديمية الخلق ، مستتبحة القوام ، اختارها عرار لزراية شكلها ، وختاره شأنها ، هدنا لسهام نقاده ، ومخاطبتهما عندما يحلو له خطاب نوي الشأن ، واستنذارهم » . ( عرار شاعر الاردن ، من ١٤٨ ) .

ويقول المرحوم الاستاذ محمود المطلق :

« رأى عرار في هذه الشخصية انموذجاً كاملاً لشخصية النورى ، ومثلاً معبراً عن كل ما في النور من خير وشر ، وسمو وانحطاط . ولهذا فقد اتخذ منه رمزاً للنور ، واداة ادبية يستعين بها على التعبير من آرائه ومتالمده ». (المقدمة ، ص ٢٣ ) .

وتقول الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي :

« لعمل عراراً كان اول شاعر عريسي حديث اخترع نطاج عليا في الشعر ، وجعلها رمزاً لتضاليا حبوبة . جعل من الهر رمزاً للانسان البسيط المنبوذ المضطهد ». (مجلة عالم الفكر ، العدد الثاني) .

وحقيقة الامر ان الهر في شعر عرار رمز لاكثر من هذا : انه رمز لما يتعاطف معه عندما يرى فيه الانسان البسيط ، المنبوذ ، المضطهد ، والانسان المشرد الضائع .

وهو رمز لما يثير السخرية عندما يرى فيه الانسان الذي <sup>مُقدَّ</sup> كل احساس بالكرامة .

• • •

ويبدو الرمز عند عرار ، ثانياً ، في شخصية الشيخ عبد النجار . وهي شخصية تناقض الشخصية الاولى تماماً : فهي رمز لفئة متزمته منتسبة : فيتها « في الجنة الخلود » ، ومبادها أنها : « حِصَّةٌ مِّنْ فِي جَيْهِ نَقْسُودٍ » .

وسخريته منها ، ورفضه لها ، لانها بسلوكها تساهم في ابقاء الشعب على حاله من الجهل والتخلف .

• \* \*

ويبدو الرمز عند عرار ، ثالثاً ، في كل امرأة تقذل بها ، وكل قرية نكراها ، وكلّ وادٍ تغنى به . انها كلها رموز لهذا الوطن ، الذي أحبَّ كلَّ من فيه ، وما فيه .

٤ - شعر عرار شعر عمودي ، منظوم على اوزان الخليل ،  
ما عدا قصيدتين هما :  
« متى ؟ » و « يا حلوة النظرة » .

ومن الخطأ الشائع ما نردد به من أن كل قصيدة نظمت على وزن  
من اوزان الخليل فهي قصيدة عمودية ، مع أن الوزن ( او البحر )  
ليس سوى شرط واحد من سبعة شروط حددتها النقاد العرب  
القدامى ، وجعلوها المبادئ التي يجب ان يقتفيها الشعراء .

وكان المرزوقي خير من حدد مفهوم عمود الشعر ، وذلك في  
مقدمته لشرح ديوان الحماسة ، في قوله : « انهم ( القدماء ) كانوا  
يحاولون : شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة  
في الوصف ، والمقاربة في التشبيه ، والتحام اجزاء النظم والثمامها على  
نخّر من لذذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشكلة  
اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما . فهذه  
سبعة ابواب هي عمود الشعر ، وكل باب منها عيار ( اي مقياس ) ». .  
وجاء ابن طباطبا فكتب كتابه المعروف « عيار الشعر » .

وشعر عرار عمودي بهذا المنحوم للشعر العمودي الجيد .  
ولو تأملنا في هذا التعريف لوجدنا كثيرا من الشعر الذي يُعرف  
بأنه عمودي ، ليس عموديا .

\* \* \*

هذه ملاحظات نقديّة عامة على شعر عرار ، لعلها تصلح  
محظطا لدراسة موسمة .

ويبقى عرار ، بعد هذا ، شاعرا لم ينل من عنابة الدارسين  
ما يستحقه .

وما زال مجال القول فيه واسعا .

الدكتور محمود السمرة

# قضايا ومشكلات تعریب الكيمياء

للدكتور عادل احمد جرار

(الجامعة الاردنية)

ان مسألة تعریب الكيمياء جزء من مسألة اكبر، هي مسألة تعریب العلوم ، وخصوصا في المراحل الجامعية . وقد شغلت هذه القضية اهل العلم والفنون رحبا طويلا من الزمن ، فهم بين مناصرين لتطبيق نكارة التعریب ومعارضين لها ، ولكل فريق حجه التي يدعم بها وجهة نظره .

وفي رأيي ان هذه المسألة لا تقبل أنصاف الحلول او الحصول الجزئية ، فهي اما ان تكون تعریبا كاملا شاملاما ينطوي جميع مراحل التعليم والدرس ، ويقتضي ليشمل جميع الاتقان التي تتخلص العربية لفته ، او ان تظل محاولات مبتورة ، عديمة الجدوى ، ربما ادت الى ضرر ان كانت تتحصر في اقتضي دون آخر ، او كانت تتناول فروع امعينة من العلوم او مراحل محددة في سلم التعليم .

واقوى الحجج التي تساق تأييدا لفكرة تعریب العلوم هي :

- ١ - من الناحية التربوية المطلقة، يكون استيعاب الدارس اقوى وأشد فعالية ان كانت دراسته بلغته الام ، فهو بذلك ينصرف بكامل جهده الذهني لفهم المعضلة العلمية المعروضة ، بدل ان يصرف جانبا غير يسير من جهده ووقته لفهم معنيات اللغة الاجنبية التي يدرس بها ، الى ان يتمكن الى فهم وتحليل الموضوع العلمي الذي وصفته له . وقد ساق الكثيرون براهين لهذه الحجة من نتائج المقارنة بين مجموعتين من الطلاب، احداهما تدرس موضوعا علميا باللغة العربية، واخرى تلقاه بلغة انجليزية او فرنسية .

ولكن الامر في الواقع من البداهة بحيث لا يحتاج الى برهان ؟  
فإنك اذا قدمت موضوعا علميا لطالب عربي بلغة عربية سلية ،  
وكانت لديك الوسائل والقدرات على ان تعبر عن هذا الموضوع  
بشكل يخلو من التعقيدات والابهام في المصطلح والاسم والوصف ،  
فهذا لا شك فيه عندئذ ان هذا الطالب سيفهم الموضوع بصورة  
اسرع وأكمل مما لو تُدَمِّر له بلغة أجنبية .

اذا فلَبَّ الامر هو ان نستطيع وصف الموضوع العلمي بطريقة  
تخلو من التعقيد والابهام ؛ وهذا امر مهم ساعود اليه حين احلل  
القضايا والمشكل التي تكتنف تعریف الكيمياء .

٤ - أما الحجة الثانية التي تساق ، وهي ايضا حجة لها  
وجاهتها ، فهي ان الاعتزاز القومي باللغة العربية يفرض علينا ان  
نعزز العلوم . وكثير من المحتجين بهذا يذهبون الى ان تدرس العلوم  
بالعربية عامل مهم في سبيل الوحدة العربية ، وكان هذه الامة تتفرق  
الى عوامل الوحدة ؟ واين عامل الوحدة هذا من الدين الذي تنضوي  
تحت لوائه ، حيث تتفق الملايين كل يوم بعد ربيعا في صلوات  
واحدة ، تقرأ قرآنا واحدا ، وتهتف باسم الله واحد من اعلى مآذن  
مساجدها وفي محاريبها . وان كانت هذه الامة متتوحدة ، فهذا جمهور  
وحدتها ؛ واين من ذلك جمهور الجامعات، وهي قلة ؟

على انسا ويسبب ذلك لا بد ان نقدس اللغة العربية ونجعلها ،  
 فهي الوعاء الذي صُبَّ فيه قرآتنا وسنتنا ، وادينا وشعرنا، وحوالج  
نقوسنا ، وهي الوعاء الذي اتسع يوما ليكون قادرا على استيعاب  
نشاطنا العلمي ابان ازدهار حضارتنا العربية الاسلامية ، حين كانت  
اللغة العربية لغة العلم العالمية الاولى مدة تقارب القرنين .

وعلينا ان نؤمن بأن هذه اللغة التي قامت بهذا الدور قادرة  
على القيام به مرة اخرى شريطة ان نجلو عن صنحتها الناصعة  
غبار التخلف والاهمال بجهودنا ونشاطنا العلمي في العصر الحديث .

ويحضرني هنا قول شاعرنا حافظ ابرهيم متحدثا باسم اللغة العربية :

وسيعٌ كتاب الله لفظاً وغايةٍ  
وما فِتَّ عنَّ آيٍ بِسِهِ وعَذَّاتِ  
مُكَبَّ أضيقَ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِهِ  
وَتَسْقِيْقِ اسْمَاءِ الْخَرْعَاتِ  
بِيدِ أَنَّهُ يَضِيفُ إِلَى ذَلِكِ :

أنا البحر في أحشائه الدُّرُّ كامِنٌ  
مَهْلَ سَالُوا الفوادِصَ عَنْ صَدَفَاتِي؟

نحن بحاجة، ليس فقط الى الفوادِصَ في بحر اللغة العربية  
لاستخراج مكونه من الدُّرُّ ، ولكننا بحاجة الى ثابتين لهذا الدُّرُّ ،  
لجعله قلائد تزيين صدر اللغة العربية في ميادين العلوم ؛ فـ لا  
نريد لها ان تتقحم ميدانـاً تختلف عنه نترة طولية دون استعداد وـ ايـ  
يزيد من جمالها وـ يُقْبِلُـها بالمارسة . لا نـ يريد ان تكون تجربتنا فيـ  
التعليم والنشر بالعربية عائقـاً يـحول بينـا وبينـ السير فيـ تيارـ العلم  
والثقافة العالمي . ولا يـضرـنا ان نـذكـر ان مـائـةـ حتىـ اليومـ منـ  
محاولات تعـريبـ فيـ عددـ منـ الاقطـارـ العـربـيةـ ليسـ علىـ المـستـوىـ  
المـطلـوبـ ، فـهيـ تـقـرـرـ بـناـ عـنـ موـاكـبـ اـهـلـ الـعـلـمـ فيـ مـسـرـتـهمـ الـظـانـرـةـ ،  
دونـ اـعـتمـادـ كـبـيرـ عـلـىـ الـلـفـاتـ ذاتـ الـاـنـتـشـارـ العـالـيـ . فـمـاـ لـاشـكـ  
فيـهـ انـ للـعـلـمـ الـمـعاـصـرـ بـضـعـ لـفـاتـ دـولـيـ ؟ـ ولـتـوضـيـعـ ذـلـكـ تـنـاؤـ  
مـوـضـوعـاـ عـلـيـاـ مـنـ الـمـاوـضـيـعـ الـمـطـروـقـةـ كـثـيرـاـ هـذـهـ الـاـيـامـ ،ـ وـأـخـصـ  
الـمـنشـورـاتـ الـعـلـمـيـةـ التـيـ تـظـهـرـ عـنـهـ فـيـ عـامـ معـينـ ،ـ فـإـذـاـ فـعـلـتـ ذـلـكـ  
سـتـخـرـجـ دـونـ رـيـبـ بـنـتـيـجـةـ مـنـاـهـاـ انـ مـعـظـمـ الـبـحـوثـ ذاتـ الـقـيـمةـ  
نـشـرـتـ ضـمـنـ عـدـدـ مـحـدـودـ مـنـ الـلـفـاتـ ؟ـ وـإـنـكـ إـنـ كـنـتـ قـادـراـ عـلـىـ  
قـرـاءـةـ هـذـهـ الـلـفـاتـ وـفـهـمـاـ خـرـجـتـ بـزـيـدةـ الـبـحـوثـ فـيـ ذـلـكـ الـمـجـالـ الـمـعـينـ .

وـسـتـجـدـ حـتـماـ إـنـكـ أـنـتـنـتـ لـفـاتـ الـعـلـمـ الـدـولـيـ ؟ـ  
سـتـقـصـلـ إـلـىـ مـاـ لـيـقـلـ عـنـ ( ٧٠ )ـ مـاـ نـشـرـ عـنـ الـمـوـضـوـعـ .ـ وـمـعـ إـنـكـ  
رـيـمـاـ تـحـتـاجـ إـلـىـ مـعـرـفـةـ مـاـ يـقـارـبـ عـشـرـينـ لـفـةـ لـقـرـاءـةـ كـلـ مـاـ كـتـبـ  
عـنـهـ،ـ إـلـاـ إـنـ ذـلـكـ أـمـرـ لـاـ يـسـتـحـقـ الـعـنـاءـ ،ـ لـانـكـ أـنـقـيـتـ الـمـنشـورـاتـ عـلـىـ  
انـفـرـادـ سـتـجـدـ الـقـيـمةـ مـنـهـاـ مـنـشـورـةـ بـاحـدىـ الـلـفـاتـ الـدـولـيـةـ .ـ ذـلـكـ

انه ان توصل عالم هربي او سويدى مثلا الى كشف ذي قيمة كبيرة في ذلك المجال ، فان همه الاول سيكون ان يصل به الى جمهرة المستغلين به ، فنجده يلجأ الى نشره باللغة الانجليزية مثلا ، وفي احدى الدوريات ذات الشهرة العالمية .

من واجبنا، والحالة هذه، ان نعمل على دفع لغتنا العربية الى  
مصف اللغات الدولية ؟ وهى مكانة احتلتها سابقاً . وهذا امر لن  
يتسنى لنا تحقيقه بقرار نتخذه ارتجالاً ، ولن يتتسنى لنا الوصول  
الى بين يوم وليلة ؛ فاستعداداتنا الحالية لا تجاوز في اغلب الاحيان  
الحماسة والنّيّة الطيبة . لكن ، كما قيل في الامثال الصينية ، مان  
رحلة الاٰف ميل تبدا بخطوة واحدة ، فلا بد لنا ان نخطو الخطوة  
الاولى ، ولكننا نريدها خطوة واثقة لا تراجع ولا نكوص بعدها .  
ولهذا كان من واجبنا استجلاء المصاعب والعقبات ، والاشارة الى  
الوسائل التي تضمن لنا التغلب على المصاعب وتختلي العقبات ،  
حتى نضع بين ايدي اجيالنا القادمة السلاح الذي يمكنهم من السير  
بهدى وعلى صراط مستقيم . وفي ما يلى سأmer على بعض التضيّعات  
ذات العلاقة الوثيق بتعريف الكيمياء .

المصطلح الكيميائي : ان جهود التعريب لا تشر دون مؤلفات كيميائية قيمة باللغة العربية . ومن الطبيعي ان المحاولات الاولى كانت ترجمات من اللغات الاوروبية — ساعدت الى الترجمة كتضييق منحصلة بعد حين — وقد ثلت الترجمات مؤلفات باللغة العربية . جميع هذه المحاولات حتى الان مقصورة ضمن القطر العربي الذي بدلت فيه ، وفي اغلب الاحيان نتكلم لغات كيميائية مختلفة . ذلك ان وضع المصطلح كان حتى الان اجتهاداً فردياً ، او كان يتم بالمشاورة مع اقرب محبيط للمترجم او المؤلف ؛ ولذلك نجد اختلافات كبيرة بين ما يستخدم في قطر عربي وما يستخدم في قطر آخر . وان استمر الحال على ذلك ستصنل الى وضع يشبه برج بابل ، حين لم يكن احد يفهم احداً غيره . كل ذلك رغم جهود مكتب تنسيق التعريب ، ورغم المعاجم التي

أوردت سلسلة من المصطلحات ؟ فهذه لا تكاد ت nisi بحاجة مناهج المدارس الثانوية . وكثيراً ما يوضع المصطلح الكيميائي بطريقة متسرعة ، فلا يفتأ بالغرض الذي وضع من أجله ، لكنَّ تأثير قطر عربي استعمل هذا المصطلح قد يكون واسع الانتشار ، فنرى هذا المصطلح ينشر ويقرس جذوره رغم عدم صلاحيته .

نخلص من هذا الى أن جهود وضع المصطلح جهود مرتجلة ومعزولة ونؤدي الى فوضى وارتباك ، فكلمات :  
( Isomerism, physics, Ion, Atom )

وكتير غيرها لا تعني نفس الشيء في كل البلاد العربية .

أين العلاج ؟ لا شك أن في عقد ندوة لهذا الغرض جداً ايجابياً نحو العلاج ، إن خرجنا منها بنتائج محددة لوضع اسس للعمل على تقديم الوقود الصالح لعمليات الترجمة والتاليف . ولكن يجب ان اذكر ان الكيميائيين ، رغم اتقان بعضهم للفة العربية ، لا يزالون بحاجة الى عالم اللغة العربية الذي اعتدنا منه الشعارات الرنانة التي تقول ان النحت والاشتقاق والوسائل الاخرى كفيلة بسد حاجات اهل العلم ؛ لكننا لا نراه يضمّ جهده في ذلك الى جهد الكيميائي او غيره من اهل العلم . ولا يظنّن احد ان هذه المهمة ذات بداية ونهاية ؛ كلاماً ، فهي مهمة مستمرة متتجدد ما دام العلم يتطور ، وما دام العلماء يكتشفون كل يوم جديداً ، ويسمونه ويصفونه بكلام جديد ، سواء اكان هؤلاء العلماء عرباً أم غير عرب .

لذا فان المطلوب هو أن يقوم علماء الكيمياء واللغة في البلاد العربية بعملية منظمة لاستنباط المصطلحات ونشرها وتوبيخها ، كما ان المطلوب ان يتحول مكتب تنسيق التعریب الى المبادرة بتشجيع هذا الجهد ودفعه نحو النجاح .

التسهيقات : رغم عدم استطاعتنا فصل ميدان المصطلح عن ميدان التسمية ، الا ان هناك مئات الآلات من المركبات الكيميائية التي

نحتاج الى ان نضع لها اسماء ، كما ان الاما جبيدة منها نفسك للمعترك الكيميائي في كل سنة ؛ والمشكلة التي يخلقها هذا السبيل العرم تستدعي من علماء الكيمياء في العالم عقد الندوات والتشاور لوضع الاسماء ، وتنقيح طرق التسمية بصورة مستمرة . لماذا نعمل نحن ؟ هل نأخذ الاسم الاجنبي ونكتبه بحروف عربية ، او نضع لنا طريقة خاصة بالتسمية ؟ الاتجاه السائد حتى الان ، والذي لا يجادل احد في انه الاسهل ، هو الاول ، مع اصرار الاكثرية على ان يوضع الاسم الاجنبي في كل حالة للاسترشاد به ، ولابقاء الصلة مع اللغات الاجنبية . ولا شك ان هذه الطريقة ستؤدي بالدارس الى ان يقرأ وأن يفكر باللغة الاجنبية ؛ لأن ادراك مرامي هذه الاسماء يتوقف على مهتم ما تنقله مقاطعها الاجنبية كلّ بنفسه ؛ فلو كتبنا الاسماء بالنظر العربي وحده، فاننا دون شك تكون قد قطعنا ملة تلك الاسماء باصولها ، لتصبح كنوبات اجتنّ من جذوره ، يتبعاً ماله من قرار .

لقد حاولت استيضاح آراء مجموعة من طلاب الجامعة الاردنية حول هذا الامر ، وطلبت منهم الاجابة على الاسئلة التالية :

ارجو ان تجيب على الاسئلة التالية بوضع دائرة حول الجواب الذي تختاره :

١ - كلمة ( ٢ ) - ميثيل سايكلوهكسانون ( ) تدلّ على مركب كيميائي معروف لديك . اذا قرأتها او سمعتها ، فما هي الطريقة التي تنتقل فيها الى ادراك المركب الذي تدلّ عليه بتخيّل صيغته او كتابتها ؟

١ - هل تخطر الصيغة ببالك مباشرة مثلاً تتصور طائرة لدى سماع الكلمة او رؤيتها مكتوبة ؟

٢ - هل تعود بذهنك للاصل الانجليزي للكلمة  
2- Methylcyclohexanone

وتنقىح من مقاطعها للدلالة على معناها ؟

٤ - هل يتغير عليك فهم دلالة الكلمة كلياً ؟

٤ - هل تعتقد أن فهمك لها سيكون سهلاً لو كانت مقاطعها قد فُسرت لك أولاً ، كما جرى في حالة الاسم الانجليزي للمركب ، رغم أن لفظ كل مقطع بالعربية لا يدل على ما يدل عليه مقتبله بالإنجليزية ؟

٢ - القضية التي عرضت في السؤال الأول ستثار لدى تسمية أي من مئات الآلاف من المركبات الكيميائية . في ضوء تدبيرك الشخصي للموقف :

١ - هل تجده أن تدرس الكيمياء بالإنجليزية ؟

٢ - هل تجده أن تدرس الكيمياء بالعربية معأخذ الأسماء بالفاظها ؟

٣ - هل تجده أن تدرس الكيمياء بالعربية مع وضع طريقة عربية خاصة بالتسمية ؟

٤ - إذا عربت الكيمياء وأخذت المصطلحات والأسماء كما تلفظ باللغة الأجنبية وكتبت بحروف مريبة ، هل تعتقد أن كتابتها غير مشكولة ستخلق مشاكل ، كان تقرأ الكلمة على وجوه عديدة ؟

١ - نعم

٢ - لا

وقد حللت اجاباتهم وحصلت على النتيجة التالية :

السؤال الأول :

الجواب	٢	٢	١	٦
النسبة المئوية	٪٦	٪٧١	٪١٨	٪٩

السؤال الثاني :

الجواب	٣	٢	١	٦
النسبة المئوية	٪٢٩	٪١٩٦	٪٥١٣	٪٦٩

السؤال الثالث :

الجواب نعم لا  
النسبة المئوية ٨٤٪ ١٦٪

من جواب السؤال الأول نلمس اثباتا لما قلناه من ان الطالب مضطرب للعودة بذهنه الى الاسم بلغته الاصلية ؟ فالعملية الذهنية هذه ضرورية للفهم . ورغم ان نسبة الاجابة على السؤال برقم ٢ او ٤ مخفضة ، الا ان ذلك يعزى الى ان المركب المختار مالوف للطلاب . ولا شك لدى ان مشكلة ستواجه الطالب في فهم اسم جديد ، فهو يجد هذه المشكلة حتى لو كان يدرس باللغة الاجنبية ، وبالاحرى سيفجدها ، وبشكل احـد اذا عـرض لـه الاسم مجرـدا عن نظـره الاجنبـي .

ومن اجابة السؤال الثاني نجد ان الطلاب ينقسمون بالتساوي تقريبا بين المحبين للدرس باللغة العربية ومن يفضلون الدراسة باللغة الانجليزية (٤١٪ ٥١٪ ٦٨٪ على التوالى) . الا ان الملاحظ انه ضمن من حبذا الدرس بالعربية، هناك اغلبية تفضل وضع الاسماء بطريقة عربية خاصة ، وان كنت لا اجد دليلا على ماهية هذه الطريقة ، لا بين الطلاب انفسهم ولا بين علماء الكيمياء ، فهي مسألة فضـلـ الجـيع عـدم طـرقـها، كما أسلفـنا .

من الاجابة على السؤال الثالث تتضح اهمية المشكلة التي تجابها حين يتعرض الاسم الكيميائي للتغيير في لفظه، نتيجة قراءة الاسم العربي على وجوه مختلفة، ان لم يكن مشكولا ؛ وهذه مشكلة تتناول المصطلح المأخذ بلفظه عن اللغات الاجنبية ايضا ؛ وهي مشكلة لن بتخطتها الدارس الا بتكرار استخدام المصطلح او الاسم بعد سماعهما صحـبـين لأـولـ مرـة ؛ اذا لا يـعـقـلـ ان تـصـرفـ الجـهـودـ الـاضـافـيـةـ فيـ الطـبـاعـةـ لـشـكـلـ كـلـيـ منـ هـذـهـ الـكـلـمـاتـ .

## الرموز والاعداد :

هناك خلط كبير في الرموز المستخدمة في الكتب التي ترجمت إلى العربية او كُتِبَتْ بها ؛ وليس من الضروري ان يوجد الخلط في الكتاب الواحد ، بل انه يظهر على شكل اختلافات بين الكتب ذات الموضوع الواحد، والتي تظهر في التصر نفسيه، او في اقطار أخرى .. فالماء هنا فيه اختلاف لا يقلّ عن الاختلاف في المصطلح ؟ ذلك ان اللغات الاجنبية تتّقدّم مجالاً واسع لاختيار الرموز، من حيث وجود الحرف الكبير والصغير ، وكذلك كتابة الحرف نفسه بصور مختلفة ، وبخطوط مختلفة ( عادي او مائل ) ؛ ورغم ذلك نجد احياناً اختلاطاً في الرموز . وفي العربية يضيق المجال اذا اقتصرنا على استخدام شكل واحد للحرف ، الا ان بوسعنا استخدام اشكال مختلفة لتقدم مادة كافية للرموز ؛ لكن يجب الحرص على ان لا تكون النقطة المصاحبة لبعض الحروف مصدراً للتشويش .

وهناك مصدر آخر للاختلاف والخلط، ويصحبه العديد من المشاكل التي لا تظهر لنا لأول وهلة ؛ ذلك ان هناك اتجاهات لوضع رموز عربية للعناصر ، واستخدام الاعداد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ... ، ٥ ، ... ، ٦ ، ... ، ٧ ، ... ، ٨ ، ... ، ٩ ، ... ، ٠ مما يبيّن على قاعدة تربطه بالاسم المستخدم له في تلك اللغة ، وانما هو، كما نعرف، مستمدّ من اسم قد يكون من اللاتينية او اليونانية او احدى اللغات الاجنبية الحديثة، باخذ الحرف الاول ، او هذا مع حرف آخر . اذا كانت تقبل ان نكتب الكلمة الاجنبية بحروف عربية، ونطبع عندها بيان نتعرف على المسمى من التسمية ، نكتب نصيّق بالرمز الاجنبي ٥، او C ، او Se ، او Ge ، او Na ، ولا سيما انها ستظهر

في المركبات ، وتد ظهر الواحد منها مدة مرات ؟ وكيف اذا كان رمزا بحروف عربية منقطة ؟ الا يخلق ذلك مجالا لخلط هذه النقطة او النقطتين مع الكترون ، او زوج من الالكترونيات ، كما يُميز لها عادة ؟

نسم اليس من مبادئه التعرف على مركب النظر الى صورته او صيغته ؟ فهل نساعد على ذلك ان فينا الصورة والصيغة باستخدام الحروف العربية للرموز ؟ والدارس منا مضطراً للاطلاع على هذه الصيغ ، سواء كانت بنائية ام جزئية ، وذلك لاستخراج المعلومات عنها من المختصرات التي تستخدم الصيغة كفتاح . الا يكون من الانضل الابقاء على هذه الرموز بدل ان نحضر في كل مرة الى اعادة كتابتها خطوة اولى نحو استخدام هذه المختصرات ؟ وما الضير في العودة الى الاعداد العربية إن وجدنا انها جزء ضروري من هذه الصيغ ؟

اذا كان هدفنا الاول من التعریب ، ویانتقتنا ، هو تسهیل فهم المادة العلمیة انطلاقاً من المبدأ القائل بأن الاستیعاب باللغة الام اقوى ، ننان اي عامل يساعد على الاستیعاب يجب ان یُینقى عليه ، واي عامل یقف حجر عثرة في سبیل هذا الاستیعاب لا یحدرو بنا التمک به .

وفي ذهنى يرتبط البقاء على الرموز ، وهي عالميّة الاستخدام ،  
بقرنها باستخدام الأعداد العربية ؛ ولا يضرنا أنها ( الرموز والأعداد )  
تكتب من اليسار إلى اليمين ، فهذا أمر شكلي لن يضر باللغة  
العربية على من يعيق من قدرة الدارس على الاستيعاب ؛ ثم لا تكتب  
بعض الأرقام الهندية من اليسار إلى اليمين ٦ ، ٩ ، إلى حد ما ،  
وبعض الأرقام العربية لا تكتب من اليمين إلى اليسار ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٩  
إي ان اتجاه الكتابة ليس مطلقا ، وليس مرتبطا بلغة دون اغري .

## الترجمة :

من الحجج التي يتذرع بها خصوم التعريب عدم توافر المادّة العلميّة باللغة العربيّة ، مقارنةً بما يُغيب به المحيط العلمي من كتب دراسية ، وكتب متخصصة ، وسلالس كتب ، ونشرات ودوريات .

وهي حقيقة نجد أنفسنا مضطرين للاعتراف بها ، ليس على مستوى الْكُمْ فقط ، ولكن على مستوى النوع أيضًا . لذلك فإن هناك بعض التضخيّة في مدى الاختيار ، تفرضها ظروف الفترة الانتقالية حين نضطر إلى اعتماد كتاب معين ، بينما يكون المجال الأوسع مفتوحًا أمامنا لل اختيار لو درسنا بلغة أجنبية . ذلك لأنه لا بدّ لنا أن نعرف أنه قبل أن تتفتح عالم الطريق أمامنا للتاليق على نطاق واسع ، فلا بد أن نلّجا للترجمة باختيار أفضل الكتب ونقتربا للعربية . ولا بدّ أن نلاحظ أن هذه الحركة في الوقت الحاضر ضيقة إلى أبعد الحدود ، ولذلك فانتنا نجابة بقلة الكتب المترجمة ، ونجد أننا نُتّصرّ في متابعة التطورات العلمية بالترجمة الدائبة والاستعداد لاصناف كل جديد .

ومنذ مدة طويلة ، مثلاً ، قامت أكثر من محاولة لترجمة كتاب في الكيمياء العضوية ، واستغرقت وقتاً طويلاً ؛ وحين وضع الكتاب بين أيدي الطلاب ، كان قد عفى عليه الدهر في مصدره ، وحلّ محله كتاب جديدة ذات مستويات أفضل ؛ فهل كان بإمكاننا متابعة الجديد بجهد جديد ؟ كلاً . لماذا ؟

### عملية الترجمة بحاجة إلى عوامل عديدة :

أولها : الجهاز المتخصص الذي يسعى لاختيار الكتب بالاستعانة بأهل الاختصاص ، ثم يجري الاقتنات ب شأن ترجمتها ونشرها بشكل لائق لا يقلّ عن مستوى الكتاب الأصلي . وهذا الجهاز يجب أن

يكون شاملًا للأداريين والرسامين والمصورين ، وان تكون لديه مطبعة ، او ان يكون بأمكانه الاعتماد على جهود مطبعة دون تأخير .

وثانيها : المترجمون القادرون على تولى هذه المهمة، والتعبير عن المادة العلمية بلغة عربية جيدة ؟ ولا بد في نفس الوقت ان يكونوا مؤمنين بالفكرة ، عاملين للتمهيد لها باستبطاط المصطلح، وطريقة التسمية، واسلوب الكتابة الجيد . وانت اذا بحثت عن هؤلاء ستجدهم بصعوبة . ذلك ان معظم جامعاتنا تعتمد في تدريب هيئاتها التدريسية على ارسال المبعوثين الى الجامعات الاجنبية ، فتجد ان الكثير من اعضاء هيئات التدريسية اما عاجزين عن التعبير السليم باللغة العربية كلاما او كتابة ، وإما غير مكتئبين للأمر، فليس لديهم حاس له ؛ وتجد بعضا منهم ، وهؤلاء نموذج خطر ، وقد تحوّل انتباوه من فكريها وعقائديها نحو الغرب ؛ فهم حتى ان خاطبوك في شأن من الشؤون اليومية تُشدّدوا بالانجليزية ، واذا عرّضتَ فكرة التعرّيف هزوا رؤوسهم ونالوا بجانبهم ، وكان الامر ائم او سبة .

وكثر ما يتسائل البعض : هل سيتم التعليم باللغة العربية الفصحى، ام اللهجات العامية هي التي ستسود قاعات المحاضرات ؟ اذا كان الامر كذلك، فاي جدوى تعود على اللغة العربية من عملية التعرّيف ؟ الحقيقة ان اللهجات المحلية ليست على تلك الدرجة من القوّة ، فهي على طريق الزوال نتيجة لانتشار صورة واحدة من اللغة الفصحى بانتشار الاذاعات والمحاجنة والطبعات المختلفة في الوطن العربي .

غير ان اللغة العربية الفصحى تعانى على السنة السادسة والعاملين في الاذاعات المسومة والمرئية ، فان اضيفت لذلك معاناتها في غرف المحاضرات ، فليس العيب في ذلك كامنا في عملية التعرّيف نفسها ، بل في القصور عن تنمية القدرات الاساسية في اللغة العربية لدى الطلاب في مختلف مراحل الدراسة ، حتى اذا ما شبيوا عن الطوق

وصاروا رجال سياسة او اعلام او تعليم، نجدهم لا ينتقدون لغتهم ولا يحسنون التحدث بها .

وثلاثها : التمويل : اذا وجدت المترجمين المصالحين ، فيجب ان تجد المال الكافي لكتابتهم بشكل مُجزٍ على علهم كي ينتقدوه .

وكذلك يجب توفير المال الكافي لجميع الفنانين اللازم لجهودهم للخروج بالكتاب الى حيز الوجود ، كما يجب توفير تكاليف الطباعة وغيرها . كل هذه الامور تتطلب اموالا طائلة . واستطيع ان اقول من تجربتي مع بعض الهيئات التي تصدّت لعملية الترجمة إن هذا العائق كان حتى الان العقبة الكادحة التي تحول دون توسيع العملية وانتشارها .

ومن طبيعة الاحتياجات الازمة لعملية الترجمة نجد ان افضل ما يمكن تصوّره لنجاحها ان تكون هناك هيئة عربية تؤمّن تقويم بها ؛ وهي بذلك تكمل انصباب موارد الخبرات والمال من جميع الاطياف العربية، فتؤود حركة الترجمة ولادة صحيحة قوية ، ويشتدّ عودها، وتنهض على اندامها بثبات .

#### التاليق :

رغم ان الترجمة في المراحل الاولى ضرورية كصورة من صور نقل التكنولوجيا ، الا انه ، كما في حالة التكنولوجيا ، فاننا بعد فترة يجب ان يصدر عننا، وان نطور ما يناسبنا سواء اكان تكنولوجياً مناسبةً لبيتنا ، او كتاباً علمية يضعها علماؤنا ، تأخذ بعين الاعتبار عقلية طلابنا ومصادرنا الطبيعية وصناعاتنا، وغير ذلك .

ودون ان اعود من حيث بدأت ، اقول إن متطلبات التاليق لا تختلف اختلافا كبيرا عن متطلبات الترجمة التي اسلفت ذكرها .

على انه في كلا الحالتين - الترجمة والتاليق - لا بد ان يجريا على نطاق واسع ، وبسرعة توازي ما يحصل من تطور فني

العلم العلمي المتقدم ، حتى لا نجأ به بقلة التنوع في المصادر ، وبيان  
تصبح بعض المصادر قديمة قبل أن يتداولها الدارسون ؟ وهذا لا  
شك كائن إن كانت الترجمة أو التاليف جهوداً فردية ، أو تقوم بها  
هيئات ضعيفة الموارد ، وتكون بذلك عرضة لغزلة كلبية أو جزئية  
عن تيار العلم .

ولا يفوتي أن أذكر أنسه، لإحكام الصلات بين العلماء العرب  
والاجانب، لا بد لهاتين العمليتين ، وخاصة الترجمة ، ان تسيرا في  
اتجاهين : منتقل احياناً ما يصدر عن علمائنا من مؤلفات ومشورات  
عرببة الى لغة أجنبية ، ان كان لدينا ما نُخْرِجُ بان يطلع العالم عليه .

### اللغات الأجنبية :

أشرنا في ثناباً هذا الحديث الى ان هناك بضع لغات علمية  
ذوّلية تسود العالم العلمي في الوقت الحاضر . لذلك، وعلى افتراض  
العمل الجاد والسير بحركة التعريب بخطى ثابتة ، فلا بد لنا  
من التوسيع في تعلّم اللغات المذكورة ، اذ لا غنى للدارسين عندنا  
عن الاطلاع على المنشورات العلمية التي تستحيل ترجمتها لكثرتها ،  
كما انهم لا بد م被迫ون للرجوع لمصادر الدراسة الأجنبية استزادة  
للمعرفة . كما انهم يجب ان يكونوا قادرين على فهم المحاضرين من  
الزوار الاجانب الذين تُعتبر زيارتهم ضمن برامج التبادل امراً  
جوهرياً في النشاط العلمي .

زد على ذلك انه ، حتى نصبح في وضع علمي متقدم يحفز  
العلماء على تعلم العربية لقراءة ما ننشر من أبحاث ، فلا مناص لنا  
بين حين وآخر من مخاطبة العالم العلمي باحدى اللغات العلمية الدولية .

وبعد ، فإن قائمة المشاكل التي تقف في طريقنا لا تقف عند هذا  
الحد ؛ وهي تتضخم بمقدار النقص في استعدادنا للتصدي للمهمة .  
لكن الاصالحة وعلو الهمة في ان لا نتخاذل امام المشاكل ، ووعورة  
المسالك .

وطبيعة هذه المشاكل والقضايا تتطلب ان تقال الدعم من  
الساسة واهل التنوز ، حتى لا تكون كمن يحرث في البحر ؛ فالحلول  
المثلية امامنا تتطلب المال والتنظيم والتعاون ، والا لئن نتقدم  
فيه آملة نحو تعریف التعليم والنشر .

انني رغم ذلك لا ادعى ان مجرد التغلب على هذه المشكلات  
سيؤدي الى فیض من الابداع العلمي ، فهناك الكثير مما يعوق ذلك  
ما لا ملة تربطه بموضوع اللغة ، لكن ازالة بعض العقبات من  
الطريق حائز لنا للسمعي نحو ازالة غيرها من العوائق والعقبات .

الدكتور عادل جرار

# مع ديوان الأدب ما ذكر في ابنه ابراهيم الفارابي

## للدكتور ابراهيم السامرائي

(كلية الآداب / جامعة بغداد)

كُتُبٌ قد كتبت شيئاً مما بذلناه وانا اقرأ الجزء الاول، ثم عقبت على ذلك بملحوظات عرضت للجزء الثاني؛ وهالان اتصدى للجزأين الثالث والرابع، خاصّاً مجلّة المجمع اللغوي الاردني بهذه الاشارة.

اقول : اراد الفارابي ان يعرض لابنية العربية كما جاعت في المعجمات الطولة ، وان يصنف من ذلك معجماً مرتبًا لهذه الابنية؛ مهل تراه صنع معجماً كسائر معجمات المعاشر؟

الجواب : ان "ديوان الأدب" معجم غريب في منهجه ؛ وفرادته هذه جعلته صعب المطالع لا يمكن ان ترجع اليه بيسر؛ فالابنية مرتبة على نمط خاص من حيث عدّة اصواتها، ومن حيث كونها فعلاً او مصدراً او اسماء مهومزاً او معتلاً او صحيحاً . وانت متّحّن اشد الامتحان في الاهتداء الى ما تريده من ذلك . ثم انك تحتاج الى فهارس تستوفى هذا القدر الكبير من الابنية وموادها؛ واظن ان الحقّ بعد ان انتهى من تحقيق نص الكتاب، سيعمد الى شيء من ذلك، والا ضاعت الفائدة وبعد الطريق .

لقد قلتُ في الكلام على الكلام على الجزأين الاول والثاني إن الحقّ قد ادرك في تحقيقه ما يصبو اليه الباحث الجاد في اخراج النص سليماً مبرئاً ، مخلوّاً بفوائد نافعة .

غير انى تناولت مادة الكتاب وطريقة عرضها، فتوقفت على ذلك وقتات طويلة. وهالانا أتمّ هذه المسيرة في هذين الجزأين، الثالث والرابع من الكتاب، فاقول :

١ - لم يكن عمل الفارابي في «ديوان الادب» عملاً معجباً يتصف بالاستقراء الواعي للأبنية، وما يندرج في كل بناء من الكلم . لقد خص هذا الجزء بالمضاعف، فبدأ بالاسماء، فكان بناء « فعل » بفتح الفاء وسكون العين، فاتحة هذا الجزء، مرتبًا الكلم على حروف المجمع، مجاء به « الخبّ » جمع حبة ، والخبّ من الرمل ... والرّبّ معرفنا ... وهكذا في سائر الحروف » .

اقول : وفاته ان يذكر في حكم هذا الترتيب « الآباء » .  
والآباء : الكلأ ؛ وقلوا : هو المرعى . قال تعالى : « وفاكهه وأبأ ».  
وفاته ان يذكر « الخبّ » ومعانيه، واكتفى بقوله : « الخبّ من الرمل »؛ وهو في تمام معناه : حبل من الرمل لاطيء بالارض . ولم يذكر أن « الخبّ » الخداع، وهو الجُرْبُ الذي يسمع بين الناس بالفساد .

وفاته ان يذكر « الباب »؛ الغلام السمين .  
وفاته ان يذكر « الباب » وهو الليبب ؛ وهو ايضا اللطيف القريب من الناس .

ويقال : رجل لَبَّ طَبَّ اي لازم للأمر ؛ وانشد ابو ممرو :  
لَبَّا بِأعْجَازِ المَطَّيِّ لاحقًا

وفاته « الجثّ » . قال ثعلب عن ابن الاعرابي : الجثّ هو الجنس للكبش لتنظر أسمين ام لا .

وفاته ايضا « الشَّجَّ » ؛ جاء في الحديث : تمام الحجَّ المعَجَّ والشَّجَّ .  
والمعَجَّ العجيج في الدعاء . والشَّجَّ : سفك دماء البدن وغيرها .

ولم يشر الى « الدُّخْ »؛ وفي لفظة « الدُّخْ » بالضم؛ وهو الدخان ؟  
قال الشاعر :

ومار وصلُّ الغانيات أَخَّا

عند سمار النار يخشى الدُّخَا

وفاته ان يشير الى « الزَّخَّ »، فهو السير العنف .

وقال في « النَّخَّ » : أن تناخ الابل مرببا من المصدق ليصدقها » .

اقول : ولما كان الباب معقودا للأسماء دون الافعال، فعبارة « الصحاح » هي المقبولة الواجبة ؛ جاء في « الصحاح » : النَّخَّ: الابل التي تناخ عند المصدق ليصدقها » .

وفاته ان يذكر « الصَّحَّ »، وهو الضرب بالحديد على الحديد، والعصا الصلبة على شيء مصمت » .

وتخصيص الضرب بهذه الخصوصية المعنوية يخرج الكلمة عن المصدر، وهو « الصَّحَّ ». والمصادر مما ادرجها الفارابي في باب الافعال .

ومن المهم ان اشير الى ان المصطف حين يذكر الكلمة يكتفي منها في كثير من الاحيان بمعنى واحد ، وقد يكون هو المشهور الذي يعرفه الخاصة وال العامة . ومن ذلك قوله في « الخَدَّ » : « وهو الخد »، وسكت .

جاء في « اللسان » : والخَدَّ والاخذود، شقان في الارض غامضان مستطيلان . والخَدَّ: الجدول .

وقد يختلط الامر على المصطف نيدرج المصدر مع الاسماء ويحسبه اسماء، كما قال في « الشَّدَّ »، اي ارتفاع النهر . وعندئ انه مصدر، لان الفعل في قولهم « شَدَّ النهر » ارتفع .

وناته ان يذكر «الصَّدَّ» ؟ و «الصَّدَّ» و «الصَّدَّ» بفتح وضم؛  
الجبل ؛ قالت ليلسى الاخيلية :

أتَابِعُ لِمَ تَبَيَّنَ وَلِمْ تَكُنْ أَوْلَأَ  
وَكَنْتُ صُنْبَأً بَيْنَ صُدُّبَيْنِ مَجْمَلاً  
و «الصَّدَانَ» ناحيتا الشعب او الجبل او الوادي والواحد «صَدَّ» .  
وقد يثبت من المعانى احدهما، وقد يكون الاغرب، كما تقد يكون  
الاشهر كما بيَّنَا ؛ ومن ذكره اغرب المعانى وامثل المعانى الاخرى  
قوله في «القَدَّ» :

و «القَدَّ» : مُسْكُ السُّخْلَةِ ؛ يقال في المثل «ما يجعل قَدَكَ  
من اديمك» . و شيء حسن القَدَّ ، اي حسن التقطيع .  
اقول : وفاته ان يذكر ان «القَدَّ» القامة ، وقدر الشيء ؛  
و غلام حسن القَدَّ اي الاعتدال والجسم .

واما اثبات المصنف في قوله «حسن القَدَّ اي حسن التقطيع»  
 فهو اعلق بالاتصال لاته يذکر بالمصادر .

وقال في «النَّدَّ» : وهو «النَّدَّ» ، واكتفى بذلك،والذي جاء  
في كتب اللغة : ان «النَّدَّ» التل المرتفع، ونوع من الطيب ، كما في  
«الصحاح» .

وقد يتجذب المصنف الخلاف وما فيه من اقوال قد تحمل على  
التضاد او غيره، ومن ذلك ما جاء في «الهَدَّ» . قال المصنف : ويقال :  
اني غير هَدَّ، اي غير ضعيف .

اقول : وقال ابن الاعرابي «الهَدَّ» من الرجال: الجواب  
الكريم، واما الجبان الضعيف فهو «الهَدَّ» بكسر الهاء لا فتحها .

ونبات المصنف ان يذكر «وَدَّ» وتعني الكلمة اسم جبل معروف .  
و «الوَدَّ» : الوَدِّ، بلغة تيم .

واكثري المصنف بقوله : ان « الجَرَّ » أصل الجبل ، وهو جمع « جُرْتَة » .

اقول : وفاته ان يذكر انه الجبل الذي في وسطه اللؤمة الى المضمة .

وفاته ان يذكر « العَرَّ » بمعنى الجرب، وهو العَرَّ والعرَّ بالضم .

ونذكر ان « المَرَّ » هو الجبل، وفاته ان يذكر انه المساحة ايضا ، وقيل : مِيقَها .

وما اريد ان اسرف في استدراكي على ما ذكره المصنف في بناء « فَعْلٌ » من المضاعف؟ فانتقل الى بناء « فُعلَة » بفتح فسكون من المضاعف ايضا ماتقول :

٢ - بدا المصنف بـ « حَبَّةُ القلب » بمعنى ثمرةه، وفاته ان يذكر : « بَيْثَةً » وهي حكاية صوت صبي . قالت هند بنت ابي سفيان ترقص ابنها عبد الله بن الحارث :

لَا يَخْحَنَ بَيْثَةٌ

جَارِيَةٌ خَبَبَةٌ

وفي « الصحاح » : « بَيْثَةٌ » : اسم جارية . و « الْبَيْةُ » السمين ؛ وقيل : الشاب الممتلىء البدن نعمه ، وقد حكمه ابو عبيد في « الغربيين » .

وفاته ان يذكر في « حَبَّةٌ » انها واحدة الحَبَّ ؛ وانها اسم امرأة .

وفاته ان يذكر « الْخَبَبَةُ » بفتح وكسر الطريقة من الرمل والسحب ، وهي من الثوب شبه الطُّرَّة .

وفاته ان يذكر « الدَّبَّةُ » وهي التي يجعل فيها الزيت والبزr والدهن؟ وجمعها « دِبَابٌ » .

وإذا كان المصنف قد ذكر « الرَّبَّ » معرفاً بأنه الخالق ، ورب الدار، صاحبها؛ فلم لم يذكر « رَبَّةُ الدار » صاحبتها !

وناته ان يذكر « السُّجَّةُ » وهو صنم كان يعبد من دون الله .  
وبه نسأله - على الله وعليه وسلم - : اخرجوا مدقائقكم نان  
الله قد اراكم من « السُّجَّةُ » و « الْبَجْةُ » .

و « الْبَجْةُ »؛ النصيد الذي كانت المرب تأكله في الأزمة .  
وتلوا : و « زَحَّةُ الاتسان وَمَزَخْتُهُ وَمِزَخْتُهُ »؛ امراته ؛ ولم  
يشر الى ذلك المصنف .

وناته ان يذكر « القَلْةُ » وهي النهضة من علة او نقر . وناته  
ان يذكر « الْعَمَّةُ » مؤنة العم .

واكتفى بهذا القدر، وانتقل الى بناء « فُعْلٌ » بضم فسكون،  
من المضاعف، فاقول :

٢ - لقد نات المصنف ان يدرج « الْخُبَّ » وهو الفاضل من الارض .  
وناته ايضاً ان يذكر « الْأَسْ » وهو الاساس، اي اصل البناء .  
وناته كذلك ان يذكر « الْأَقْنَ » وهو الاصل .

وناته ان يدرج « السُّلَّ »، وهو الداء؛ وفيه ثلاثة لغات: الفضم  
والفتح ثم السلال .

وناته ان يذكر « الْقُلَّ » هو الخسيس الدين ، ومنه قول الاعشى :  
وما كنتُ ثُلَّا قبل ذلك ارَيَا  
وتنقل الى بناء « فُعْلَةُ »، بضم الفاء وسكون العين، من المضاعف،  
نجد « الْجُبَّةُ » .

اقول : واجزوا المصنف من معاني « الْجُبَّةُ » من ذكر الخرقة  
ُتُخْرِجُهَا من الثوب وتتعصب بها يدك .

وناته ان يقول ايضاً : ان « الْجُبَّةُ » الخد في الارض . « والْجُبَّةُ »  
طريقة لبناء ميناء، ليست بحزنة ولا سهلة، وهي الى السهولة ادنى .

واغفل ذكر « الدُّبَّةَ » اثنى الدب .

وناته « المُجْجَةَ » لضرب من الطعام اخظنوا في مادته وأجزائه،  
مقالوا، الدقيق بالسمن، وتقالوا ثيبنا آخر .

وقد تجد عبارة المصنف معوزةً بهم يقول في « الْكُرَّةِ »؛ البعير  
العنن ؛ قال النابفة يصف الدروع :

عُلِّيَّ بِكَثِيرٍ وَأَبْطَانَ كُرَّةً فَهُنَّ وِضَاءَ صَانِيَاتُ الْفَلَانِلِ

اقول : وقد تعجب من مجيء الشاهد في الدلالة على المعنى  
الذي اثبته المصنف، وهو البعير العنن . ولكن الحقيقة تنجلب بعبارة  
« الصحاح » الذي زاد على ما ذكره الفارابي بتقوله : « تُجَلِّي بِهِ  
الدروع » ؛ وهنا يتبين قيمة الشاهد وهو قول النابفة .

ومن ذلك أيضاً قوله : « والْحُزَّةُ لِفَةٌ فِي الْحُجْزَةِ » .

اقول : وإذا رأينا عبارة « الصحاح » : ان حُزَّةَ السراويل،  
وَحُجْزَتَهَا التَّكَّةُ ، ادركنا تقسيم الفارابي في ايجازه المُغْلَلَ .

ومن ذلك قوله في : « الْمُرْزَةُ »، الخمر . وهي في « الصحاح » :  
الخمر التي فيها طعم حموضة .

وقد يأتي بشيء من المناكير مما لا نجد له في أي من كتب اللغة ؟  
ومن ذلك قوله : « وَهِيَ اللُّطْلَةُ » .

اقول : وليس في « اللسان » او « القاموس » او « الصحاح »  
او « الجمهرة » شيء من ذلك .

وإذا كان الكلام على بناء « فُعلَةَ » وما جاء منه في العربية،  
فماين « الْأَمْةَ » وهي كلمة شهيرة تصرف الى دلالات عده ؟

ثُمَّ اين « الْحُمَّةَ » وتعني معظم الحرّ ؟ واين « السُّمَّةَ » وهي  
حصى يتخذ من خوص الفَفَفَ ؟

وفي « التهذيب » : والسمة شبه سفرة مريضة تُسْتَدِّ من الخوص  
وتبسط تحت النصلة اذا صرمت ليسقط ما تناول من الرطب والتمر عليها .

نسم اين « القمة » وهي المزيلة ؟

واما انتقلنا الى بناء « فعلى » بضم الفاء من المنسوب المضاعف ،  
وقدمنا المصنف يذكر اربعة الفاظ هي عده ما جاء على هذا البناء .

٤ - اقول : وليس فيها « العمى » وهو العام يقابل الصريري ،  
وهو الخاص .

واما تجاوزنا هذا البناء المنسوب المضموم الفاء الى نظيره  
المكسور الفاء، نجد ثلاثة الفاظ ليس غير .

٥ - اقول بوفاته « علىي » وجمعها « عليون » كما في قوله تعالى :  
« ان الابرار لبني عليين » .

٦ - وفاته ان يذكر « الحم والصم »، وليس له ان يفتح  
بالمصدرية، فقد ذكر البَلَل والملَل والرَّلَل والقصص وغيرها وكلها من  
المصادر . واين « الدَّبَب » وهو الشعر على وجه المرأة ؟

٧ - ويعد المؤلف، كثيرا الى الاكتفاء بمجيء الكلمة على البناء  
الذي يشير اليه، من غير ان يذكر شيئا من دلالته، مع انه يستحق ذاك؛  
قوله في « الحُظَّ » : انه لغة في « الحُظَّ » بضم فتح وبضمتين .

اقول : وقد وردت بضادين وبظاعين، وبضاد بعدها ظاء، كما في  
كتب اللغة الاخرى . والحسْض دواء من ادوية العين ...

٨ - ونأتي الى بناء « قُلْة » نجد ستة الفاظ، وليس بينهما  
« هَمَّة » و « لَمَّة » و « ضَحَّكَة » و « هُزُوة » وكثير غيرها .

٩ - ولم يذكر في بناء « أَقْعُول » الا « الأَخْدُود »؛ فماين  
« الأَنْبُوب » ؟

١٠ - وفاته ان يذكر « الإِرْزِيز » على بناء « أَنْعِيل » وهو الرعدة ؛ و « إِرْمِيم » وهو لبلسة من ليالي المُحَاجَّ .

١١ - وفاته ان يذكر « الدَّبَّ » وهو مكان جريان السبيل . و « الْحَلَّ » وهو اشهر من ان يغفل ذكره . ومثل هذا كثيير .

١٢ - قلت : انه يوجز، والايجاز حيث يجب من البلاغة والاحكام، فقد قالوا : البلاغة ايجاز . غير ان ايجاز يصبح مأخذًا على صاحبه اذا لم يُفِّ بالمراد . ومن ذلك قول المصنف في « الْدَّكَّ » على « مُفْعَل » مثل « بِرَدَ » : انه شديد الوطء؛ ان قوله « شديد الوطء » معوز، فقد ينصرف « الوطء » الى دلالات عده ؛ فاذًا قرأتنا « الصحاح » ووجدنا فيه : انه قوي شديد الوطء للأرض ، انتهى اللبس وزال الغموض .

١٣ - ومن ايجاز المصنف المُخْلَل قوله : « وهو المُخاطَط ». ولا يعرف القارئ ما المُخاطَط، فما يشتهر مصادر اللغة، فيجد الجوهرى يدرجه في « الصحاح » قائلاً : انه عود يُسوى عليه الخطوط .

١٤ - وفاته ان يذكر في بناء « فَعَال » المضاعف « الدَّقَاق » و « السَّلَال » من اسماء الرجال، وكذلك السَّفَاح والسَّفَاك من التابعهم . ومن اعلامهم « زَبَان » وبه سمي ابو عمرو بن العلاء، ومن هذا كثيير .

١٥ - وفاته ان يدرج « الدَّبَابَة » في بناء « فَعَالَة » من المضاعف . و « الدَّبَابَة » التي تُتَخَذ للحروب ، يدخل فيها الرجال ، ثم تُدفع في اصل حِصن ، فينتسبون ، وهم في جوفها ؛ سميت بذلك لانها تُدفع متَّسِّبة .

و « حَبَابَة » من اعلام النساء المشهورة .

١٦ - وذكر في بناء « فَعَال »، بضم الفاء مع تشديد العين، ثلاثة اسماء، اولها :

« رَجَالُ سُحَّاحٍ » اي سمان .

اقول : والخبط في « الصحاح » بكسر السين مع التخفيف ، وفي « القاموس » بكسر السين ويضمنها مع التخفيف ، ومثله في اللسان . ولم يرد في أي منها تشديد الحاء . والذي أراه أن قول المصنف « رجال سُّخَاجٌ » وهو جمع « ساخٌ » لأن « فَعَالٌ » مما يطرد في جمع « فاعلٌ » .

ولم يذكر « الدبّاء » وهو القرع؛ واحدته « دبّاء » ولا « المكاء » لجنس من انطير، وغير ذلك .

١٧ - وفي باب « فاعول » من المضاعف ذكر المصنف اربعة الفاظ بداهاما بـ « ماجوج » .

اقول : والرواية فيه المهزّ « ماجوج »، وتمريء « ماجوج » بتسهيل المهزّ ايضاً ؛ فإذا ذكر « ماجوج » فما بالله لم يذكر « ياجوج »، وهو مثله ويس比ت في الآية الكريمة : « ياجوج وماجوج » !

وذكر « الجاسوس » ولم يذكر « الداسوس »، وهو مثله وقرب منه في الدلالة .

١٨ - وفي باب « فعال » بفتح الفاء مع التخفيف مما لحقته الزيادة من حروف المدّ بين حرفين تضعيه، فاته ان يذكر « البَلَبَ » وهو الارض القفر ، و « الحَازَرٌ » من الرجال، وكذلك الحزير الشديد على السوق والقتل والعمل .

١٩ - وفي باب « فَعُولٌ » من المضاعف قلل المصنف : « وهو الثُّورُ » .

اقول : وجاء في القاموس : ما يُذَرُ في العين ؛ وعطر كالذريرة .

٢٠ - وذكر المصنف : « سنة حسوس، اي شديدة » .

وفي « الصحاح » : انها شديدة المُخل .

٢١ - وجاء في « الزَّنْوَفٍ » : انهما نرسن كان للنعمان بن المنذر .

اقول : قد يكون هذا ثابتاً غير أن في « اللسان » : ان « الزفوف »  
هي النعامة . وقد اغفل ذكرها صاحب « الصحاح » .

٤٢ - وذكر المصنف ان « السُّوْم » شدَّة الحر . والذي في  
« الصحاح » إنها الربيع الحارة . و قال في « الْهُمُوم » من البحار ،  
الكثير الماء .

اقول : وجاء في اللسان : ان « الْهُمُوم » البئر الكثيرة الماء .  
وسحابة هوم ، صبوب للمطر .

وقال أبو عمرو : « الْهُمُوم » الناتمة الحسنة المشية ، والقرواح  
التي تعاشر الشرب مع الكبار ، نادا جاعت الدَّهَاءُ شَرِيْت معيَّنَ ، وهي  
الصِّفار . والهُمُوم : الناتمة تهم ببنيها الأرض وتترعى أدنى شيء تجده ؟  
قال : ومنه قول ابنة الخس : خير النوق الْهُمُوم الرَّمُوم التي كان  
عينيها عيناً محبوم .

اقول : وقول ابنة الخس : خير النوق الْهُمُوم الرَّمُوم ، التي كان  
عينيها عيناً محبوم . اقول : وقول ابنة الخس يشير الى « الرَّمُوم »  
التي ندَّت عن الفارابي فلم يذكرها .

٤٣ - لقد افرد المؤلف باباً لبناء « معيل » المضاعف ، وأغلبه  
من الصفات التي كان من منهج المصنف ان تدرج في باب الافعال؛ نحو:  
الحبيب ، والرَّبِيب ، واللَّبِيب ، والشَّحِيف ، والجَدِيد ، واللَّذِيد ، والضرير ، والعزير ،  
والخسيس ، والخفيف ، والدقيق ، والجليل ، والدميم ، والضئيل؛ ومثل هذا كثير  
في هذا الباب .

٤٤ - وجاء في هذا الباب « اللطبيطة » فقال المصنف : وهي  
اللطبيطة .

وليس اللطبيطة في « الصحاح » أو « اللسان » أو « القاموس » .  
وقد وُجِدَ في هذه المظان : لطَّطَتُ الشيءَ : الصقته ؛ ولطَّطَتُ حَقَّهَ :  
جحدته ؛ ولطَّ الستر : ارخاه ؛ ولطَّت الناتمة بذنبها، اذا جعلته بين فخذيها .

٢٥ - وقل المصنف : « هي البليبة » . واحتى بذلك . وهي باردة مع ندى او مطرة ضعينة، كما في « الصحاح » و « اللسان » .

٢٦ - وجاء الكثير من بناء « فعل »، بضم الناء المضاعفة، مثلت ونوعها، مما يجب أن يدرج في قسم الافعال .

٢٧ - وقلت المصنف ان يدرج « الطناف » في عدة هذه الانفاظ التي جاتت على هذا البناء .

٢٨ - ونوات المصنف في بناء « فعلة »، بضم الناء مع التضييف، « الطفافة » ، وهي ساقق المكابي، ومثلها « الطناف » الذي اشرنا اليه .

٢٩ - وجاء من المنسوب على بناء « فعل »، بضم الناء، لفظ واحد هو « القُساسي »، وذكر المصنف انه السيف .

اقول : وفي « الصحاح » ان القُساسي معدن الحديد بارمبنية ، و « القُساسي » منسوب اليه .

٣٠ - وجاء في بناء « فعل »، مكسور الفاء من المضاعفة، « الجدّاد »؛ ذكر المصنف انه لفته في « الجدّاد »، بفتح الجيم .

اقول : والجَدَاد والجَدَاد مثل الصرام والتقطاف، كما في « الصحاح » .

٣١ - ومن ايجاز المصنف انه ذكر « الصِرار »، بكسر الصاد، قوله : الخط الذي يَكُدَّ به ضرع الناقة .

اقول : وزاد في « الصحاح »، لثلا يَرْضُمها ولدها ؛ وهذه الزيادة مفيدة وواجبة .

٣٢ - وفي مادة « تمام »، بكسر الناء، ذكر المصنف : ولدِ يَلِم وتمام ( بالكسر والفتح ) ، وقَمَرِ تمام وتمام .

اقول : والذي في « اللسان » الكسر وحده ليلِ تمام وليل لل تمام وليل تمام .

٢٢ - وفاته في بناء « فعلة » بكسر الفاء من المضاعف، « الكلمة » وهي ما يجعل على منخر الدابة لثلا يؤذنها النيلب، كما في « اللسان ». و « الكلمة » أيضاً وفاء الطلع، وغطاء التور، كما في « الصحاح » .

٢٤ - وفاته أيضاً « الدلالة »، بكسر الدال، وهو ما يعطى للدلائل أو الدليل .

٢٥ - وجاء في بناء « فعلى » المضوم الفاء والمضاعف، ثلاثة الفاظ هي : « الرئي »، و « الحمى » و « الغئ » .

اتول : وفاته شيء كثير منه : « الحبي » من اعلام الاتاث ، و « التبّي » : موضع بالدهنهاء لين يالفه الجراد فيبضم فيه ، و « الجلّي » للأمر العظيم .

٢٦ - وفatas المصنف في بناء « فعلاء »، بضم فسكون من المضاعف : « الدباء » وهو القرع، واحدته دباءة .

٢٧ - وفatas المصنف في بناء « فعلان » من المضاعف : « زبان » من اعلام الرجال ، وكذلك « بلان » .

٢٨ - وفatas المصنف أن يذكر « الحجيبة » على بناء « فعلة »، بفتح الفاء، وتعني جري الماء تليلاً .

كما فاته « الخجوبة »، وهي رخاوة الشيء المضطرب . ومثل هذا « البدبة » وهي العُجروف من النمل . و « الدببة » كل صوت اثنية صوت الحافر على الأرض الصلبة . ومثل هذا « التبذبة » وهي تردد الشيء المعلق في الهواء . ومن ذلك « الجبلة » للصوت عاملة . وهذا قليل من كثير مما تصر فيه المصنف .

٢٩ - وفatas المصنف « الصرصر »، بضم الصاد من مضاعف الرباعي . والصرصر بالضم والفتح؛ والصرصور مثل الجُرجور، وهي العظام من الإبل .

٤٠ - وقد ماته في بناء «معللة» بضم الماء واللام: «البلبة»<sup>٩</sup>  
لغرب من الكيزان في جنبه بليل ينصر منه الماء .

٤) - ذكر في بناء «بِعْلٍ» بكسر نسكون من المضاعف :  
ورجل ميّمِمَّ اي غليظ .

أقول وزاد صاحب «الصحاح»: ويقال الجريء الماضي.

٤٢ - وقد تصرّ المصنف في بناء «فعالل»، بضم الفاء وكسر اللام وقد فاته «البساط» و «الكباكب» و «الدبادب» و «الجباجب» للكثير من الصياغ ، وغير ذلك كثير .

٤٣ - وقد ناته كثيـر مـا جـاء عـلـى « فـعلـال »، بـفتح الفـاء  
مـن المـضـاعـفـ؛ وـمـنـه « الـبـدـابـ » و « الرـحـراـحـ »؛ وـشـيـ رـحـراـحـ اـيـ فـيـه  
سـعـةـ وـغـيـرـ هـذـاـ كـثـيرـ .

٤٤ - وتد ناته في بناء «نَعْلَةً» «بالفتح» «الطبابة» وهي خبيثة يلعب بها في الكرة .

ومن هذا ايضاً «البساتة» وهي بُقلةٌ ، وهي ايضاً من اعلام الاناث .

<sup>٥</sup>) — وفاته في بناء « فُعلول » « الطرطور » وهو الوفد من الرجال .

وهو حين يذكر « فعلٌ يَفْعُلُ »، بكسر ففتح، يعرض للنحوت التي وردت على ”فعل“ من الانفعال المضاعف، نحو: الأَخْصُّ والأَشْمُّ وغيرهما .

ثم يدخل في باب الزيادات، بinda بـ « أَفْعُلُ » من المضاعف، نحو: أَخْبَرَ وَأَلْأَعَنَ . ثم يعقب ذلك بـ « فَعْلُ » المزيد، ثم يعرض للمشتقات، كاسم الفاعل وأسم المفعول والصفة وغيرها ، وينتهي من المضاعف فيعود إلى الانفعال غير المضاعفة، ويتبعد منهجه نفسه ، في المجرد والمزيد وما يتصل بهذه كلها من المشتقات .

ولا بد من القول أن المصنف مقصّر غير مستوفٍ لما دخله في هذه الجمهرة الكبيرة من المواد .

وهما نحن بinda الكلام على الجزء الرابع، والمنشور منه القسم الأول؛ ولعلّ القسم الثاني خاص بالفهمارس .

يبدا هذا الجزء بـ « كتاب ذوات الاربعة »؛ وقد يخبل اليك ان « ذوات الاربعة » هذه تعني الرباعي، فما تقول، ليس الامر على هذا النحو، فهو يأتي بباب « فَعْلُ »، بفتح فسكون، مما آخره واو، كالرَّبُّو والنَّحُوا والفَرُّو والدَّلُو، وغير ذلك . والمصنف على منهجه لا يستوفى عدة الكلمات ولا يستوفي دلالاتها؟ وقد يوجز ايجازاً يحمل الضيم على المعاني . ثم انه يخلط الاسماء بالمصادر، مع ان الباب مخصوص بالاسماء دون المصادر، التي يعدها من بباب الانفعال .

فإذا انتهى من هذه الالفاظ ذات الواو في آخرها، عاد الى الباب نفسه مما آخره ياء .

ثم يعرض لما جاء من الباب نفسه من اللفيف الواوي واليائي، كالرَّبُّو والنَّحُوا . ويستقر في ابنية الاسماء المنتهية بأحد الحرفين الواو والياء، كبناء « فَعْلَةً » بالفتح، و « فِعْلَةً » بالكسر و « فُعْلَةً » بالضم ، و « فَعْلًةً » بالضم، و « فِعْلًةً » بالكسر، و « فَعْلَةً بفتحتين»، و « فُعْلَةً »

بفتحتين، أو «مُنْعَل» بكسر فتح، و «أَنْعَل» و «أَنْعَلَة» و «أَنْعَوْل» بالضم، و «أَنْعَوْلَة»، و «أَنْعَلَان» بضم المهمزة والعين، و «مَنْعَل» و «مَنْعَلَة» بفتح العين، و «مُنْعَل» و «مُنْعَلَة» بضم اليم، و «مِنْعَل» بكسر اليم، و «مِنْعَلَة» بكسر اليم، وهكذا في سائر المشتقات من الأصل المجرد أو المزيد، وكل ذلك مما آخره واو أو ياء، ثم عرض للمهموز في الفعل ومصادرها والمشتقات، واتبع المنهج نفسه.

وهكذا ينتهي القسم الاول من الجزء الرابع والدارس لهذا الكتاب متمنياً أشد الامتحان في معرفة الغرض الذي رمى اليه المصنف؛ فهو معجم لللبنية ؟ ومعنى هذا ليس من ضير ان يأتي بهذا القدر الكبير من الانفاظ ؟ ام هو معجم لللبنية والكلم ؟ وادا كان هذا ، فain جمهرة من الكلم التي ثاتت المصنف ؟

ولم أرد أن آتي على ما ناله الفارابي من الكلم المدرج في  
بنيته المختلفة، فليكون للمستدرك الذي آتني به صفة الاستقراء الواهي ؟ بل  
أردت أن آتي بنماذج واضحة مما ناله المصنف، وما أخلّ به أو تصرّ  
أخطاء، لاقول إن الكتاب لم تتوافر فيه المعجمية العلمية الدقيقة .

على أن من الحق أن أقول في الختام إن الحق قد قسم من الفوائد  
ما اغنى الكتاب، فبُسرَه واجزل عائذته . ولا يضرر هذا العمل الجاد  
هفوات عرضت لها في الكلام على الجزء الأول ؟ وهل تعدم الحسناء ذاما ؟

د. ابرٰهیم السامرائی

# تعريب أم اقتباس؟

للأستاذ عبد العزiz فاضل

(بغداد / العراق)

الذى أريد اليه : هو ( تعريب ) بمعنىه القديم لم الحديث ؟ ذلك بل المعنىين قد تعارضا اخرا وتناقضوا في هذه الكلمة الواحدة . فنديما قالوا : عَرَبَتِ الاسم الاعجمي واعتبرته بمعنى : نطق به على نهج العرب ، على تعبير المعجم . وبتعبير اوضح : استعملته نسي عربتك ونطقته على طريقة لفتك . ومن ثم اطلق اللغويون « المَرْبُّ » — زنة المظفر — على الدخيل في العربية . أما اليوم فصاروا اذا اتبسو الاسماء الاجنبية نطقوا بها على الاغلب على النهج الأجنب ؛ مثل : تلكس وفولت وهونك كونك حتى حين يكتبونها هونغ كونغ .. اي ينطقونها بالحركات المالة الاجنبية والحركات الاجنبية .

ثم تغير معنى ( التعريب ) حين استعمله بعض المتأخرین بمعنى الترجمة ، فقالوا : هذا الكتاب تعريب ملان ، او عَرَبَه ملان ، اي ترجمه من لغة اعجمية الى العربية . وهذا بطبيعة الحال عكس المعنى السابق الذي يعني اقتباس اللفظ الاعجمي واستعماله في العربية بدلا من ترجمته . والاثيل فيما يبدو ، في حالة نقل الكتاب انجنبي الى العربية ، أن يسمى العمل ( تعريباً ) اذا عبر الناقل عن الفكرة بأسلوبه هو دون تقيد بتعابير الاصل ، وأن يسمى ( ترجمة ) اذا التزم بأسلوب الاصل وتعابيره .

وانتقلب ( التعريب ) قلبة اخرى يوم استعملوه في قولهم ( تعريب التعليم ) مثلاً بمعنى تدك اللغة الاحنجية في التعليم واحتلال

العربية محلها . ولو سمعها احد العرب القدامى لتسأله متعجبًا : هل المقصود هو التعليم باللغة الاجنبية مع نطق الفاظها « على منهاج العرب » ؟ ذلك بان المعنى القديم قد اختلف في اصطلاح ( تعریف التعليم ) تماماً من ( تعریف الاسم الاجنبي ) اي استعماله في العربية بمعنى الاجنبي مع تحويل نطقه بما يلائم اللسان العربي ، الى طرد اللغة الاجنبية واحلال العربية محلها .

وبما ان هذا المعنى الاخير المستحدث هو الشائع الدائر على الانسنة والاقلام اليوم ، وهو الذي يعرفه ابناء الجيل الجديد ، فلست اجد مناساً من الاخذ به في حديثي هذا ، ولا اجد مناساً كذلك من ان استبدل به ( التعریف ) بمعناه القديم كلمة اخرى ترفع للبس وتزيل التناقض . ولنقل انها ( الاقتباس ) .

\* \* \*

كتيرون يقتربون علينا اقتباس المصطلحات الاجنبية كما هي، بدلاً من صوغ الفاظ عربية تؤدي معناها . بعض هؤلاء من أجيال العلماء الذين لا شك في إخلاصهم للغة العربية وإكبارهم لشأنها . ومن حجمهم أن العلم صار ينطوي بسرعة عظيمة، والمصطلحات تتکاثر؛ فكل يوم يولد نحو خمسين مصطلحاً في مختلف العلوم والمنابع في مختلف اقطار العالم . ومن حجمهم ايضاً ان اقتباس المصطلحات الاجنبية يساعد الدارس العربي على نفهمها حين يقرأها في لغة اجنبية ، بدلاً من الاضطرار الى تعلمها من جديد . وثالثة هي ان العرب قد اکثروا من الاقتباس تدليماً، ولا سيما في عصر الازدهار الحضاري على المعهد العباسى ، وعَدَ بعضهم هذا من امارات ذكاء العرب وحسن تدبيرهم .

وجوابينا على كثرة المولود يومياً من المصطلحات عند الفرنجة، ان معظمها لا شأن له بنا من العلوم التقنية الحديثة التي لا نعرف عنها شيئاً ، او لا نعرف عنها الا القليل، والتي سوف نتعلمها ونحتاج

إلى مصطلحاتها بعد روح من الزمن، <sup>لعله</sup> طويل . كما ان مصطلحات اليوم غير متقد عليها منذ مختلف الأمم، مثل انتقامهم على المصطلحات الغريبة التي كانوا يختارون للغافلها من اللغة الغريبة أو اللاتينية، لكيلا تخاطط — ولا سيما أسماء المفternات الحديثة — بالنظر لفهم اليومية من تبديل telephon بمعنى Voice a far بالإنكليزية script afar بدل telegraph اي : صوت من بعيد ، و اي : كتابة من بعيد .

بل صاروا الآن، لكترة المخترعات وابتكار الأدوات يومياً، يتبعّلون تسميتها ، كلّ بلقة قومه ؛ احياناً يصوغ اسمها الطبيب المشتغل بها، وأحياناً المهندس، أو حتى العامل . في معجم النقط — مثلاً — الذي عيّلت في وضع مصطلحات عربية للكثير من مصطلحاته الإنكليزية ، يطلقون ( head : رأس ) على أجهزة القسم الاعلى من البشر . نهل نسميه على مذهب مؤيدي الاقتباس : ( هـ ) ؟ أنت أثرت ترجمة المصطلح بدل اقتباسه، فاختارت له كلمة ( الهمة ) لأنني وجذتها أونس بالمرام .

واحدى الأدوات يسميها المعجم الأمريكي ( عنزة ) . ويبعدو أن هذه لم تكن من وضع عالم أو مجمع لغوي ، فلعلها من وضع أحد العمال، وجَدَ رأس الاداة او نيلها أو شكلها العام يشبه العنزة فسيتصوره . فهل يجب أن نقتبس اسمها ( كوت : goat ) ثم ننطقها — على منهاج العرب ( صوت ) بالفتح ، او ( جوت ) بالنطق المصري ؟ ( نسبت الاسم العربي الذي وضعته لها ) .

وإذا كانت اللغات الإنجليزية تتقد غالباً في الأسماء المصوّفة من الغريبة أو اللاتينية، كالذي الحنا اليه ، فإن بعضها يتغير حتى في هذه ، كاللاتينية التي تختلف أخواتها الأوروبيات في كثير من هذه المصطلحات المشتركة . فاما المصطلحات التي يصوغها كلّ بلقة قومه فلا يمكن بحال أن نقتبس واحدة منها من لغة لا تختلف الآخريات .

هذا الإشكال الذي ينتفي انتصار الاقتباس ان يُجلّوه للعربية قد أخذت تعانى منه جميع لغات الأرض ؟ حتى الفرنجة لم يبق لهم محيد عن الترجمة ، كل الى لفته : الفرنسيون يترجمون الى لغتهم المصطلحات المستحدثة في الانكليزية والالمانية والروسية ، والانكليز يترجمون الى لغتهم ما استحدث منها في الفرنسية والالمانية والإيطالية ، السخ ... ولا سبيل للعربية تسلكه غير هذا السبيل ، مثلاً ، اي الترجمة ، بل التعرّيب – وان بين الكلمتين لنرقاً نوّهنا بشيء منه آننا ، وسيعود اليانا نموذج منه بعد –

وبالاضافة الى اختلاف اللغات في الناظر المصطلحات نذكر ان اللغة الواحدة الانجليزية قد تختلف مفرداتها في داخلها ؛ فشركت النسيط، مثلاً، لا تتشاور فيما بينها حين يستدعي الامر وضع مصطلح جديد ، بل تضع كلّ واحدة منها المصطلح الذي يعنّ لها للة الواحدة، او الحالة الواحدة، حين تصادفها في اثناء الخبر او التصنيفة او غير ذلك .

فماذا نحن ارددنا اتباع قاعدة الاقتباس؟ ملأة لغة تتبع ، وكلّ لغة ، واحياناً لكلّ شركة معجمها ؟

اما الاشادة بذكاء العرب الغابرين لأنهم اقتبسوا الانفاظ والمصطلحات ، فمن باب الاغراء والتشجيع على الاقتباس الذي قد يدلّ على اي شيء سوى الذكاء . فالاقتباس سجّة جميع اللغات ، ولا سيما القاصرة البدائية منها ؛ فكلما زادت اللغة املقاً وقلّت مقدرة على التعبير، كلّ اقتباسها من اللغات الأخرى التي تحتك بها . ( وقد يكون للاقتباس أسباب أخرى غير الفاتحة اللغوية ، لا محلّ لها هنا ) .

وقد نكاثرت المقربات في عهد الترجمة العباسى حقاً ، لكن سبب ذلك على الأغلب ضعف لغة المترجمين، وضالة بقاعتهم من

العربية — وقد كان بعضهم من غير العرب الفصحاء ، فشاعت بسببهم مصطلحات أجنبية لم يعرفوا كيف يترجمونها إلى العربية ، مثل : الفلسفة ، والجغرافيا ، والاجرومية ، والارتمطيتا ، والطبوغرافيا ، وكثير غيرها ؛ فحيثما جهل المترجم معنى الكلمة الاجنبية ( اغريقية او غيرها ) او لم يهتم الى الكلمة العربية المقابلة لها ، أتّهم الكلمة الاجنبية في ترجمته العربية .

لكن العرب نَقْحُوا تلك الترجمات فيما بعد ، ووضعوا الكثير من الانفاظ العربية بدل الاجنبية ، مثل : الحكمة بدل الفلسفة ، وتنويم البلدان بدل الجغرافية ، والحساب بدل الارتمطيتا ...

ولامر ما ثبت بعض المصطلحات الاجنبية بدل العربية ، مثل الفلسفة ، والاسطربل ، والجغرافيا ، والكيمياء ، وغيرها . لكن هذه قليلة اذا هي تبنت بالمصطلحات العربية التي لا تحبس في الفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك وغيرها .

ولسو قد اخذ العلماء العرب عهدهنذ كل المصطلحات الاجنبية كما هي من الاغريقية واللاتينية والهندية .. لضاع علينا من لغتنا هذه العربية خير كثير .

ولئن كنت اعاصد ( التعريب ) وأعارض ( الابتباس ) فلست اجهل صعوبة التعريب ، وما زالت الفاظ انجمبية تبحث لنفسها عن صيغ عربية تلبسها ، لأنها لم تجد لدى المجامع ولا الجامعات حتى اليوم ما يقابلها من العربية ، وبعضها لن تجد لها ما يقابلها الا بعد زمن طويلاً .

عملت في مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ( التابع لجامعة الدول العربية ) — في الرياط — اثنى عشر عاماً ، ومارست تعريب المصطلحات في بعض المعاجم ، وكتبت دراسات عن بعضها ( دون توقيع ) ، فوجدت ان العقبة الكبرى في طرفي هي اني احس بوجود

كلمة عربية تؤدي المعنى المراد بالمصطلح الاجنبي ، لكنني لا اذكرها .  
اما الكلمات المعجمية التي اعلم اني لا اعرفها مما اونرها عددا !  
وما مرت بى مناسبة من هذا القبيل الا اشتَدَ شعوري ب حاجتنا  
الماضية الى معجم للمعاني الى جانب هاته المعاجم الكثيرة للالناظ .  
فعمدما كتبت ( في مجلة اللسان العربي ) دراسة عن معجم ( الطيران  
المدنى ) ، مثلا ، عَرَضْتُ لى انواع من الغيوم والرياح والتقطيق في  
الطيران والاسفار فيه ، اعلم ان اسماءها موجودة في العربية لكنني  
لا اعلم كيف اجدها . كذلك كتبت عن المعجم العسكري الوحَّد  
دراسة وجيزة ، تبنت في اثناء تحريرها لو كان تحت بدى معجم  
المعاني يتناول كل مفردات الجحوم والدناع وتقسيم الجحافل  
والكراديس ، وكل ما يتعلق برتب القادة وغيرهم من جنود وعرفاء  
وما الى ذلك . ومثل هذا يقال عن معجم النقط ، والجغرافيا ،  
والتاريخ ، والفلسفة ، وكل معجم يضعه المغاربون في علم النفس ،  
وال التربية ، والاتصال ... فلكل من هذه المعاجم وغيرها من معاجم  
الاختماص ذخيرتها المكتنزة في مستودع اللغة العربية الشديد الفنى .  
لكن كيف نشر عليها ؟

من فضلك لا تقل لي ارجع الى ( مخصوص ) ابن سيدة .  
انه معجم جليل الشأن حقا ، ومؤلفه الضرير عبقرى حقا - لكنه قديم ،  
لم تكن اشتات اللغة العربية قد جُمعت عند تأليفه ، في القرن الثالث  
المجري ، وخاصة في الاندلس ، وطن المؤلف ؟ فقد ظهرت بعده ،  
ولا سيما في المشرق ، مفردات كثيرة لا وجود لها فيه . ثم ان القارئ  
يتوجه فيه في تفاصيل لا يحتاج اليها عن كل لفظة ، تبيد الدارس اللغوي  
لكتها ترهق القارئ المستجل ، الذي هُمه ان يستعرض الانفاظ  
الدائرة حول المعنى المطلوب دون دخول في تشعيشات اشتقاتها  
ومختلف معانيها . يضاف الى ذلك ان ( المخصوص ) لا يستوعب كل  
المواضيع ، فضلا عن ان تبويبه غير عصري ، وفهرسته غير دقيقة  
ولا واضحة .

ولو تيسر لجينا معجم للمعاني يجمع كل ما يتعلق بالضوء في مكان ، وكل ما يتعلق بالاحلام في مكان آخر ، وكل ما يتعلق بالجهاد والنضال في مكان ثالث ، وكل ما يتعلق بالدرس والحمداد في رابع وخامس ... لامكنا في معظم الحالات ان نجد الكلمة العربية المطلوبة مقابل المصطلح الاعجمي ، بالدقة احيانا ، مما سبق للعرب ان استعملوه وادعواه معاجهم ؛ لكننا لا ندري كيد نعثر عليه .

ازجي بعض الامثلة من معجم صغير ترجمته عن الانكليزية والفرنسية باسم « معجم صيانة الطبيعة »<sup>(١)</sup> واجهتني فيه مصطلحات اعجمية لا نستعمل اليوم في نصحتنا مقابلاتها العربية . نذكر منها *fauconnerie* ( falconry بالفرنسية ) وبشرحها المعجم يقوله إنها « استخدام طيور كاسرة للصيد » . نهاية الكلمتين الاوروبيتين نختار اذا اردنا الاقتباس بدل التعریف او الترجمة ؟ هذا ، وكل لغة اوروبية اخرى كلمتها التي تؤدي لاهلها هذا المعنى . انجليس الامثل ان نؤثر كلمتنا العربية التي استعملها العرب قدি�ما بالفعل لهذا المعنى وهي ( التَّصْرُّ ) ؟

ثم هناك مصطلح *relicte* ( وهو بالفرنسية : *relicte* ) يُعرفه المعجم بأنه « نوع او سلالة من نباتات او حيوانات مخالنة من فصيلة سالفة اكبر » . فما الداعي الى الاخذ بالمصطلح الاجنبي وعندها في العربية ( الخالفة ) وهي معجما « الامة البتائية بعد الامة السالفة » ؟

كذلك *dust storm* ( بالفرنسية *tempête de poussière* ) .. كثيرا ما يستعمل المعاصرون من كتابنا العرب مقابلها ( عاصفة ترابية ) بينما لدينا في العربية كلمة واحدة تؤدي هذا المعنى هي ( السانية ) اي « الريح التي تحمل التراب » .

<sup>(١)</sup> نشر المعجم بلغتيه الاوروبيتين مع ترجمته العربية في مجلة « اللسان العربي » . العدد ١٢ - ج ١ - ص ٤٠٦ ) لسنة ١٩٧٢ .

ما علينا الا ان نبحث في لفتنا فنجد حاجتنا من الانماط المبرة  
عما نروم بالدقّة او بما يقاربها . وسنجد انها في كثير من الاحيان  
اغنى حتى في المصطلحات ، وافق من الاجنبية . من ذلك  
مثلا eulitteral ( بالفرنسية Zone eulittrale ) ، يعرّفها  
المجم بانها « المنطقة تغُرق دورياً لوقوعها بين حدود تَمَّ مستوى  
الماء » اي تقع بين مستوى صعود المد او الفيضان و هبوطها .  
بينما هذه الكلمة الاجنبية لا تؤدي كل هذا في لغتهم ، وانما هي  
تعني لغويًا عندهم ( الساحلي ) فحسب . وما كل ارض ساحلية  
يصيبها الغرق دوريا على هذا النحو ، لكنهم استعملوها لأنهم لم  
يجدوا في لغاتهم كلمة واحدة تؤدي هذا المعنى الطويل . فهنا لم ( اترجم )  
لفظ المصطلح المعاير لمعناه اللغوي بكلمة ( الساحلي ) او ما يماثلها ،  
بل ( عَرَبَتْهُ ) اي وضع مقابلة الكلمة العربية التي تؤدي بالدقّة  
هذا المعنى ، وهي ( الرَّقَّة ) - زنة البطة - ومن معانيها : « الارض  
يغمرها الماء وينصب عنها » على تعبير المجم ؛ وهي مستعملة في  
الدارجة العراقية ايضا بهذا المعنى ، وربما في دارجات اخريات كذلك .

على أن ثمة مفردات عربية كثيرة اعرفها لكنني لا اتذكرها عند الحاجة اليها . واكثر مما اتذكر او لا اتذكر من المفردات التي اعرفها ، هي المفردات التي لا اعرفها . هنا تتجلى من جديد قلادة مجم

للمعاني ، مصرى ، يُتَسَمُّ بِهِ جُرْدٌ كُلُّ مَعْجِنَا الْعَرَبِيَّةِ وَكُلُّ الْلُّغَةِ  
الْمُعْتَدَةِ ، وَلِرَزْقِهِ بِحَسْبِ مَعَانِيهَا ، لِيَقْتَدِمَا لَنَا مِصْنَفَةً مِبْوَسَةً مُهَرَّسَةً ؛  
وَمَا هُلْبِنَا عَنْهُنَّ ، حِينَ يَجَابُنَا مَصْطَلُحُ اجْبَنْسِي لا يَحْضُرُنَا مُقَابِلَهُ  
الْعَرَبِيِّ ، إِلا أَنْ يَنْتَفِعَ مَعْجِنَا ذَلِكَ عَلَى الْبَابِ الْمُطَلُّبِ . حَتَّى إِذَا لَمْ  
نَجِدِ الْمَعْنَى الْمُرُومَ بِذَاهَنِهِ جَاهِزاً ، فَسَأَنْ مَفَرَّدَاتِ الْمَعْنَى الْمُتَصَلَّةِ بِهِ  
أَوْ التَّرْبِيَّةِ مِنْهُ تَسَاعِدَنَا عَلَى صِيَاغَةِ الْمَصْطَلُحِ الْعَرَبِيِّ بِالصُّورَةِ الَّتِي  
تَلَامِنُنَا وَتَقِيِّي بِحَاجَتِنَا . وَفِي هَذَا مِسَاعِنَهُ، إِيَّاهُ مِسَاعِنَهُ لِلْمُشَتَّلِينَ  
بِالتَّعْرِيبِ ، تَقْفَزُ بِحَرْكَةِ التَّعْرِيبِ وَوُضُعِّفُ الْمَصْطَلُحَاتُ قِنْزَةً كَبِيرَةً  
إِلَى أَمَمِ وَإِلَى أَعْلَى ، فِي هَذِهِ الْفَتَرَةِ الَّتِي يَجْتَازُ فِيهَا وَطَنَنَا الْعَرَبِيُّ اِزْمَةً  
تَعْرِيبِ ، وَنِهَضَةً تَعْرِيبِ ، مَعَا . وَعَنْدَنَّ يَتَبَسِّرُ الْعَمَلُ حَتَّى لَفَسِيرِ  
الْلَّغَوَيْنِ مِنَ الْمُشَتَّلِينَ فِي هَذَا الْخَضْمَارِ .

هَذَا الْمَعْجمُ – حَلَالُ الْمَشَكُلِ التَّعْرِيبِيَّةِ – مَوْجُودٌ ، لَكِنَّهُ  
غَيْرُ مُطَبَّعٍ ؛ كَانَ قَدْ أَفْلَحَهُ اللَّغَوِيُّ الَّذِي يَكَادُ يَكُونُ مَجْهُولًا فِي هَذَا  
الْجِيلِ ، وَهُوَ الْمَرْجُونُ سَالمُ خَلِيلُ رَزْقٍ ، مِنْذُ عَامِ ١٩٢٣ ، بَعْدَ أَنْ عَلِمَ  
بِهِ أَكْثَرُ مِنْ عَشَرِينَ عَامًا . ثُمَّ فَارَقَ هَذِهِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَكُنْ تَحْلِلَ عَيْنَاهُ  
بِرَؤْيَةِ اِنْجَازَتِهِ تَؤْدِي وَظِيفَتِهِ فِي خَدْمَةِ هَذِهِ الْلُّغَةِ الَّتِي أَحَبَّهَا وَهَامَ بِهَا ،  
بِدَلِيلِ أَنَّهُ بَذَلَ كُلَّ هَذَا الْجَهْدِ الشَّاقِ فِي سَبِيلِهِ ، وَبِدَلِيلِ تَسْمِيَّةِ  
مَعْجِمِهِ ( لَالِّيُّ الْعَرَبُ ) .

كَمْنَالُ بِسِيطٍ اذْكُرُ أَنَّ مَنْ يَعْمَلُ فِي تَعْرِيبِ الْمَصْطَلُحَاتِ – وَلَا  
سِيمَا مِنْ غَيْرِ الْلَّغَوَيْنِ الْمُتَبَرِّئِينَ فِي الْعَرَبِيَّةِ – قَدْ يَتَحَرَّ أَذَا جَابَهُنَّ  
بِالْأَنْكَلِيزِيَّةِ كَلِمَاتٍ تَعْنِي الْكَتَابَةِ ، وَقَدْ وَرَدَ كُلُّ مِنْهَا فِي مَعْنَى اِصْطَلَاحِيِّ  
خَاصٍ، مِثْلُ :

putting down, graph, scription, writing, booking, recording,  
... فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَنْ يَعْرِفَ إِلَى جَانِبِ ( الْكَتَابَةِ ) : التَّسْطِيرُ ،  
وَالْتَّحْبِيرُ ، وَالْتَّدْبِيرُ ، وَالْتَّحرِيرُ ، وَالْتَّسْجِيلُ ، وَالْتَّدوِينُ ، وَالْتَّقْيِيدُ ...  
مَعَا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَنْتَفِعَ ( لَالِّيُّ الْعَرَبُ ) فِي الْبَابِ الْمُخْتَصِّ لِيَجْدُ أَمَامَهُ

أكثر من ثلاثة كلمات تعنى الكتابة بمختلف أنواعها ، وبضمها  
الكلمات الآتية «<sup>٢</sup>» .

\* \* \*

لكتى لا انصار التعریب بسبب ما تقدم فقط من شراء العربية  
وقدرتها على الاكتفاء ببنوها ، ولا لأنها كانت الإلام والقدوة في  
المصطلحات العلمية إبان ازدهارها حضارةً وثانيةً ، ولا اعتزازا  
قومياً ، ولكن بدافع علمي خالص ، عالمي ، أيضاً .

ذلك بأنني صرت أعتقد — بعد طول تأمل في هذه العربية  
ومقارنة لها مع غيرها — أنها هي أم اللغات الآريات ، بالإضافة  
إلى الساميّات والحميّات ، كما اعلنتُ مراراً ؛ بل أنها أم لغات  
آخريات أيضاً لم يتيسر لي بعد إعداد دراسات وافية عنها . وجدت  
في الانكليزية مثلاً أنَّ الكلمة river (نهر) يعود رسماً (= جذرها  
الصوتي) إلى قول العربي الاتِّد (هو ووو) محاكاة لصوت هبوب  
الريح ، وإن two (اثنين) تعود إلى قوله (طو) محاكياً صوت  
انكسار الغصن ، وإن logic (منطق) ترجع إلى قول الطفل  
العربي (لغ لغ لغ) ، وإن sonata (نوع من المعزوفات) ترجع  
إلى قول النروج العربي (صو صو صو) «<sup>٣</sup>» . ولا يقتصر هذا  
على الانكليزية طبعاً، فهو ينطبق على الآريات بوجه عام وبعض لغات  
آخريات كالذى سرّ التنبؤ به .

معنى هذا أنَّ اللغوين الأوروبيين لا بد لهم من درس العربية  
بأصولها وفروعها ليتعرفوا على المنشا الذي انبثت منه مفردات  
لغاتهم ؛ لأنها — أي العربية — ما زالت نقية تحتفظ وحدتها بين

---

«<sup>٢</sup>» من حسن الحظ أن وزارة الثقافة والإعلام المرابطة قد اختارت ملسو مانثها ، ببرمجة  
السيد رئيس الجمهورية ، نشر هذا المجم .

«<sup>٣</sup>» نقلنا ذلك وأمثاله في كتابنا « منارات لغوية » .

اللغات الراقية بالكثير من الجذور اللغوية الاولى التي ضاعت من جميع بناتها الساميّات والحميّات والآريّات .

والمصطلحات الأنجنيبة الوفيرة التي أخذت تنهش علينا — اذا اقتبسناها بدلاً من تعربيها — انسدت نقاء هذه العربية ، وعكرّت صفو معاجمها ، خلطًا بين دخيل واثيل .

الاقتباس اسرع طريقة فعلاً واسهلها لتوسيع اللغة ، لكنْ لتضييع اصلتها ايضاً ؟ فالانكليزية اليوم اغنى لغات الارض ، لأنها دابت على اختطاف كل مصطلح او لفظ اجنبي يعرض لها ، دون ان تحاول اشتقاق صيغة لها من مفرداتها ، حتى غدت اوفر اللغات ثروة، وأوفاها بحاجة الانسان والباحث المعاصر . لكنها — كلفة — من انقر اللغات ايضاً اذا بحثنا فيها عن المفردات الانكليزية الاشيلة . وليس ثمة لغة انكليزية في الحقيقة ، لأنها كلها خليط من اللغة المطيبة ( الولزية ) والسكنونية ( الجرمانية ) والفرنسية والاسكتلندية ولغات اوروبيات اخريات . ثم جاء عهد الاقتباس — الاستعماري — من كل لغات الناس .

\* \* \*

المصطلحات التي أجذبني متربداً بين تعربيها واقتباسها هي التي يرجع لفظها الاري الى رسم عربي . انكر من أمثالها ما يأنس :

تلفزيون :

وهي اهم الكلمات الاعجمية ، العربية الاشل ، التي تواجهنا الان ، لشيوعها في كل اقطار الوطن العربي . وكانت اقتربت لنظرة ( المشواف ) تعربياً وترجمةً لاسم هذا الجهاز ( television ) المركب من vision ( رؤية ) و tele ( من بعيد ) . أما ( المشواف ) فمن التشوف الى الشيء اي التطلع اليه ؛ و ( الشّواف ) من الناس : الحديد البصر ، والشّينة ( زنة السيدة ) والشينان ( زنة

السيّدان ) : ظبيعة القوم الذي ( يشتاف ) لهم ، أي يستطلع حركات المعدو . فمعنى ( المُشَوَّاف ) مطابق لمعنى ( التلفزيون )، أي الرؤية من بعيد ، أو بالآخر إدراة الرؤية من بعيد ، وهي أدق وأصوب . وقد استحسن اللفظة غير قليلين ، واستعملوها في اكتابهم ، لكنهم غير كثرين أيضا .

غير أن صيغة ( التلفزيون ) هي الجارية على الألسن في كل مكان ، وبعدهم صار يشقّ منها ، فاطلقوا ( التلفاز ) على الجهاز ، و ( التلفزة ) على من البيت منه ، و ( تلفزت ) المرحمة : اعدتها للإذاعة بالتلفاز ، وهي ( متلفزة ) .

ويرجع مصطلح التلفزيون (television) ، فيما يخيّل لى، إلى اثنين عربي قديم . أما tele فلعلها من قول العربي تلى فلان : تخلف .. وتنى فلاناً : سبّته وتقدّمه .. وتلا بعد قوله : تأخر وبقي .. واتلاه : سبّته أو آخره . واصل المعنى تلاه : تبعه . وهذا ينسّ عنقابلية الكلمة للتطور والاتحراف عن معانيها ، شأن الكثير من الاناظ العربية . ثم ان كثرة ما نجد من الاناظ العربية متسربة من اللغات الاعجمية، تدعونا إلى البحث في العربية عن اثواب : الاناظ الإرية التي لا يعرفون لها اثواب في اللغات الآخريات . لهذا لا تستبعد ان تكون (tele) هذه التي تعني البعد ، منحدرة من فعل ( تلى ) بمعنى التخلف والتاخر عن القوم ، لشدة اتصاله بمعنى البعد عنهم . والمسافة بين هذين المعنين أقرب مما بين المعنى الاصلي ( الاتباع ) والمعنى المتفرعة منه ولا سيما ( السبق ) – المناقض للاتباع – فـي العربية نفسها .

واما (vision) بمعنى الرؤية فائلها من اللاتينية . وهي من (viso) اي وجه ، بالإيطالية . ومرادفها (face) ينطق (ناجيـهـ) بالجيم المثلثة . وهذه صلتها بصيغة ( وجهـ) العربية اوضح من ان تطلب ايضاـها . ومن viso او نحوها صيغت

بمعنى الزيارة . والصلة بين الزيارة والوجه نجدها في العربية ايضا ، حيث اشتقوا من الوجه ( المواجهة ) بمعنى الملاطاة والزيارة عند المحدثين . أما المعجم فيقول أن ( المواجهة ) تعنى اللقاء وجها لوجه . و وجهه ( بالتشديد ) الى ملان : ذهب اليه ( وهذا يعني زاره بطبيعة الحال ) .

معلى هذا يكون ( التلفزيون ) بشتبه (tele vision) من العربية اثلا . وسؤالی هو : هل نقتبس هذه الكلمة كrama لتنسبها العربي العريق ، أم نعرّبها .. بالثواب او غيره ؟

### سوناتا :

لها معناها الموسيقي العالمي المعروف . ويرجع رسمها ( جذرها الصوتي ) الى حكاية صوت الفرخ ( صو صو صو ) الذي منه قال العرب صاء الفرخ : اي صاء . ومنه اشتقوا : صاء ، ثم صاح ، ثم صات وصوت .. ومن ( الصوت ) تظهر في الانكليزية sound shout sonata sono sonitum . ومن هذه الاخيره صيغت سوناتا

### جيولوجيا :

هي بالانكليزية geology ، مركبة من الكلمتين الاغريقيتين : ( ارض ) و logia ( الكلام ) التي الحقوها ببعض الاسماء بمعنى ( العلم ) ؛ فن يكون من مصطلحنا هذا : ( علم الارض ) ، وقد عربوه بـ ( عن طبقات الارض ) . وكانت شخصيا اهنت على هذا العلم اسم ( الأرضيات ) قياسا على ( الأحيائيات ) بمعنى علم الاحياء . والنسبة الى الارضيات ( ارضاني ) فنقول المسح الارضاني ، والمعهود الارضاني؛ بمعنى المسح الجيولوجي والمعمود الجيولوجية .. ان كلمة (logy) المنحدرة من الاغريقية لوغيا : logia اي الكلام ، ترجع بائلها العربي الى ( لغة ) .

واما <sup>gē</sup> ممعنى بالاغريقية الارض ، كما تقدم . ونقول  
 المعاجم التائيلية ان الاسم الاقدم للارض في الاغريقية هو (gaia) ..  
 وهنا نتذكر في العربية ( الكاع ) اي الارض أيضا ، بالنطق البدوي  
 والعراقي ، والدارج في اقطار العربة ( الجزيرة العربية ) بوجه عرم .  
 و ( الكاع ) مصيغها ( القاع ) وهو معجميا : الارض السهلة المستوية ،  
 على حين ان صيغة ( الكاع ) في الدارجات العربية يعني كما في الاغريقية  
 الارض اطلاقا دون تحديد ، وهو المعنى العربي الاقدم فيما نعتقد .  
 وربما كانت صيغة ( قيعة ) اقرب الى الاغريقية (gē) ، وقد  
 وردت في الاية « كسراب يقيمة يحسبه الظمان ماء » اي كسراب  
 بارض . لهذا لا اجدني اتفق مع المعاجم التي تعتبر ( القيعة ) صيغة  
 جمع نقط للقاع ، بينما وردت في هذه الاية بمعنى الارض الفردة ؛  
 وليس من المعتول ان يكون معنى الاية : « كسراب ( باراض ) يحسبه  
 الظمان ماء » .

ثم هناك ( القاعة ) وهي مجمعا : ساحة الدار ، لكنها كانت  
 تعنى الارض بعامة ايضا، فيما ارى ؛ اي ان صيغة ( القاعة ) المؤنثة  
 ترافق ( القاع ) المذكر ، مثل مرادفة الماء للماء او النجمة للنجم ،  
 والليلة للليل .

لهذا يغلب على الظن ان (gē) اثلها (قيعة) و (gaia)  
 اثلها (قاعة) - بمعنى واحد . اي ان الكلمة العربية دخلت الاغريقية  
 بصيغتيها .

واما نطق القاف كانوا مخفقا فعادة عربية قديمة ؛ وقد جاء  
 الاسلام ووريث وحدها تنطق القاف كانوا قرأتينما كما لا تزال تنطقه  
 بعض الدارجات متخلقا من القبائل التراثية ومن تأثيرها . امسا سائر  
 القبائل العربية فكانت وما زالت تنطقه كانوا خنيفا . ( وبعض الدارجات  
 تنطقه جيما او همزة ) ..

لعل هذا وذاك تكون الجيولوجيا : **geology** (جِيُوـلـوـجـيـا) كلمة المؤللة اثلا من (كِيـهـ) : **ge** (لوـفـيـسـاـ) : **logia** (لـوـفـيـسـاـ) الكلمة الـفـرـنـسـيـة (ـ فـرـنـيـهـ لـهـمـيـ) اثـلـسـةـ بـلـادـتـهـاـ،ـ اـمـجـمـيـةـ بـصـيـغـتـهـاـ .ـ وـهـيـ كـلـمـةـ اـخـرـىـ اـجـدـنـيـ مـتـرـدـدـاـ بـسـيـنـ اـنـدـاسـهـاـ بـثـوـبـهـاـ هـذـاـ الـاـوـرـوـبـيـ وـتـمـرـيـبـهـاـ بـصـيـغـةـ الـارـضـانـيـاتـ،ـ الـتـيـ كـتـتـ اـقـرـحـتـهـاـ وـاسـتـعـلـمـهـاـ بـعـضـ الـلـغـوـيـينـ .ـ

### الـفـونـ :

هذه الكلمة الـاجـنبـيـةـ تـأـوـتـ مـسـدـةـ طـوـيـلـةـ بـعـدـ اـنـقـراـضـ زـمـلـاتـهـاـ الـاخـرـيـاتـ مـثـلـ (ـ تـلـفـرـافـ)ـ (ـ الـهـاـنـدـلـ)ـ الـذـيـ حـسـارـ يـدـعـسـىـ (ـ بـرـقـيـةـ)ـ وـ (ـ غـرـامـاـنـونـ)ـ (ـ الـذـيـ عـرـبـ بـصـيـغـةـ حـسـانـ)ـ .ـ

بالـرـغـمـ مـنـ انـ بـعـضـ الـاقـطـارـ الـعـرـبـيـةـ عـرـبـتـ (ـ الـفـونـ)ـ باـسـمـ (ـ الـهـاـنـفـ)ـ يـقـبـتـ اـقـطـارـ اـخـرـىـ مـحـقـظـةـ باـسـمـ هـذـاـ النـرـنـجـيـ،ـ وـاـشـتـقـتـ مـنـهـ (ـ تـلـفـنـ بـتـلـفـنـ)ـ ؟ـ عـلـىـ حـيـنـ انـ (ـ الـهـاـنـفـ)ـ بـالـرـغـمـ مـنـ عـرـوبـتـهـ لاـ يـصـاغـ مـنـهـ (ـ هـتـفـتـ اـنـلـانـ)ـ بـمـعـنـىـ تـائـنـتـ .ـ كـمـاـ انـ تـسـمـيـتـهـ الـعـرـبـيـةـ هـذـهـ تـوزـعـهـاـ الـدـقـةـ الـلـغـوـيـةـ ،ـ فـمـنـ حـقـهـ انـ يـدـعـىـ (ـ مـوـتـوـفـاـ بـسـهـ)ـ ،ـ اـسـاـ (ـ الـهـاـنـفـ)ـ نـالـاـنـسـانـ الـمـكـلـمـ بـالـجـمـازـ لـاـ الـجـمـازـ نـفـسـهـ .ـ وـكـانـ الصـوابـ انـ تـؤـخـذـ لـهـ اـحـدـىـ صـيـغـ اـسـمـ اـلـلـهـ :ـ (ـ مـنـافـ ،ـ بـهـتـ ،ـ بـهـتـةـ ،ـ هـاتـوـهـ ،ـ اـلـ )ـ ..ـ

لـكـنـ صـيـغـةـ (ـ الـهـاـنـفـ)ـ هـذـهـ المـفـلـوـدـةـ مـعـنـىـ وـبـنـىـ ،ـ طـفـقـتـ تـطـارـدـ (ـ الـفـونـ)ـ مـنـ قـطـرـ الـقـطـرـ ،ـ الـىـ انـ تـبـنـاهـاـ الـاـكـتـرـوـنـ،ـ حـتـىـ فيـ الـمـرـاقـ الـذـيـ بـقـىـ حـيـنـاـ مـنـ الـدـهـرـ مـتـمـسـكاـ بـالـلـفـظـةـ الـاحـنـبـةـ .ـ وـاحـسـبـ انـ هـذـاـ سـكـونـ مـصـرـيـ فـيـ بـقـيـةـ اـرـجـاءـ الـوـطـنـ الـعـرـبـيـ .ـ

وـ (ـ الـفـونـ)ـ telephonـ (ـ مـرـكـبـ)ـ كـمـاـ هوـ مـعـلـوـمـ منـ (teleـ)ـ الـتـيـ سـبـقـ لـنـاـ تـأـلـيـلـهـاـ وـ (phomـ)ـ (ـ صـوتـ)ـ ،ـ الـتـيـ بـخـيلـ لـنـاـ انـ اـلـمـاـ الـعـرـبـيـ (ـ =ـ الـعـرـمـيـ الـاـتـبـ)ـ هـوـ (ـ النـوـهـ)ـ اـيـ النـسـمـ ،ـ الـذـيـ تـنـطـقـهـ الدـارـجـةـ الـمـفـرـبـيـةـ بـالـضـمـ (ـ فـمـ)ـ وـبـعـضـهـمـ يـمـسـدـهـ هـلـ،ـ هـلـ؟ـ

المغاربة في مد بعض الحركات : ( نوم ) .. وهي ظاهرة نطقية متخللة من مادة اعربيّة لبعض الكلمات التّقنيّة . وتد استعملت العرب ( النّوّه ) بمعنى الكلام في قولهنّـاء ينوه نوّهـا ، اي نطق .. وتناؤة القوم : تكلّموا . وليس بمستبعد ان تكون ( نون : phon ) تحريينا يسرا من ( النّوّه ) بالضم : نـم ، او ( النّوّه ) بالفتح : مصدر نـعلـ نـاء يـنـوـهـ ، اي يـنـطقـ .

### تكنولوجيـا :

اما ( لوجيـا logy ) فقد تحدثنا عنها ، وأما ( تكنـوـ techno ) فائلها الإغريقي ( تـخـنـهـ : techné ) اي الفن . وائلها العربي هو ( التـقـنـ ) زنة الفـنـ ، اي الطـبـعـ، في مثل قولهـنـ : « الفـصـاحـةـ مـنـ تـقـنـيـهـ » اي من طـبـعـهـ « فـهـيـ عـلـىـ هـذـاـ تـعـنـيـ الـمـلـكـةـ وـالـفـطـرـةـ - اي الـمـوـهـبـةـ اوـ ماـ الـبـهـاـ . وـهـيـ مـنـ ( الـاتـقـانـ ) : الـإـحـكـامـ . وـالـرـجـلـ ( التـقـنـ ) زنة الشـرـبـسـ ، هو « المـقـنـ لـلـأـشـيـاءـ »ـ الـحـانـقـ مـنـ الـعـمـلـ »ـ .

اذن فـ ( التـكـنـوـلـوـجـيـاـ ) ايـضاـ عـرـبـيـةـ اـثـلاـ . وـلـكـ اـذـنـاـ بـهـاـ فـلاـ يـنـبـغـيـ انـ نـفـرـطـ بـصـيـفـةـ ( التـقـنـيـاتـ )ـ وـ ( التـقـنـ )ـ وـاـنـمـاـ نـقـتـصـرـ فـيـ اـسـتـعـمـالـ ( التـكـنـوـلـوـجـيـاـ )ـ عـلـىـ الـمـوـاطـنـ الـتـيـ لـاـ تـقـيـ ( التـقـنـيـاتـ )ـ بـالـتـعـبـيرـ الدـقـيقـ عـنـهـاـ ، فـيـمـاـ اـذـاـ جـابـهـنـاـ مـثـلـ هـذـهـ الـمـوـاطـنـ .

### بنـزـيـنـ :

هـذـهـ الـكـلـمـةـ الـاعـجـمـيـةـ تـرـجـعـ كـذـلـكـ إـلـىـ اـنـسـلـ عـرـبـيـ ، لـكـنـهـ غـيرـ خـالـصـ النـسـبـ فـيـ الـعـرـوـبـةـ وـلـاـ هـيـ قـدـيمـةـ ، وـلـاـ صـلـةـ لـمـنـاهـاـ الـحـالـيـ بـعـنـاهـاـ الـاـصـلـيـ . فـهـيـ مـنـ مـوـلـدـاتـ الـمـهـدـ الـاـسـلـامـيـ اوـلـاـ، وـمـنـحـوـتـهـ مـنـ كـلـمـةـ عـرـبـيـةـ وـاـخـرـىـ اـعـجـمـيـةـ ثـانـيـاـ . وـذـلـكـ اـلـثـالـثـ هوـ ( لـبـانـ جـاـوـةـ )ـ وـهـوـ نـوـعـ مـنـ الصـمـعـ الـعـطـرـ كـانـ يـجـلـبـهـ التـجـارـ الـعـرـبـ مـنـ ( جـاـوـةـ )ـ إـلـىـ اـورـوـبـاـ ، وـلـاـ عـلـاقـةـ لـهـ بـالـبـنـزـينـ الـمـسـتـعـمـلـ وـقـوـدـاـ لـلـسـيـارـاتـ وـنـحـوـهـاـ . لـكـنـ

الفرنسيين سموه (بنجوان : benjoin ) بعد حذف لام ( لبان ) ظلّاً منهم، فيما يظهر، انه لام التعريف ( في لفتهم ) . وعنهما اخذه الانكليز بنفس الكتابة (benjoin) لكنهم نطقوه على طريقة (بنجوين ) ، ثم جعلوه (بنزوين : benzoin ) . ثم تطور معناه ايضا حتى صار (بنزين : benzin ) .

### جغرافيا :

اما هذه فلا مجال الان لمناقشة الاحتشاظ بصورتها الاغريقية هذه او تعربيها بلفظ عربي مبين ، لاتها شاعت وفرضت نفسها بالرغم من ان العرب سبق ان عربوها باسم ( تقويم البلدان ) ثم اختصروها الى بلدانيات .

وهي من الاغريقية ( graph : كتابة ) + ( gē : ارض ) اي علم الكتابة عن الارض .

اما ( كيه : kī : ) فقد اثنناها عند كلامنا عن ( الجيولوجيا ) ، وأما ( كراف : kraf : ) بمعنى الكتابة فيخيل لنا أنها من العربية ايضا .

ذلك بأن العرب قالت خرفش شيئاً : خلطه ( بالتشديد ) وهي من قولهم خربش الكتاب ( اي المكتوب ) : افسده . وهذا المعنى مستحدث في الكلمة، سبقه معنى التقرّب في الكتابة بين الكلمات والسطور، الذي عدوه إفساداً بالقياس الى المباعدة بينها تطلباً للوضوح والرقة . وهذا المعنى المضاع من الكلمة نجده في تونهم: قرمذ كتاباً : كتبه دققنا وقارب بين سطوره ، ؛ وبينس المعنى قالوا: قرمط الكتاب . ومن هذه الفصيلة قولهم خرّفَش في المشي : قارب خطاه ، وفي الكلام : قاريء . واصل المعنى في كل هذا هو الانساد ، في لفظ ( خربش ) المشتق من ( خرب ) . وعند انتقال المعنى الى الكتابة صار يعني التقرّب بين الكلمات والسطور، باعتبار ذلك نوعاً من الانساد . وليس بعيد ان

تكون **graph** الاغريقية بمعنى الكلبة تحرينا نطوريا لكلمة ( خرقش ) او ( خُرُب ) بمعنى الكلبة المقاربة اولاً، ثم الكلبة مطلقاً . وقد رأينا ان التحريف كان اكبر في كلتا الكلمتين لمعناها ومعنى في داخل العربية الام .

فاصطلاح ( الجغرافيا ) هذا الدائم على الالمانية ، الراسخ في المدونات العربية ، لم يعده في الامكان تعريفيه، اي استبدال لفظة عربية به ، حتى لو قررنا طرد امثاله من المصطلحات الاجنبية التي يرجع نسبها البعيد الى العربية .

### فونوغراف :

وقد وردت بصيغتي **(gramophon)** **(phonograph)** ، وكلتاها تتألف من مادتي **phon** ( صوت ) و **(graph)** ( كتابة ) اللتين تقدّم تأثيرهما - بمعنى تسجيل الصوت . أما هذا المصطلح فقد انقرض مذاع بذهله ( الحاكي ) ، ولم نعد نقرأ لاحد تعبير ( الفونوغراف ) او ( الغرامافون ) ، كما انقرض ( التلفراف : **telegraph** ) الذي حلّت محله ( البرقية ) . ولم يعده بالامكان احياؤه حتى لسو اردننا : اي انه اصبح ( معربياً ) بالمعنى الحديث للتعریف ، وشأنه مكس شان ( الجغرافيا ) مثلاً - المعرفة بالمعنى القديم .

على ان الانكليزية ايضاً اهملت المصطلح بصيغته، وصارت تدعو الحاكي الحديث باسم ( بيك اب : **pick-up** ) الذي شاع في الدارجات العربية ولغات أخرى .

### متر :

مَتْرُّتُّ الحبل : مدته . ومعلوم انهم كانوا يقيسون مساحات الاراضي بالحبل ، ومن هنا نشأ ( المتر : **meter** ) ونعمل (measure) اي يقيس طولاً او ثقلاً او حجماً او اي شيء - في الفرنسية والانكليزية عن طريق اللاتينية .

و ( المتر ) ايضاً أصبحت عربية ، بل عالمية ، ولم يعد بالامكان  
الاستبدال بها ، لسو اردننا .

\* \* \*

لا حاجة بــي — بعد الذي تقدم — الى اعادة القول <sup>٦٠</sup> اني من  
انصار التعریب ، ضد اقتباس الالفاظ الاعجمية المحسن . لكن تساؤلي هو  
كما قلت : ما هو موقفى من هذه الاسماء الاجنبية التي يكتشف لنا  
التأثيل عن محتوى لها في العربية عريق ؟ هل نرفضها ؟

أم نقبلها ، لا اقول مباهاة بها بين الاسم ، لكن اعزازاً لها ،  
ونكرمة لنسبها العربي ، وتدليلاً علمياً على امومة العربية لكتير من  
اللغات ؟

فهذا الامر الذي لا ازال اراني متربداً فيه .

عبد الحق فاضل

من مزالق الترجمة بين العربية والفارسية

الدكتور موسى مسعود نگار

(جامعة اليرموك / الأردن)

- 1 -

الترجمة بين العربية والفارسية قديمة جداً ، اذ كانت البهلوية ( الفارسية الوسطى ) ، ثم الفارسية الاسلامية ( الدرية الحديثة ) من اكبر منابع الترجمة ومصادرها الى العربية . وقد اثبت ابن النديم فيما اثبت من فهارس - « فهرساً » ، بأسماء المترجمين من الفارسية الى العربية ، من مثل ، ابن المقفع ، والحسن بن سهل ، وآل نويخت (١) . ونشط الدكتور محمد مهدي ، في السبعينات ، ايسام كان مستشاراً ثقافياً لایران ببيروت ورئيساً لقسم اللغة الفارسية وآدابها بجامعتها اللبنانيّة ، في جمع « ما نُقلَّ من الآثار الابيّة » الفارسية الى اللغة العربية في القرون الاسلامية الاولى ، وخاصة في اوائل العصر العباسي ، مما امتنع بالادب العربي حتى أصبح جزءاً منه (٢) ، وأصدر الجزء الاول من « الترجمة والنقل عن الفارسية - في القرون الاسلامية الاولى » الذي افردته لكتب « القاج » و « الآلين » (٣) بعد ان جمع

١) الفهرست ، ص ٢٠٥ . تحقيق محمد رضا تجدد ، طهران ١٩٧١ .

<sup>٤٢</sup> محمد محdi : الترجمة والنقل عن الفارسية ١ : ٢ ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ١٩٦٤ .

(٢) مكذا تناقلها المصادر العربية ، وقد كانت تعرف باسم « آين نايه » في الأدب الفارسي السادساني . و « آين » لمعنیة فارسية بهلوانية معناها : القاعدة ، او الطريقة ، او القانون ؛ قال المسعودي في « التنبیه والاشراف » : « تفسیر آین نایه : كتاب الرسوم » . واستعملها العرب في كتابتهم يشكلها الفارسی .

<sup>٣٢٠</sup> ( محمد محمدى : المراجع السابق ، من <sup>٣٢٠</sup> وما بعدها ) .

ما تثار منها في المصادر العربية الإسلامية بشتى أنواعها .

واختفت حركة النقل والترجمة تتوى في الاعصر الإسلامية التالية ، ولم تمد مقصورة في ترجمة الآثار الفارسية وحدها إلى العربية ، إنما امتدت جهود المترجمين إلى ترجمة بعض الآثار العربية إلى الفارسية ، من مثل : « تفسير الطبرى » و « تقويم الصحابة » و « الشاهنامة » و « تاريخ بخارى » .

وأما في الاعصر الحديثة ، فاتسعت حركة الترجمة بين اللغتين اتساعاً كبيراً ؛ إذ ترجم العرب عدداً من أمهات كتبتراث فارس ، من مثل : « بوستان » سعدي الشيرازي و « كلستانة » ، و « ديوان حافظ الشيرازي » و « رباعياته » ، و « متنوي » مولانا جلال الدين الرومي ، و « شاهنامة » الفردوسى ، و « جامع الحكمتين » و « سفرنامة » لناصر خسرو ، و « رباعيات الخيام » (لها أكثر من عشرين ترجمة عربية بالفصحي والعامية ) ، و « قابوس نامة » (كتاب النصيحة ) ، و « سياسة نامة » (كتاب السياسة ) ، و « عطار نامة » ، و « سندباد نامة » ، و « بختيار نامة » ، و « تاريخ البيهقي » ، و « جامع التواريخ » .

وترجموا عدداً لا يستهان به من مؤلفات الإيرانيين المعاصرین وأثارهم . ومن ترجم لهم مثلاً : الدكتور زادة شفق ، علي دشتى ، صادق هوايت ، حسين قدس نخعى ، رشيد ياسمى ، أبو القاسم حالت ، أيرج ميرزا ، بروين اعتضامى ، والدكتور غلامحسين يوسفى (٤) .

---

(٤) لمعرفة مزيد من ترجمات العرب المختلفة عن الفارسية ، راجع :

١ - يوسف بكار : جهود مرتبة معاصرة في خدمة الأدب الفارسي ، مجموعة سخنرانیهای دومن ککره تحقیقات ایرانی ، جلد دوم ، مشهد ١٣٥٢ شمسی (١٩٧٢ م ) ، ص ٤٢٧ - ٤٦٨ ، وترجمته الفارسية : ادبیات فارسی در کشورهای عربی ، للدكتور جعفر شمار .

سخن ، دوره ٢٢ ، شمارهای ٦ و ٧ و ٨ ، سال ١٣٥٣ فیضی .

اما الايرانيون فترجموا عددا من مصادر تراثنا العربي ، وعدها آخر من آثارنا المعاصرة ؛ وهو - على اية حال - اكثر مما ترجمنا لهم من اعمال معاصرة . ومن كتب تراثنا التي تُرجمت الى الفارسية في العصر الحاضر : تاريخ الطبرى ، مروج الذهب ، تاريخ اليعقوبى ، الاخبار الطوال ، سنى ملوك الارض والانباء ، تقويم البلدان ، مقدمة ابن خلدون ، رحلة ابن بطوطة ، ورحلة ابن نفلان .

ومن المعاصرین العرب الذين ترجم لهم شيء او اشياء من آثارهم واعمالهم الى الفارسية (١) : قاسم امين ، عبد الوهاب عزام ، جرجي زيدان ، طه حسين ، احمد امين ، زكي محمد حسن ، بنت الشاطئ ، محمد ابو زهرة ، محمد عبد الغنى حسن ، جورج جرداق ، سيد قطب ، محمد مندور ، نزار قباني ، عبد الوهاب البىاتى ، محمد الپيتوري ، غسان كنفانى ، فدوی طوقان ، محمود درويش ، سبيع القاسم ، وتوثيق زيداد .

٢ - يوسف بكار : التاريسية وآدابها في البلاد العربية ، نشرية دانشکده الهیات و المعارف اسلامی دانشکاه مشهد ، شماره ١٢ ، پائیز ١٤٥٣ شمسی (١٩٧٤ م) ، وترجمته التاريسية : زبان و ادبیات تاریخی در کشورهای عربی ، للانسة مليحة شریفی .

٣ - دوره ٢٦ ، شمارهای ١ و ١٠ ، سال ١٤٥٧ شمسی (١٩٧٨ م) .

٤ - الدكتور طلمت ابو نرحة : اقسام على الدراسات التاريسية في مصر ، في كتاب : جوانب من العلاقات الثقافية بين مصر و ایران (١٩٩٩ - ١٩٦٤) ، القاهرة ١٩٧٥ .

٥ - نصر الله بشير الطرازي : الكتاب الايراني في مصر ، في الكتاب السابق اعلاه (من ١٤٥ - ١٨٤) .

(٦) راجع ايضا : مرتضی آیت الله الشیرازی ، جولة حول الروابط الملعوبة بين ایران و مصر والكتاب المصري في ایران ، في كتاب : جوانب من العلاقات الثقافية بين مصر و ایران (من ١٨٥ - ١٩٧) .

ليس عبشاً ان يُعنى العلماء والباحثون ، من هوراس . الى زماننا هذا ، بالترجمة ، وان ينشطوا في التقنين لها ، وتقعيد قواعدها ، وتبيين أهميتها ودواعيها ، ووضع الشروط لمن يتصدرون لها على أنها «فن» كغيرها من الفنون . غير أنه بات معروفاً أيضاً ، أن الترجمة لم تعد تنحصر ، فقط ، في دائرة «الفن» الدقيق الذي لا يستطيعه الا أولو المقدرة والبراعة عن طريق الممارسة ، إنما جاوزتها ، كسائر العلوم اللغوية ، الى دائرة «العلوم الوصفية» لوضوح الجانب «الوصفي» فيها . ومن هنا انبثقت الدعوة وجاء التخطيط الى «علم للترجمة» ، من غير انكار لما فيه من عناصر فنية ، على يد يوجين . أ. نيدا Eugene A. Nida في كتابه « نحو «علم للترجمة» . وبهذا أضحت الترجمة ، كالنقد تماماً ، تجمع بين «الفنية» و «العلمية» .

ان حركة الترجمة الحديثة النشطة من العربية الى الفارسية وبالعكس ليست بداعاً بين مثيلاتها من اللغات الاخرى واليهما ؟ فهي تخضع لكل مقومات الترجمة وشروطها ، كما ان زمر المترجمين المتندين لها عرضة لما يتعرض له غيرهم من المترجمين من صعوبات ومشاق ومزالق . وقد تكون مزالق الترجمة ومشكلاتها بين العربية والفارسية اكثراً من غيرها ، لما بين اللغتين من تداخل وتشابك وتشابه وقرض ، وان لم تجمعهما اسرة لغوية واحدة، فيما هو معروف .

ولقد تبىض لي ، من خلال اقامتي في مدينة مشهد الايرانية ( ١٩٧٠ - ١٩٧٨ ) لتدريس العربية وآدابها في جامعتها ، ان اتعلم الفارسية ، ثم ازاول تدريس الترجمة، وأجرب حظي فيها عملياً من الفارسية الى العربية، بترجمة « سياست نامة »، لنظام الملك

---

( \* ) Horace.

( \* ) Towards A Science of Translating.

وقد ترجمه ماجد النجار الى العربية ، ونشرته وزارة الاعلام العراقية . ب بغداد ١٩٧٦ .

الطوسي ، وبعض الابحاث والمقالات الاخرى . ومن العربية الى الفارسية ( مع صديقي الاستاذ الدكتور غلامحسين يوسفي ) يترجمة « قصّتي مع الشعر » . لزار قباني ، و « مختارات من الشعر العربي الحديث » . كما قيض لى ان اطلع على كثير من ترجمات الايرانيين عن العربية ، وترجمات العرب عن الفارسية . كل هذا ، يثير لى ان اكتشف ، من كتب ، بعض المشكلات والمزالق التي قد تعرّض المترجمين من العرب والایرانيين ، والتي لم يسلم كثيرون منهم من تيارها .

### - ٣ -

لعل من اهم ما يركّز عليه في الترجمة عامة ، المعرفة التامة او الجيدة ، على الاقل ، باللغة المنقول منها والمنقول اليها سواء بسواء . فقدّينا اوجب « جاحظنا » على الترجمان « ان يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة ، وينبني ان يكون اعلم الناس باللغة المنقوله والمنقول اليها حتى يكون فيما سوء وغایة » (١) . ويزيد وبيع فلسطين الامر وضوحا بقوله « ولا بد لفهم المتن المراد نقله من اجاده اللغة التي كتب بها ، ومعرفة دقائقها وقواعدها وآدابها وشواذها وشواردها . ولا بد قبل النقل من اجاده اللغة التي يُنقل اليها النص » (٢) .

\* — من مثل : « العالم المنشود في بستان سعدی الشیرازی » و « سمات الادب الفارسي المعاصر » للدكتور غلامحسين يوسفي ، و « الخیام الشاعر » لعلی دشتی .

\*\* — منشورات طوس ، طهران ١٩٧٧ .

\*\*\* — الكتاب بعد للطبع .

(١) الحيوان ١ : ٢٨ ، المطبعة الحبانية ، القاهرة ١٢٢٢ .

(٢) من الترجمة في الادب العربي ، من ٢٧ نفلا من : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، يناير ١٩٦٢ .

— وتد اكَد « اتنين دوليه Etienne Dolet ١٥٩ ) » ( ١٥٤٦ ) ، الذي يُعَدّ واضع أول نظرية للترجمة ، هذا الشرط اللازم في بحث له عن مبادئ الترجمة ، وجعله واحدا من مبادئه خمسة أساسية للترجمة ، فقال : لا بد أن يكون المترجم على معرفة رفيعة تامة باللغة التي يترجم منها ، وأن يمتلك بنفس الشكل معرفة رفيعة باللغة التي يترجم إليها » (٨) .

هذا الشرط من أبرز المزالق التي تواجه المתרגمين من عرب وغرس معا ، فضلا عن عدم تمكن أغلبهم من اللغة التي ينقل منها خاصة ؛ فإن جمهرة من اللفاظ العربية التي دخلت الفارسية واستوطنتها وانخذت فيها معانٍ مغايرة لمعانيها الأولى ، أو اشتهرت بمعانيها الرا杰حة المشهورة ، قد أضحت لبعض المתרגمين الإيرانيين حقائق مسلمة ، صَرَفْتُمْ حتى عن استشارة « معجمات » اللغة مع أنها من واجبات المترجم في أحسن الأحوال . يقول يوجين نيدا : « يتمثل أول وأوضح مستلزم يحتاجه أي مترجم بامتلاكه لمعرفة كافية بلغة المصدر ؟ فلابد أن يكون المترجم قادرًا على فهم ( المجرى العام ) للمعنى ، أو أن يكون ماهرًا في استشارة التواقيس ( فمن المفترض أنه سيفعل ذلك حتى في أحسن الأحوال ) ... إن ما هو أهم من ذلك معرفة المترجم بموارد لغة المصدر ، وسيطرته الكاملة على لغة المتلقى ... ، التضليل الشامل بلغة المتلقى ليس له بديل . إن اغلب الأخطاء المتعددة والخطيرة التي يقع فيها المترجمون ، تنشأ في المقام الأول من افتقارهم إلى المعرفة الشاملة بلغة المتلقى » (٩) .

وكذا الامر بالنسبة للمترجم العربي الذي يجبه بسيط من الناطق العربية التي انخذلت في الفارسية معانٍ غير معانيها في لغتها

(٨) يوجين نيدا : نحو علم للترجمة ، ص ٤٥ ، ثم انظر أيضًا : ٢٨٥ - ٤٦٥ .

(٩) نحو علم للترجمة ، ص ٢٩٢ - ٢٩٤ .

الأم . وليس مبالغة ان يتusal إن النصب والمعاناة المتأتتين عنها أكثر مما يتأتى من جانب مفردات الفارسية نفسها .

ان ما اشار اليه مؤلءو ثلاثة يُمْتَدُّ على ما نجده عند بعض المترجمين الفرس والعرب من اخطاء واوهام . وهذه بعض النماذج :

١ - كان المرحوم محمد رضا تجدد آخر من حق « الفهرست » لابن النديم ( طهران ١٩٧١ ) ، وهو الذي ترجمه الى الفارسية ايضا ؛ وُطُبِعَت الترجمة مرتين الى الان ، وهي لا تخلي من هنات مثلما لا يخلو الاصل العربي من اخطاء كثيرة » (١٠) . فلقد اعتناد ابن النديم ان يصف الكتاب الذي كان يراه بنفسه بأنه « كبي » او « لطيف » اي « صغير » وفقا لحجمه . يقول في الكلام على ابن سعدان « ... وله من الكتب : كتاب الخيل ؟ رأيته . لطيف » ( من ٨٧ ) ، ويقول في اخبار محمد بن داود الجراح : « وله من الكتب ... كتاب (الشعر والشعراء) . لطيف » ( من ١٤٢ ) ، ويقول في اخبار جعفر ابن حمدان الموصلي : « ناما كتبه الادبية ، وهي : ... . كتاب حasan اشumar المحدثين» لطيف » ( من ١٦٦ ) ، ويقول في الحديث عن يحيى بن ابي منصور الموصلي : « وله من الكتب : ... . كتاب الطبيخ . لطيف » ( من ١٦٦ ) .

لكن ، ما الذي فعله المرحوم تجدد حين ترجم الكتاب الى الفارسية ؟ ! لقد ترجم لفظة « لطيف » في كل الموارد السابقة، بمعناها المعروفة في الفارسية : « خوب » او « نازك » \* ، والاكثر شيوعا في العربية : جميل ، أنيق ، جيد . فكانت ترجمة المثال الاول : « ازكتابه اي

١٠ ) راجع في نجد الكتاب : يوسف بكاري ، نظرات في فهرست ابن النديم ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإسلامية - جامعة مشهد ، العدد الخامس ، شتاء ١٣٥١ شمسى ( ١٩٧٢ م ) .

( \* ) توجد هذه اللقطة في عدد من اللهجات العربية المحلية بالمعنى نفسه . ومن الطريق ان الحق نسراها بالعربية بتوله « ونرك كلبة عارضة بمعنى النائم » ( من ٢٨٤ ، الحاشية ) .

اوست : كتاب الخيل كه بسيار خوب است « (١١) » ، وترجمة الثاني « وأين كتابها ازاوست : ... كتاب (الشعر والشعراء) . نازك است » (١٢) ، وترجمة الثالث « وكتابهای ادبی او بدینظرار است : ... كتاب محاسن اشعار المحدثین . نازک است » (١٣) ، وترجمة الآخر « وأین كتابها ازاوست : ... ، كتاب الطبیخ . نازک است » (١٤) .

فلو استشار الحق - المترجم المعجمات العربية واستنجد بها ، على الاقل - لوجد ان لفظة « صفير » من معانی کلمة « لطیف » (١٥) ، وهو ما كان يعنيه ابن النديم مقابل لفظة « کبیر » ، کقوله في الكلام على ابن عبد الحميد الكاتب : « وله من الكتاب : كتاب اخبار خلفاء بنی العباس . کبیر » (ص ١٢٠) ، وترجم اللفظة في مواطنها السابقة وغيرها بلفظة « کوجاک » الفارسية ، ليس غير .

ولربما ان لفظة « ملطفة » التي تلقانا بكثرة في المصادر الفارسية التاريخية من مثل « سیاست نامه » و « تاریخ البهتی » ، ومعناها الرسالة الصغيرة التي تكتب في الحالات الفوريّة ، أخذت من الاصل العربي « لطف » نفسه ، لأن المعجمات العربية لا تذكرها .

٢ - في ترجمة الاستاذ الدكتور جعفر شعار لبحثي « جهود عربية معاصرة في خدمة الادب الفارسي » ، ترجم لفظة « نفر » نسی هذه العبارة، « قسام (نفر) من اساتذة مهد اللغات الشرقيّة بجامعة القاهرة بترجمة كتاب (تراث فارس)» الذي كتب فصوله اساتذة من المستشرقين « بشخص واحد » ، وهو معناها في الفارسية وفي بعض

(١١) المهرست ، من ١٢٢ (الترجمة الفارسية) ، الطبعة الثانية ، طهران ١٣٤٦ شمسی .

(١٢) المصدر السابق ٢١١ .

(١٣) المصدر السابق ٢٤٦ .

(١٤) المصدر نفسه ٢٤٧ .

(١٥) انظر مثلاً : ابن منظور ، لسان العرب . مادة (لطف) ، والدكتور حسين نصار : المجمّع العربي ١ : ٤١ دار مصر للطباعة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٨ .

لهماتنا المحليّة . مثل « يكى ازاستدان ( معهد اللغات الشرقية ) در دانشگاه قاهره به ترجمه كتاب ( تراث فارس ) برداخته است » ، بيد ان المعنى اللغوي الصحيح للنّظة هو: جماعة الرجال من ثلاثة الى عشرة <sup>(١٦)</sup> . فالترجمة الصحيحة اذن « جندن ازاستدان ... » .

والحق أن مترجمي القرآن الكريم إلى الفارسية ترجموا النّظة عينها في قوله تعالى « قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن ، فقالوا : أنا سمعنا قرأتنا عجبا » <sup>(١٧)</sup> ترجمة صحيحة . وهذه ترجمة الآية الكريمة « بگو : وحى آمده که گروهی از بريان استماع ( قرأت من ) کردند وگفتد : ما قرآن شنگت آور شنيديم » <sup>(١٨)</sup> .

٣ - يستعمل العرب ، في العصر الحاضر ، الاصطلاحات : « أغراض الشعر » و « موضوعات الشعر » و « فنون الشعر » بمعنى واحد ، وهو ما لا يعرفه أكثر الإيرانيين ، إن لم يكونوا كلهم . من هنا <sup>وهم</sup> الدكتور محمد رضا شنيعي كدكتوري في ترجمة لفظة « أغراض » بمعناها المعجمي « أهداف » في ترجمته مقدمة مختارات الدكتور محمد مصطفى بدوي « مختارات من الشعر العربي الحديث » .

جاء في مقدمة الدكتور بدوي « وما زالت موضوعات هؤلاء الشعراء هي الأغراض التقليدية من مدح للحكام ، وتقريره للأخوان ، وتاريخ للمناسبات ... » <sup>(١٩)</sup> .

---

(١٦) لسان العرب ، مادة ( نفر ) .

(١٧) سورة الجن ، آية ( ١١ ) .

(١٨) القرآن الكريم ، ترجمة أبي القاسم پائينده ، الطبعة الثالثة ، طهران ١٣٥٤ شمسى ، وترجمة المكتبة الإسلامية ، طهران ١٣٢٦ شمسى ( ١٣٧٧ ) .

(١٩) مختارات من الشعر العربي الحديث - المدينة ، ص ٢٠ . دار التبلّر ، بيروت ١٩٦٦ .

وترجم الدكتور دكتري العباره كالتالي « موضوعات شعرى اين  
گروه نيز ، همان هدفهایي کلاسیک بود ، از قبیل مدح حاکمان ، وترتیط  
برای دوستان ، وتاریخ مناسبات » (٢٠) .

٤ - لست ادري لماذا ترجم مدینتنا الدكتور ابراهيم النسوسي  
شتا لنطة « لحاف » في قول صادق هدایت « لحاف را جلو جشم نگه  
میدارم » (٢١) بلنطة « غطاء » : « ووضعت الغطاء على عيني » (٢٢) ،  
مع ان لنطة من الالفاظ العربية التي دخلت الفارسية ، وهي  
اخطر من « الغطاء » ؟ فالحاف غطاء ، ولكن ليس كل غطاء لحافا .

٥ - وردت في فصل « خیام شاعر » ( الخیام الشاعر ) من  
كتاب « دمی باخیام » ، وهو الفصل الذي ترجمته الى العربية ،  
الجملة التالية : « کشیدن رباعیات اصیل خیام از این ( بازار مکاره )  
کارآسانی نیست » (٢٣) . وقد ترجمتها بهذا النحو « ان استلال رباعیات  
الخیام الاصلیة من ( سوق المکار ) هذه ، ليس بالامر الممکن » .

اقول ، لقد اغرقني لنطة « مکاره » العربية في هذا الاصطلاح  
الفارسي المركب « بازار مکاره » ، فترجمته كما اثبتته اعلاه ، وهي  
ترجمة مفهومه ولا غبار عليها لدى القارئ العربي . غير ان معناه  
الدقیق ، الذي اطلعت عليه فيما بعد في المجمعات الفارسية المعتبرة ،  
يوحی ، فيما يبدو لی ، بترجمته بلنطة « معرض » ؟ لأن معنی  
( بازار مکاره ) : « السوق التي تقام عدة أيام مرة في السنة ، وتجلب  
إليها البضائع من أقطار مختلفة للعرض والبيع أيضا » (٢٤) .

---

( ٢٠ ) دکر کوبنیهای شعر معاصر عرب ، کتاب النبا ، جلد سوم ، طهران ١٣٥٢ شمسی ،  
ص ١٨ - ٢٨ .

( ٢١ ) زنده بکور ، ص ١١ ، الطبعة السابعة ، طهران ١٢٤٤ .

( ٢٢ ) نص من الادب الفارسي المعاصر ، ص ٩٩ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ،  
القاهرة ١٩٧٥ .

( ٢٣ ) دمی باخیام ، ص ٧ . امریکیر ، طهران ١٣٤٤ .

( ٢٤ ) انظر مثلا : محمد معین ، لرهنگ فارسی - بازار ، ودهندا : لفتنامه دهخدا -  
مادة ( بازار ) أيضا .

وما يندرج في موضوع اللغة ، ما يعرف بالتركيب اللغوية التي يُمْدَد التغلب عليها في أي لغتين من أهم وظائف المترجم «<sup>٢٥</sup>» الذي يُشترط فيه « ان يكون ملائماً تماماً كاملاً بمعانٍ تركيب الجمل . نهي هذا المجال الخاص ، غالباً ما يُظهر المترجمون ضعفهم الكبير . ومع أنهم يمكن أن يفهموا بشكل جيد تماماً معانٍ الكلمات والعبارات منفردة ، مغالباً ما يفتقرن بشكل شنيع إلى التقسيم الأساسي للمعاني والابنية اللغوية » «<sup>٢٦</sup>» .

هذا الامر ، من أهم مشكلات الترجمة بين العربية والفارسية خاصة ، لكثرـة ما بينهما من فروق في الخصائص الأصلية من حيث التركيب والمجازات ، والتذكير والتأنيث ، والإفراد والثنائية ؛ وكلها تدخل في دواليق اللغة وقواعدها التي يتحتم على المترجم أن يتقيّـظ لها ؛ ولكن ما أكثر ما ينزلق فيها المترجمون !

ومن أمثلة هذا المزلق ، ما وقع فيه الدكتور محمد شنيري ككتبي أيضاً في ترجمة النص التالي من مقدمة الدكتور مصطفى بدوي : « لم يكـد ينـصرم القرـن التـاسـع عـشر الا وـقد ظـهر ضـرب جـديـد من الشـعـرـ يـتـميـز بشـيءـ من التـعـارـضـ والتـوـرـتـ بيـنـ الشـكـلـ والمـضـمـونـ » «<sup>٢٧</sup>» ، اذ اخـلطـ عـلـيـهـ معـنىـ « لم يـكـد يـنـصرـمـ » ، فـكانـتـ تـرـجـمـتـهـ « هـنـوزـ قـرنـ نـوزـدـهـمـ بـهـ بـابـانـ فـرسـيـدـهـ بـودـ كـهـ نوعـ تـازـهـ اـيـ اـزـ شـعـرـ بـهـ ظـهـورـ بـيوـسـتـ . . . » «<sup>٢٨</sup>» . والـصـحـيـحـ « مدـتـيـ اـزـ قـرنـ توـزـدـهـمـ نـكـشـتـ بـودـ كـهـ نوعـيـ جـديـدـ درـ شـعـرـ عـربـيـ پـنـدـ آـمـدـ . . . » .

(٢٥) يوجين نيدا : نحو علم للترجمة ، من ٣١٢ .

(٢٦) المرجع السابق ، من ٦٦ .

(٢٧) مختارات من الشعر العربي الحديث ، من ٥ .

(٢٨) نگر گونیمای شعر معاصر عرب ، كتاب البا ، من ٤٧ .

ومن اخطر المزالق التي قد يمسك بها الترجم فلته عن « لغة مصر » ما يترجم . ويدعى ان ما يُتوخّى من لغة واسلوب واصطلاحات في ترجمة مثل : « تاريخ البيهقي » و « الشاهنامة » و « سيرنامه ناصر خسرو » و « سياسة نامه » و « رحلة ابن بطوطه » غير ما يُتوخّى في ترجمة « قصتي مع الشعر » و « الایام » و « قلمرو ادب سعدی » ( آفاق ادب سعدی ) و « دمى باخيم » ( وقنة مع الخيام ) لعلى دشتني .

مراعاة روح العصر في لغته وأساليبه واصطلاحاته ومن رداته واجبة ادن ؟ لذا ابْتَأَتُ الانفاظ والمصطلحات العربية التي انساد منها صاحب « سياسة نامه » كما هي لتناسب الفترة التي أُلْفَت فيها الكتاب ، ولم احاول ان استعيض عنها باللفاظ واصطلاحات عصرية ، وإن هجّر كثير من تلك اللفاظ وترك منذ زمن بعيد . ومن الامثلة عليها : المحتسب ، المستوفى ، الشحنة ، العسس ، وخريطة \* . وقد راعى مترجمنا « تاريخ البيهقي » هذا الصنيع ، فقال احدهما « وقد تمدنا أن نترك الانفاظ العربية التي وردت في الكتاب كما هي : لكي تعبّر عن مدلولاتها في العصر الذي كُتِبَ فيه » (٢١) . بيد انها جانباً هذا الشرط في ترجمة اصطلاح « كشادنامه » (نامه سرگشاده) بالاصطلاح المعاصر « كتاب مفتوح » (٢٠) . وقد ترجمته بـ « رسالة مفتوحة » في « سياسة نامه » .

واذكر أنتا حين ترجمنا (الدكتور يوسف وانا) المقطع التالي من قصيدة (عبد ميلادها) لنزار قباني (٢١) :

(\*) الخريطة : كبس من قماش . وما زالت تستعمل في اتجاه من الاردن وللسطين .  
(٢١) يحيى الخشاب : مقدمة ترجمة تاريخ البيهقي ، من ٢٩ . الانجلوس المصرية (دون تاريخ) .

(٢٠) يحيى الخشاب وصادق نشأت : تاريخ البيهقي (الترجمة العربية) ، من ١٢٨ .  
(٢١) مختارات من الشعر العربي الحديث ، من ١٤١ .

بای شیء اُنْدُ  
اذا يهِلُّ الْأَحَدُ

بخاتمٌ ۹

بیاتسِ ۹

على النحو التالي اولاً :

با چه هدیه ای بروم ۹

وقتی روز یکشنبه فرارسد

با انگشتربی ۹

بادسته گلّی ۹

رأى الدكتور يوسفى انه من الانضل ان نترجم « بخاتم » الى  
« با انگستری » بدلا من « با انگشتربی » لأن الاول هو المستعمل في الوقت  
الحاضر . وهكذا كان .

- ۶ -

لم يكن اعتباطا ان نقسم الترجمة ، من حيث الطريقة والكيفية ،  
إلى أنواع من أهمها الترجمة (اللفظية) ، والترجمة بالمعنى (المعنىوية) .  
ان الترجمة الحرفية لا تتيسر في كل الأحيان ، خاصة في ترجمة  
المصطلحات والإمثال والمجازات ؛ وهنالكون الحيرة ويكون المزلق ؛  
الحيرة في ترجمة هذه الأشياء كما هي من اللغة الأجنبية ، مما يمكن  
وقوعها في الذوق العربي ، أو وضع ما يقابلها في العربية مما يؤدي  
معناها الاصلي دون تقييد بحرفية ما يترجم <sup>(۲۲)</sup> . ومن الشق الاول  
ـ اي الترجمة الحرفية ـ تتبع المزالق التي يدعو اكثراها إلى الضحك ،

<sup>(۲۲)</sup> انظر أيضاً : محمد ميد الشنی حسن ، نن الترجمة في الأدب العربي ، من ۴۰۱ و ۵۹ . الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ۱۹۶۶ .

ونقود في أحيان كثيرة الى البتر والتشویه والحذف الذي لا مندوحة من تفسيره الا بعجز المترجم وجهله .

اقول هذا ، لأن للنarrative مجازات واصطلاحات غريبة علينا كل الغرابة ، وربما لا نجد مثلها في اللغات الأخرى . ولقد سُئلتُ مرة ان اترجم المثل الفارسي «**كُلْ پِشت ورو ندارد**» ، فاخترتُ فس امري ؛ الترجمة حرفيّة لا ماء فيها ولا رونق ، فاقول «ليس للورد ظهر ولا بطん» !! ، أم ابحث عن معادلة له في عربتنا ؟ وكان من الطبيعي ان ابحث عن المعادل ، غير اتنى لم اجده في تراثنا الضخم من الامثال الفصيحة . ومن يدرى ، فربما اتنى انا الذي لم استطع الاهتداء اليه . حينئذ انعطفت الى امثالنا الشعبية ، فاختارتُ الى المعادل الدقيق ، وهو المثل «**كُلُّكَ وَجْهٌ**» الذي يستعمل في الحالات عينها التي يستعمل فيها المثل الفارسي . وينطبق هذا الكلام ايضا على المثل الفارسي «**کبوتر باکبوتر بازیا باز**» اذا ما ترجمناه ترجمة حرفيّة ستيمية «**الحمام مع الحمام ، والباز مع الباز**» وتركتنا المثل الرائع «**ان الطيور على اشكالها تقع**» الذي لا يعدو المثل الفارسي قيد ائملا . هذا ما فعلناه ( الدكتور يوسف وانا ) بالمثل العربي نفسه الذي خُمنه عبد الوهاب البياتي المقطع الآتي من تصييده : «**سوق القرية**» (٢٢) :

وينادق سود ، ومحرات ، ونار

تخبو ، وحداد يراود جفنه الدامي النعلas :

«**أبداً على اشكالها تقع الطيور**

**والبحر لا يقوى على غسل الخطايا والدموع**

اذ ترجمناه بمعادله الفارسي السابق «**کبوتر باکبوتر ، باز با باز**» .

ومن المترجمين العرب الذين انساقوا في حماة التيار الحرفي في

---

( ٢٢ ) مختارات من الشعر العربي الحديث ، ص ١٩٦

ترجمة الامثال ، المرحوم الدكتور ابرهيم الشواربي ، الذي أثبت نسبياً أحد كتبه (٤٤) طائفة من الامثال النarrative ، وترجم أكثرها ترجمة حرفية مع ان لها في العربية نظائر وأشباهها تكاد تكون ترجمة لها . فقد ترجم المثل « صبر مفتاح كارها است » بـ « الصبر مفتاح الامور » وعزف عن المثل العربي « الصبر مفتاح الفرج » ؛ كما ترجم المثل « صدا از يکست بر نیاید » بتوله : « اليد لا تصفق وحدها » وترك مقابلته الدقيق، « يد واحدة لا تصفق » .

اما مترجم « رحلة ابن بطوطة » الفارسي ، فقد راعى نوع الترجمة الذي ندعوه اليه ، حتى في الامثال العربية غير المتداولة كثيراً ، وسلك سبيل الترجمة المعنوية والبحث عن المعادل في ترجمة المثل « صدقهم سنّ بکره » (٤٥) في نص ابن بطوطة : « تم ان النوبة وصلت يوما الى الشيخ شهاب الدين ، فعقد التوبة ليلة النوبة ، وعزم اصلاح حاله مع ربِّه ، وقال في نفسه : ان قلت لاصحابي اني قد ثُبُت قبل اجتماعهم عني ، ظنوا ذلك عجزا عن مؤونتهم . فاضطر ما كان يحضر مثله قبل من مأكل ومشروب وجعل الخمر في الزقاق . وحضر اصحابه ، فلما ارادوا الشرب فتحوا زقا ، فذاته احدهم موجوده حلوا . ثم فتحوا ثانياً موجوده كذلك ، ثم ثالثاً موجوده كذلك . فكلموا الشيخ في ذلك ، فخرج لهم عن حقيقة أمره ، وصدقهم سن بکره ... » « رحلة ابن بطوطة » ، ص ٣٨٧ » .

فترجمه ، وما احسن ما ترجمه ، بتوله « شهاب الدين راز خود بر آنان فاش ساخت ... » (٤٦) . اي خرج لهم شهاب الدين عن سره .

(٤٤) التواعد الاساسية لدراسة النarrative ، من ٢٢١ - ٢٢٦ ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٦٤ .

(٤٥) راجع قصة هذا المثل مختلطة في : لسان العرب ، مادة ( مدق ) .

(٤٦) سفرنامه ابن بطوطة ، من ٢٩٥ . ترجمة محمد علي موحد ، طهران ١٣٢٧ هـ ( ١٩٥٨ ) .

ومن المشكلات التي تتعسر المترجم من الفارسية ، مسألة رد المترجمات الفارسية عن العربية الى أصولها الاولى . نفي المصادر الفارسية المختلفة مترجمات كثيرة من القرآن الكريم ، والاحاديث الشريفة ، وآقوال الصحابة والخلفاء المشهورة ، والشعر والكلم المعروف . وأحسب ان الدقة والامانة مما توجبان على من يترجم اثراً فارسياً فيه اشياء مما ذكر ، ان يسعى الى البحث عن نصوصها العربية الاولى وإن يكن في استطاعته ترجمتها بلغته الخاصة ، وهو ما قد يضطر اليه اذا ما اعنته الحيلة ، واضناء التقصي والاستقراء والتنقيب دون جدوى .

واعترف صادقاً انني بذلت جهداً كبيراً في استنطاق كتب الحديث من صحاح وغيرها ، والبحث في معجماتها ، وخاصة «المعجم المفهرس للفاظ الحديث الشريف» للإهتماء الى نص ترجمة الحديث : «داد کنندگان را اندرو بهشت سراها باشد از روشنایی ، با اهل خویش ، با آن کسها که زیر دست ایشان باشند»<sup>(٢٧)</sup> الذي استشهد به نظام الملك مرویّاً عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ؛ فذهبت جهودي ادراج الرياح . وانصعت باخرة الى ترجمته بلغتي الخاصة : «للمقسطين ونوي قرباهم ومن هم تحت ايديهم قصور من نور في الجنة» . وليس هذه المشكلة خاصة بالترجمة من الفارسية الى العربية فقط ، انما تلتقطنا في كل لغة اجنبية استشهد بها صاحب الاثر بنصوص عربية وترجمها الى لغته دون ان يثبتها . ولقد عانى منها نفر من المترجمين العرب ، فتقلب عليها بعضهم ، واخفق آخرون احياناً . يقول الدكتور ابراهيم أمين الشواربي «مترجم كتاب (A Literary History of Persia) (A. G. Browne) للمستشرق الانجليزي ادوارد براؤن

«اعتمد براؤن في تأليف كتابه على كثير من المراجع الشرقية ، واستشهد ، بالطبيعة ، بالتأليفات العربية والفارسية والتركية ، ولكنـه

---

(٢٧) سیاست نامه ، ص ٨٧ . تحقیق الدكتور جعفر شمار ، طهران ١٣٤٨ شمسی .

لم يستطع ، في الغالب الاعم ، ان يورد لنا شواهد في نصوصها الاصلية في هذه اللغات ، والكتفى بابراد ترجمتها الى الانجليزية . ولم يكن من المستساغ عقلا او المقبول فنا ان اعود فائزجم هذه الترجمات الى العربية ، لان الترجمة عن ترجمة – لا شك – تُفَضِّل المترجم ، وتبعده عن الاصل . ومن اجل ذلك الزمت نفسى بابيات الشواهد العربية بنصوصها الذى وردت به في الكتب العربية ، اللهم الا اذا كان الكتاب مخطوطا ، وليس له نسخة في دُور كتبنا »<sup>(٢٨)</sup> .

وكان المرحوم عادل زعير شيخ المترجمين المرء يواجهه بمثل هذا . يقول في مقدمة ترجمته لكتاب « ابن رشد » لارنست رينان الفرنسي : « وهنا نتبَّه القاريء الى ان العلامة رينان اقتطف كثيرا من العبارات العربية الموجودة ، فأعدنا معظمها الى اصله العربي . وأما الذي لم نتوصل الى نصه العربي بسبب فقدان الاصل غالبا ، فقد ترجمناه من الفرنسية ... »<sup>(٢٩)</sup> .

وابنلني محمد عبد الغنى حسن بكثير من هذا في ترجمة كتاب « المرأة والدولة في فجر الاسلام » للباحثة العربية المتأمرة « نابية ابوت » (نابية عبود) الذي نشره عام ١٩٤٣<sup>(٤٠)</sup> . وهو يرى ان هذا الامر ناحية واحدة من نواحي صعوبات الترجمة من غير العربية الى العربية ، ولكنها ليست صعوبة في الترجمة ذاتها ، بل هي صعوبة فيما حول النص المترجم ومحاولة ارجاعه الى اصله<sup>(٤١)</sup> .

ومن مزالق ما حول النص التي تعترض المترجم عن الفارسية ايضا ، كثرة التحريرات والتصحيفات والاخطااء في الاصول العربية

(٢٨) تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدي – المقنية ، من من ، مطبعة المسادة ، القاهرة ١٩٥٤ .

(٢٩) ابن رشد والرشدية ، من ٧ . القاهرة ١٩٥٧ .

(٤٠) من الترجمة في الادب العربي ، من ٨ .

(٤١) المرجع السابق ، من ٩ .

في المؤلفات الدراسية ، في الآيات والاحاديث ، والاشعار والاتوال المثورة ، والاعلام والاماكن والكتب ، لاسباب قد يعود اكثراها الى تلاعب النساء وجعلهم - او جهل اكثراهم - ، والى تواني المحتفين وتقسيمهم ، وعدم معرفتهم الجيدة بالعربية وتراثها .

وكتاب « سياسة نامه » أكبر شاعر ودليل على ما أقول ، لأن فيه تحريرات وتصحيفات وأوهاما كثيرة ، فلما عرضها عن أعين المحققين والمصححين ، والمتורגرين غير العرب أيضاً ، مع أنه طبع أكثر من خمس طبعات مختلفة في إيران وخارجها ، كان آخرها طبعة الدكتور جعفر شumar التي ترجمتها إلى لغة الضاد ؟ فقد حرفت فيه لفظة « الحق » في قوله تعالى : « يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض » ، ماحكم بين الناس بالحق « (٤٤) » إلى « العدل » « (٤٥) » ، وصحت « (٤٦) » وتصدق في الآية الكريمة « وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين » « (٤٧) » إلى « فتصدق » « (٤٨) » ، وأضحى اسم زعيم الدياللة « اسفار بن شيري و/orداوندي » ، فيما أثبته المسعودي « (٤٩) » وأبن الاثير مثلاً « (٥٠) » ، وأضحى « سيار شيري و/orداوندي » « (٥١) » ، وحُرِّفَ اسم كتاب الاسماعيلية « البلاغات السبعة » الذي نص عليه ابن النديم « (٥٢) » إلى « بlague »

٢٥ - آية ، صورة (٢)

۲) سیاست نامه، ص ۴۷۶.

(٤٤) سورة يوسف ، آية ٨ .

۱۰۰ سیاست نامه، ص ۹۰

٤٦) مروج الذهب : ٣٧٤ وما بعدها . تحقيق محمد محيي الدين عبد العميد ،  
الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

(٤٧) الكامل في التاريخ : ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٦ ، ١٩٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٧ . طبعة صادر ، بيروت ٦ ١٦٦ .

• ۴۲۸ ( سیاست نامه ) ، من

٤٩) الفهرست ، ص ٢٤٠

السلبيم » (٤٠) . وفيه هذا كثي في اثنين مني لا حاجة لذكرها (٤١) .

النجوز للمترجم ، والحال هذه ، ان يسكت — اذا ما عرف — عن مثل هذه التصحيفات والتحريفات والاوهام انى وجدت ، فزيزى اللطين بلة ويشارك المحققين فيما انزلعوا اليه ولم يكتشفو ؟ ! وهل كان عيناً ان يحتمل الجدال بين المتهمن بالترجمة حول « تخصص » المترجم فيما يترجم ، او « معرفته » به ؟ احسب ان لا ، لأن قدرة الترجم وسعة اطلاعه ومعرفته تبرز واضحة هنا ؛ وهو ما يدل على ان الترجمة ليست نقلأ وحسب ، لما يتصور الكثيرون ، بل هي ، فيما يذهب صاحب « المقطف » الدكتور يعقوب صروف « صعبه وأصعب من التالميذ » .

100

ویس

انلا تستحق مقوله الايطاليين « الترجمة خيانة » او « المترجم  
خائن » (٢٤) مزيدا من التفكير والتدبر !

اوليس يوجين نيدا محتا في قوله (٥٢): «نان مهمه المترجم مهمه صعبه في الاساس ، وبهمه لا يشكر عليها في اغلب الاحيان . فإذا ما ارتكب غلطة انتقد بشدة ، ولكنه لا يمتحن سوى امتداح تائه عندها ينضم في عيلته ... » !

د. یوسف بخار

۲۵۶ میقات نامه، من ۱۰۰

(۱۵) راجع للتفاصيل في : يوسف بكار ، نظرات في سياسة نابه ، نشرية دانشک الهیات و معارف اسلامی مشهد ، العدد (۲۴) ، خریف ۱۳۵۸ شمسی (۱۹۷۸) .

Tarduttore Traditore

الدكتور محمد موسى محمد : من الترجمة ، من ٢٦ . محمد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦١ .

٢٥٣ نحو علم للترجمة ، من ٢٠٢

# دراسات في النظم والعقائد الأرباضية

للكتور عوض فليفات  
(الجامعة الأردنية)

## ١ - تمهيد \*

الولاية كلمة مشتقة من الفعل "ولى" ، ولها معانٍ مخثفة (١) ، منها المحبة ، والمناصرة ، والمؤازرة ، والقرب . والبراءة تعني ضد هذه المعانٍ ، أي: الجنون ، والبغض ، والعداوة ؛ وهذه المعانٍ هي التي تعنينا في هذه الدراسة الاولية لنظام الولاية والبراءة عند اتباع المذهب الاباضي . وقد استعمل العرب الكلمتين لتدلاً على المعانٍ الآتية الذكر منذ الفترة الجاهلية ، واكتسبتا مع مرور الزمن دلالات اجتماعية وسياسية ودينية . وسنحاول في هذه اللحظة ان نوضح هذين المصطلحين حتى أصبحا — بدلولهما الفقهى — من اهم الدعامات التي ارتکز عليها المذهب الاباضي في مسيرته منذ القرن الاول الهجري حتى يومنا هذا .

كانت القبيلة هي الوحدة الاساسية في المجتمع العربي البدوي ، وأفرادها متكافلون ، متآزرون ، يتولى بعضهم بعضًا ، وعلى كل فرد منهم نصرة أخيه ظالماً كان أو مظلوماً ؛ فإذا وقع لاحدهم سوء مسارع الجميع لد يد العون والمساعدة له بحكم هذه الولاية العصبية . ويصف أحد الشعراء هذا الحال فيتقول :

(١) \* أشكر الاستاذ محمد المغرس الذي أعارني بعض المخطوطات ، والذي أشار على بكتابه التمهيد لهذا البحث . كما أتوجه بالشكر الجليل للاستاذ الدكتور محمد العزيز الدوري لما أداه لي من آراء ولاحظات قيمة .

لا يسألون أخاهم حين يتذمّر  
في النائبات على ما قال برهانًا<sup>(٣)</sup>  
ويقول شاعر آخر :

اذا استُجحِدو لم يسالوا من دعاهُمْ لابة حرب فم باي مكان<sup>(٤)</sup>  
كانت هذه المساعدة القبلية مشروطة بوجوب التمسك بعادات  
القبيلة وتقاليدها واعرانها ومعتقداتها ، أما اذا ظهر من الفرد خلاف  
ذلك ، فنان قبيلته تنبذه ، وتتبرأ منه، فيصبح طريدا أو مخلوعا ، وقد  
يصبح مسلوكا . ويحدث التبرؤ من الشخص وخليمه لأسباب متنوعة<sup>٥</sup>  
كلن يخرج على اجماع القبيلة ، او يقتل احد افرادها ولا يقبل ذوي  
المقدور الديبة ، او ان يقتل شخصا ينتهي الى قبيلة اخرى بينها وبين  
قبيلته جلف او عهد او جوار ، او يصبح سبي الخلق<sup>٦</sup> ممنوم السمعة  
والسيرة ، او يضحي مبدرا مدمنا على شرب الخمر ، وغير ذلك مما  
يقتدح بسمعة القبيلة ومكانتها . ويبعدو ان معاملة القبائل العربية  
لأفرادها المبذولين كانت الاساس الذي تطور عنه هذا المبدأ الذي  
عرف به « البراءة »<sup>(٧)</sup> .

ولما بعث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم استخدمَ  
قبيلته ، قريش، هذا المبدأ خذله ، اذ وجدت في دعوته خروجا عن اعرانها  
وتقاليدها ومعتقداتها، فندعت الى نبذه والبراءة منه . وتعرض الرسول<sup>٨</sup>  
عليه السلام — تبعا لذلك — لكتير من الاذى والاضطهاد ، ولم  
تبث قريش ان مقاطعته الرسول وبني هاشم الذين حموه طبقا لمبدأ  
الولاية بالعصبية . وعقد القرشيون عهدا فيما بينهم علقو نصوصه  
في جوف الكعبة ،لتاكيد قداسته ووجوب التقيد به . وقد تعاهد  
القرشيون على مقاطعة الرسول وبني هاشم ، وعدم التعامل معهم ،  
فلا يؤكلونهم ولا يشاربونهم ولا يبايعونهم ولا يناكحونهم ولا يكلّمونهم ؟  
ويقروا على هذه الحالة ترابة ثلاثة سنوات<sup>(٩)</sup> .

وعندما هاجر الرسول الكريم الى المدينة المنورة ، جعل مبدأ  
الولاية والبراءة في خدمة الدعوة الاسلامية ، فكون الجماعة الاسلامية

التي عرفت باسم الامة وجعل افرادها اولىء بعضهم من دون الناس ؟ وبذلك احْلَّ رابطة الدين والعقيدة محل رابطة الدم والنسب . واصبح المسلم اخا المسلم ووليه . وواجب الاسلام على كل مفرد ان يُحبَّ اخاه في الله وبناصره ويساعده ، كما اوجب على كل فرد من الامة البراءة من اعداء الله ورسوله . وبهذه الوسيلة أصبح جميع افراد الامة وحدة متجانسة متكاملة متضامنة ، وبذلك استطاعوا ان يصدوا امام التحديات ، وهي كثيرة ، وينشروا دعوتهم ويحرزوا النصر المبين . اما اذا احدث احد افراد الامة الاسلامية حدثاً يضر بالاسلام واصحابه ، او تصر في اداء واجباته الدينية الاساسية، فان الرسول، عليه السلام، لم يتتردد في الدعوة الى البراءة منه وبنفسه ومقاطعته <sup>(١)</sup> .

مثال ذلك ما حديث الثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد في غزوة ثبوك ، وهُم: كعب بن مالك، وهلال بن امية ، ومرارة بن الريبع ؟ فقد أمر الرسول المسلمين بأن يقاطعوهم ولا يتكلموا معهم حتى ضافت عليهم الارض بما رحبت ؟ ثم انزل الله كلمته فيهم بالتنبيه عنهم، نعماذ المسلمين الى ولائهم ومواتعهم <sup>(٢)</sup> .

وقد اخذت الفرق الاسلامية فيما بعد – على اختلافها وتباينها – من هذا المبدأ وسيلة للتبرؤ من اعدائها . وكانت كلّ فرقة تزعم بانها وحدها التي تمثل الاسلام الصحيح كما جاء به محمد، صلوات الله وسلامه عليه ، وبالتالي فان لها الحق في ان تتبرأ من مخالفاتها باعتبارهم ضالّين حادوا عن الطريق القويم . وعلى هذا الاساس قام الثوار ضدّ عثمان بن عفان، رضي الله عنه، بالتبرؤ منه ثم قتلته، لانه – حسب زعمهم – حاد عن الصواب، وخالف سنة الرسول الكريم وسنة الخلفتين الراشدين من بعده . وتبّرا المحكمة من علي بن ابي طالب – كرم الله وجهه – بعد قبوله التحكيم لانه – طبقاً لوجهة نظرهم – حكم الرجال في امور من امور الله، وبذلك خلع نفسه من منصب الخليفة الذي بايعه المسلمين عليه .

والحقيقة ان الامثلة في هذا الشأن كثيرة ولا حصر لها، وما اوردنناه من امثلة يكتفى للتدليل على وجود هذا المبدأ عند العرب منذ فترة مبكرة ؛ ولم يكن الاباضية مبتدعين في هذا المضمار ، ولكنهم أعطوا لهذا المفهوم أهمية خاصة، وبعدا سياسيا ودينيا دفينا لا نجد له شبيها عند اتباع الفرق الاسلامية الأخرى ٠

لقد التقى ائمة الاباضية ومشايخها منذ البداية لأهمية هذا المبدأ، وضرورة استخدامه في سبيل تطوير حركتهم ونشر دعوتهم ؛ ولا نبالغ اذا قلنا : ان هذا المبدأ كان من اهم العوامل التي ادت الى الحفاظ على وحدة الجماعة الاباضية وتماسكها عبر السصور ٠

بدأت الحركة الاباضية سرية ، واتخذت من البصرة مقراً لها ؛ وكان ذلك خلال النصف الثاني من القرن الاول الهجري والنصف الاول من القرن الثاني الهجري، حيث كان الامويون يتربعون على عرش الخلافة الاسلامية ، وكان ولاتهم في العراق - مثل زياد بن ابيه، وابنه عبد الله، والحجاج بن يوسف الثقفي - يشتدون في ملاحتة اتباع الفرق الاسلامية المناوئة للحكم الاموي ، ومنها الخوارج ؛ فرأى الاباضية ان يسيروا بدعوتهم بحذر شديد متجنبين المعارضه المسلحة ضد الحكم القائم . وفي الوقت نفسه اوجدوا الوسائل الكنسية لنشر دعوتهم في الامصار الاسلامية، فاستعملوا التقىة الدينية، وأوجدوا تنظيميا سوريا دفينا - كانت الولاية والبراءة احد عناصره - مساعد في نجاح الحركة وتحقيق اهدافها <sup>(٨)</sup> ٠

لقد نظر الاباضيون الى الحكم الاموي على انه غير شرعى، واعتبروا الخلفاء الامويين جبابرة مستبدین ، ولذا لا بد من ايجاد حكم اسلامي صحيح على غرار ما كان موجودا زمان الرسول الكريم والخلفتين ، ابى بكر وعمر . وحتى يمكن الاباضية من الوصول الى هذا الهدف ، رأوا انه لا بد من اعادة تحديد مفهوم الامة الاسلامية على اسس جديدة تتفق والمعتقدات الاباضية ، وعلى كل

من يريد الانضمام لهذه الجماعة - الامة ان يعلن الولاية لكل اتباع الحركة الاباضية جلة وافرادا ، وأن يتبرأ من اهداهم ومخالفيهم ، مشركين كانوا أم موحدين . وتورد المصادر الاباضية امثلة كثيرة لمن هذا الشأن ، منها ما يذكره أبو سفيان حول اعتناق أبي النضر ، بسطام بن عمر بن المسمى بن زهير الضبي للمذهب الاباضي . فقد كان أبو النضر صنفيا من أصحاب شبيب ، وفُرِّ من الحجاج، ونزل البصرة ، فدعاه الاباضية لذهبهم و قالوا له : « ندعوك الى ولاية من قد علمته يقول الحق ويعمل به ( اي الشخص الاباضي ) الى براءة من قد علمته يقول بخلاف الحق ويعمل به ، والوقوف فيمن لا تعلم حتى تعلم » . ففعل أبو النضر ذلك، وأصبح من مشايخ الاباضية المرموقين<sup>(٩)</sup> . وقد أصبحت هذه الدعوة قاعدة هامة نادى بها ومارسها الاباضية في كل زمان ومكان ، بحيث لا يُقبل في الجماعة الاباضية احد الا بعد ان يعلن انه ولئِ ولائهم وعدوَّهم<sup>(١٠)</sup> . وأصبح مبدأ الولاية والبراءة فرضا دينيا واجبا ، على كل اباضي ان يتتيه بالاحكام وشروطه طبقا للقواعد التي وضعها وطبقها مشايخ الاباضية الاولى . وقد قسم علماء الاباضية ومفكروهم بتدوين هذه القواعد والاحكام ، والفوْرا الكتب التي تبحث في هذا الموضوع ، بحيث أصبح للاباضية نظرية خاصة في هذا الشأن لا نجد لها مثيلا عند اتباع الفرق الاسلامية الاخرى \* . وسنستعرض في الصفحتين التاليتين قواعد الولاية والبراءة - كما اورتها المصادر الاباضية - مستعينين بامثلة عملية واضحة حيثما تقتضي الضرورة .

\* من هذه الكتب : الجبطاني ، قواعد الاسلام ، عمرو بن جبیع ، عقيدة التوحید ، شماخی ، شرح عقيدة التوحید ، السالمی ، مشارق انوار العقول . بالإضافة الى كتب أخرى تحوي نصولا خاصة عن الولاية والبراءة يلحوظها القارئ في مواطن هذا البحث .

## ٤ - الولاية

الولاية عند الاباضية تعني المحبة والمودة والمؤاخاة والمساندة والمناصرة والثناء ووجوب الترحم والاستغفار لل المسلمين ( اي الاباضية ) . وتجمع هذه المعانى كلها عبارة الحب في الله وفي العقيدة الاباضية (١١) . والولاية واجبة على كل اباضي لأخيه في المذهب اذا كان مطينا لا وامر الله ، قائما بواجباته الدينية على اكمل وجه ، امرا بالمعروف ، نهيا عن المنكر ، ممتنعا عن كل ما حرم الله (١٢) .

وللولاية قواعد وأحكام يمكن اجمالها بما يلى :

١ - ولاية الجملة : وهي فريضة على كل مكلف عندما يصل <sup>الله</sup> سن البلوغ ( الخامسة عشرة للذكور و الثانية عشرة للإناث ) . وعلى المكلف ان يوالى جميع المسلمين الاباضية من غير تقد الى احد باسمه . والعمل بهذا المبدأ توحيد ، والترك له ، او الجحود ، او الجهل بأنه فرض يدخل صاحبه في دائرة الشرك (١٣) .

٢ - ولاية الموصومين ، وتشمل ولاية الانبياء والرسل والملائكة وغيرهم من اولياء الله المذكورين في القرآن الكريم سواء بالاسم او بالوصف . وهي على نوعين : ولاية الجملة ، وولاية الانفراد . أما ولاية الجملة فتشمل جميع الانبياء والرسل ، وكذلك الجماعات التي ورد ذكرها او وصفها في القرآن الكريم ؛ مثل اهل الكهف ، وأصحاب الاخنود وأشياهم . وولاية الانفراد على نوعين : مسمى ، مثل آدم وابراهيم ومریم بنت عمران وغيرهم ، وغير مسمى مثل مؤمن آل فرعون ، وولاية هؤلاء جميعا توحيد ، والبراءة منهم شرك (١٤) .

٣ - ولاية الاشخاص ويقصد بها ولاية الانفراد من أصحاب المذهب الاباضي ؟ وهي عبارة عن حق متبادل بين اتباع العقيدة الاباضية . ويجب أن تتواءر في الشخص الذي يتولاه الاباضية الشروط التالية :

- ١ - ان يكون اباضيا في التول والعمل .
- ٢ - ان تكون سمعته جيدة وتصرفاته مرضيبة .
- ٣ - ان يكون المكْف مقتنعاً بن الشخص المتول يستحق الولاية .  
ويمكن التتحقق من توافر هذه الشروط بالوسائل التالية :

  - ١ - الخبرة بالشخص المتول على انه موافق للاباضية في التول والعمل .
  - ٢ - الشهرة التي لا تُدفع ، اي ان يكون مشهوراً بالخير ، فمن عرفه لا يعرف عنه الا الخير والفضيلة .
  - ٣ - ان يشهد على احقيته في الولاية شخصان اباضيان عدلان .  
ويكتفى بعض العلماء بشهادة شخص واحد عدل <sup>(١٥)</sup> . ويبدو ان الاباضية كانوا احياناً يتلون شهادة المرأة . وتنذر المصادر الاباضية امثلة كثيرة تشير الى صحة هذا الرأي ، منها ما يورده الشماخي من ان ام عمروس ، احمد علماء الاباضية في جبيل نقوسة ، اووصت اليه في المهد واستخلفته ، فلما كبر وقضى وصبة والدته وجد فيها الحج ، اي الطلب منه ان يحج عنها ويدعوها لها . فسأل عمروس اقرانه من الاباضية عن احقيته والدته في الولاية ، فلم يجد من يتولاها به ( اي يشهد بأنها كانت اباضية المذهب ومن اهل الولاية ) الا امراة، فتولاها بها ، وحج عنها ودعا لها واستغفر <sup>(١٦)</sup> .

واذا تحققت ولابة الشخص، فعلى من يتولاه ان يضرره الحب في الجنان ، ويعلن الترحم والاستغفار له باللسان ، « فمتي ما ظهر من أحد الوناء بدين الله قولاً وعملاً ، فعلى من شاهد ذلك منه ولايته ، واعتقاد الحب له ، والاستغفار له ، وتحريم يغضه وشتمته وغضبه وغيته وسوء الظن به .. » <sup>(١٧)</sup> .

وتشمل ولاية الاشخاص الانواع التالية :

١ - ولابة ائمة الاباضية ، وتعتبر فريضة على كل اباضي يعيش في القطر الذي يوجد فيه الامام ، كما أنها فريضة على اي اباضي آخر يسمع بوجود الامام . وتنسحب «الولابة» ، في هذه الحالة ، على جميع الاباضية الذين يعيشون في ظلّه وينضوون تحت سلطانه . ويسمى هؤلاء : أهل العدل والاحسان ، كما تسمى بلادهم : دار العدل والحق . ويسمى الاباضية هذه الولاية بـ « ولابة البيضة » اي العاصمة او مركز الحكم . وفي ذلك يقول الجيطالي : « ولابة البيضة هي ولاية الامام العادل ، امام المسلمين (الاباضية) ومن اتبّعه على طاعة الله ، الا إن ظهر من احد ما يبرا به منه ، وذلك ان كل دار يكون اهلها الغالبون عليها هم العاملون بما جاء به التنزيل ، المتبعون لما شرعه الرسول عليه السلام ، التاھون لما نهى عنه الشرع ، الداعون الى السنة والعمل بها ، الرادون للبدعة على من جاء بها ، غير متجانفين للأقارب ، ولا متعصبين على الاجانب ؛ يتولاهم الانسان ويسيمهم أهل العدل والاحسان ، وينسب الدار اليهم فسيميها دار العدل والحق » (١٨) .

ويقول الامام افلاح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم : « اذا كان امام المسلمين (الاباضية) عدلا نكل من جرت عليه طاعته ، ورضي بحكمه ، ولم يظهر منه خلاف المسلمين ، فهو عندهم في حكمهم من الولاية ، يتولونه بعينه ، ويتوّلون جميع من في البيضة جملة وقصدا » (١٩) .

ويرى الاباضية انه لا يجوز التجاهل او الجهل بوجود الامام ؛ لمعرفة الامام واجبة على كل من يعيش في البيضة . ولا يجوز ايضا لاي فرد اباضي ان يتبرأ من احد ائمة بشهادة الشهود ، على خلاف الاشخاص الذين يتولون ويُتبرأون منهم طبقا للشروط التي شرحتها آنفا ، ومنها شهادة العدول . ويشرح الجيطالي هذه القاعدة ويقول : « اما ائمة الدين والمهدى ، وقادات المسلمين من اهل الروءة والتقوى ، فانهم يتولون عند اصحابنا بغير حجة لأنها بمنزلة الديات ..

وليس بمتزلة ولاية الاشخاص وبراعتها . الا ترى انك تنتقل من ولاية الاشخاص وبراعتها بشهادة الامانة ؟ وليس كذلك ولاية الامانة،لأنك لا تنتقل عليها بالشهود وان كثروا »<sup>(٢٠)</sup> .

ب - ولاية الخارج من الشرك الى الاسلام . يتولى الاباضية الشخص الذي يعتقد الاسلام ، ويشهد ان لا الله الا الله وان محمدا رسول الله ، ويعلن وحدانية الله تعالى وقدرته ، ويبتعد عن المعاشر والكبار . ويرى بعض علماء الاباضية ان المستجيب للدعوة الاسلامية لا يتولى حتى يبرأ من الجباية اي الحكم والسلطان غير الاباضية ، واذا لم يفعل ذلك فانهم يتوفون عن الحكم عليه »<sup>(٢١)</sup> .

ج - ولاية الخارج من مذهب اهل الخلاف الى مذهب اهل الصواب : اي ولاية المسلم الذي كان يتبع مذهبا اسلاميا معينا ثم اعتنق المذهب الاباضي . وهذه الولاية على وجهين : ولاية المتدين ، وولاية غير المتدين . ويقصد بالمتدين الشخص العالم المجتهد المتحرر في شؤون الدين ، الذي يستطيع ان يعطي رايـا فقهـا، او يـصدر فتوى في شأن من شؤون الدين . وفي هذه الحالة فعلى الشخص ان يعلن توبته عن آرائه الخاطئة ، اي التي لا تتفق مع المذهب الاباضي ، ويعلن ايضا ان مبادئ الاباضية وعقائدهم هي وحدهما التي تمثل الاسلام الحق . اذا فعل ذلك فعلى الاباضية حينئذ ان يتولوه ويعتبروه واحدا منهم »<sup>(٢٢)</sup> .

واذا كان المخالف متدينا ، ولكنه صاحب بدعة، اي انه ينادي بآراء مخالفة للعقائد الاباضية ويدعو الناس لاعتقاد ارائه، واستجاب له عدد من الناس ؛ ثم رأى خلاف ذلك واراد ان يتوب ويعتنق المذهب الاباضي ، في هذه الحالة يجب عليه – قبل ان يتولاه الاباضية – ان يذهب الى اصحابه ومن استجاب لدعوته ، ويخبرهم ان ما دعاهم اليه ضلال ، وانه ناب الى الله وعاد الى رشده ، واعتنق المذهب الصحيح ( الاباضي ) . بعد ذلك تقبل توبته ، ويتولاه الاباضية واحدا منهم »<sup>(٢٣)</sup> .

اما اذا كان المخالف متدين وكان صاحب بدعة ، ودعا اليها الناس فأضلَّ بها خلتها كثيرا ، بحيث يصعب عليه الاتصال بهم ليخبرهم عن توبته ، ويعلمهم ان ما دعاهم اليه كان ضلالا ، فعليه في مثل هذه الحالة ، ان يتوب ، ويعمل جاهدا للدعوة للمذهب الاباضي ، عند ذلك تقبل توبته ويتولاه الاباضية (٢٤) .

اما المخالف غير المتدين او ما تسميه المصادر الاباضية : المخالف المُتَلَد ، فان الاباضية يتولونه بمجرد توبته ، واعلان انضمامه اليهم واعتناقه لمبادئهم ؛ وعليه في هذه الحالة ان ينطق العباره التالية مخاطبا بها الاباضية : « انا منكم ، ولِي وليكم ، وعدوكم عدوكم » (٢٥) .

٤ - ولابة الاطفال . يتولى الاباضية الاطفال المولودين لاشخاص من اتباع حركتهم على ان يتوفّر في الطفل احد الشروط التالية :

١ - المعرفة لدى الجماعة ان الطفل ولد على فراش ابيه .  
ومعنى ذلك التيقن من ان الطفل ولد لاب اباضي .

٢ - اقرار الاب الاباضي ان الطفل ابنه اذا حضر . ويرى بعض العلماء ان شهادة الاب غير كافية ، بل يجب ان تتزوج بشهادة رجل اباضي آخر عدل ؛ وبعضهم اشترط شهادة رجلين اباضيين عدلين .

٣ - شهادة الامناء الموثقين ( الاشخاص العدول ) بان شخصا اباضيا معينا له اولاد ؛ عند ذلك تتحقق ولائهم ، حضورا كانوا ام غيابا .

اما الاطفال المخالفون فان الاباضية يتولونهم حتى يبلغوا الحلم ، ثم يجري عليهم حكم الوقوف . نذا ظهر منهم الوفاء للمذهب الاباضي تولوههم ، وان ظهر منهم خلاف ذلك تبرأوا منهم . وحكمهم في ذلك حكم آبائهم من الموحدين المخالفين .

اما اطفال المشركين فان الاباضية يتوقفون عن الحكم عليهم حتى يبلغوا الحلم ، فاذا أسلموا بعد ذلك واتبعوا المذهب الاباضي فانهم يتولون .

اما اطفال العبيد الذين يملكون شخص متولٍ، والموالى الاطفال اذا اعتنقوا المتولى، ففيهم قولان : احدهما يقول بوجوب توليهم ، والآخر يقتضي بالتوقف حتى سن البلوغ ؛ فاذا بلغوا واتبعوا الطريق القويم والمذهب السليم ( الاباضي ) فعند ذلك يتولون .

اما الطفل الذي يولد لامرأة مشركة اعتنقت الاسلام وتولاهما الاباضية، فولايته واجبة . اما اذا ولد الطفل لابوين مسلمين، احدهما اباضي والآخر غير اباضي، فان الاباضية يتوقفون عن الحكم عليه حتى سن البلوغ . فاذا اعتنق المذهب الاباضي تولوه، وان لم يتعلم تبرأوا منه . ويرى بعض العلماء ان ولابة الطفل الذي ولد لاب اباضي واجبة، باعتبار ان الولاية تورث من الاب دون الا .

ومن أصيب بعاهة الجنون في سن الطفولة فحكمه عندما يكبر حكم الطفل ، اذا كان ابوه من لهم حق الولاية فانه يتولى، وان كان مشركا او منافقا وقف عنه .

واذا ارتد الشخص المتولى من الاسلام الى الشرك فان اولاده الاطفال يبقون في منزلتهم من الولاية «<sup>٢١</sup>» .

## ٤ - البراءة

البراءة عند الاباضية تعني عكس الولاية تماما ، اي العداوة والمنبذة والبغض ووجوب الشتم واللعنة للكافر ، وعدم الترحم عليه او الاستغفار له . والبراءة فريضة على كل مكلف في حال البلوغ كالولاية « حذو النعل بالنعل » «<sup>٢٢</sup>» .

وكما ان الولاية قواعدها واحكامها فان للبراءة ايضا تواعد وأحكاما يمكن اجمالها كالتالي :

١ - براءة الجملة : وتعني وجوب البراءة من المشركين بشكل عام ؛ فعلى كل ابئني - تبعاً لذلك - أن يبرأ من أعداء الله من الأولين والآخرين من الجن والناس اجمعين إلى يوم الدين ، معروفين أو غير معروفين ، أحياء كانوا أم أمواتاً . فالبراءة من الكافرين توحيد ، والترك لشيء من ذلك شرك ، والجهل بأن الله أمر بها شرك ، والانكار لوجوبها وفرضها شرك أيضاً <sup>(٢٨)</sup> .

٢ - براءة الحقيقة أو براءة أهل الوعيد ، وتعني وجوب البراءة من أولئك الذين توعدهم الله في كتابه العزيز ، وهم المذمومون في القرآن والموصوفون بالإساءة والعصيان <sup>(٢٩)</sup> وهم قسمان : جملة وأفراد . ومن أمثلة الجملة قوم نوح ولوط وعاد وثود ، وأصحاب الرس وغيرهم من ذكرهم القرآن بالسوء . أما الأفراد فهم نوعان : مسمى مثل هامان وقارون وفرعون ، وأبي لهب . وغير مسمى مثل الذي حاج إبراهيم ، وحالة الحطب ، وامرأة لوط وغيرهم .

وبكلمة فان البراءة من جميع من نص الله عليهم بأسمائهم وأوصانهم والتباهم من الرجال والنساء المنعوتين بالإساءة توحيد ، وولايتهم شرك <sup>(٣٠)</sup> .

٣ - براءة الأشخاص . يعتقد الإباضية بوجوب البراءة من كل شخص مشهور بارتكاب الأثام والكبائر ؛ وهؤلاء نوعان : الأول يشمل أولئك الذين يرتكبون الكبائر ؛ والثانية عددهم هي الخطأ الذي يوجب الحد في الدنيا والعقاب في الآخرة، مثل: الزنا ، وشرب الخمر ، والتولي يوم الزحف، وأشباه ذلك . والثاني يشمل أولئك الذين يرتكبون الصغائر ويصررون على الاستمرار في الخطأ رغم تحذير أقرانهم لهم <sup>(٣١)</sup> .

وتحجب البراءة من الشخص اذا تحقق فيه احد الشروط التالية :

١ - ان يعترف الشخص انه اقترف احدى الكبائر ، او انه استمر في ارتكاب الصغائر مدعياً ان هذه الامور لا تتعارض مع مبادئ العقيدة .

٢ - أن يشاهد الشخص وهو مطلب باقتراف أحدى الكبائر ،  
مثل الزنا وشرب الخمر وأشباه ذلك .

٣ - أن يشهد رجلان بآشيا عدلاً من تقوم بهم الحجة  
في الولاية والبراءة على أن شخصاً ما يستحق اللعنة والبراءة «٢٢» .  
ويبدو من مطالعة المصادر الاباضية أن هذه القاعدة قد وُضعت في  
وقت مبكر جداً من عمر الدعوة الاباضية ؟ اذ تروي المصادر أن جابر  
ابن زيد (ت ٩٣ هـ) سمع رجليين من أصحابه يتحدثان حتى ذكر رجلاً  
فلعناه . فقال جابر : « لمن الله من لعنتما ، قالا : كيف تلعن رجلاً  
لم يثبت عندك لعنه ؟ فقال : واي ثبات أثبتت من اجتماعكم على  
لعنه ! » «٢٣» .

٤ - الشهادة التي لا تُدفع ، اي ان يكون الشخص معروضاً بالسوء  
شهوراً به ؟ اذ ان المشهور بالشر يُبرأ منه بغير شهادة «٢٤» .  
والبراءة من الاشخاص تكون على وجوه يمكن ذكرها كما يلى :

ا - البراءة من السلطان الجائر ؛ اي البراءة من الحكماء  
المخالفين . ولا تشمل البراءة جميع من ينضوي تحت لواء السلطان ،  
لان بعضهم قد يكون من أصحاب المذهب الاباضي ، ولكنهم اخسوا  
معتقداتهم على سبيل التقية الدينية حتى لا يطيش بهم السلطان واعوانه .  
والحقيقة ان الاباضية في طور الكتمان كانوا دوماً يعيشون تحت حكم  
«الجبابرة »، ومن هنا كانت البراءة وقنا على السلطان ومن ثبتت  
طاعته له بقناعة واخلاص . وتسمى دار السلطان دار الجبور  
والظلم «٢٥» .

ب - البراءة من المرتد من الاسلام الى الشرك . وفي هذه الحالة  
يستتاب الشرك ثلاثة أيام ، فان لم يعده الى صوابه ورشده فيجب  
ان يجاهر ويقتل ، ولكن لا تُسبّي له ذريته ، ولا يفتن له مال «٢٦» .

ج - البراءة من الخارج من مذهب اهل الحق الى مذهب

أهل الخلاف ؟ اي البراءة من كل شخص يرجع عن المذهب الاباضي الى اي من المذاهب الاسلامية الاخرى . اما اذا تمادي هذا الشخص ولم يكتف بترك المذهب الاباضي ، بل اخذ يطعن في اهله ويعيب عليهم ، فعند ذلك يوجب الاباضية قتله . يقول الجيطالي : « من خرج من مذهب اهل الحق الى مذهب اهل الخلاف ، فنولى انتمهم ، وتبرأ من ائمة المسلمين ( الاباضية ) كان واجبها على المسلمين ( الاباضية ) بغضه وعداوتة ، وخلع ولائته ، حتى يتوب ويرجع الى المسلمين ( الاباضية ) فيتولى ولائهم ويعادي عدوهم . وان خرج من مذهب المسلمين وخالفهم وطعن في مذهبهم ، وعابه منهم ، فقد حلّ قتله بأبي سبب وصلوا الى اهلاكه وقتله » <sup>(٢٧)</sup> . وقصة خردلة التي ترويها المصادر الاباضية من اوضح الامثلة على ذلك ، فقد جاء شاب اباضي الى الامام جابر بن زيد ، وساله عن افضل انواع الجهاد ، فقال الامام « قتل خردلة . وكان الشاب لا يعرفه فثاره اياه رجل من الاباضية ، فضربه بخجر مسموم فمات » وتبين على الشاب الاباضي واتي به الى الوالي فقتلته . وكان خردلة من الاباضية ، ولكن خرج عليهم واخذ يطعن في دينهم ويدلل على عوراتهم ، فاستحلّ جابر بن زيد دمه ، وتم قتله على النحو الذي ذكرناه <sup>(٢٨)</sup> .

د — البراءة من الاباضي المبتدع ، اي الذي يقول برأي ديني او فكري مخالف لما يعتقده علماء الاباضية وفتاؤهم ، ويدعوا الناس اليه ، مثل ذلك ما يرويه المؤرخ — الامام ابو سفيان من ان شخصا اباضيا من مشايخ الكوفة كان يقول بالقدر» ويدعى حمزة الكوفي؟ وقد جاء الى الامام أبي عبيدة في منزله ، فقال الامام : « من جاءك الى ؟ فقال : وإلى من اذهب يا ابا عبيدة ؟ اني اريد ان اذكرك بعض هذا الامر . قال فعليك بمنزل حاجب ( الطائي ) قال : وما اصنع به ولست حاضرا ؟ قال : فاني آتاك هناك ، قال : فخرجا حتى اتي منزل حاجب . قال : فدخلنا : البيت ، فتكلما كلاما كثيرا . مكان آخر ما سمع من ابى عبيدة ان قال : ياحمزة على هذا القول فارقت غيلان ،

قال : مخرج ابو عبيدة ، ثم كلمه حاجب . قال : فكان هيئته من حاجب اعظم من هيئته من ابي عبيدة ؟ قال : فقال حمزة : انا اخذت هذا الكلام ( اي القول بالقدر ) من عند المسلمين ( الاباضية ) قال : فقال له حاجب ، لم تدرك احدا الا وتد ادركته ولقيته الا جابر فعن من اخذت هذا القول ؟ قال : منك اخذته . قال : فقال له حاجب ثانية ارجع عنه ، فارجع عنه كما رجمت . قال : فقال ، ارق بسي يا ابا مودود واقبل مني ما اقول لك . قال : هات . قال : اقول ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ؟ فالحسنات من الله والسيئات من العباد . واقول : لا يكفي الله نفسا الا وسعها . قال : فقال له حاجب : اما من غيرك فمقبول منه هذه الجملة، وأما منك فانا اعرف مذهبك فيه اولا . قال : فخرج حمزة من عنده . قال : فسئل عنه حاجب فقال : ارتفعوا بحمزة ولا تقولوا فيه الا خيرا ؛ قال : فمكث بذلك ما شاء الله . ثم بلغهم انه مشي الى النساء فكلمن في ذلك ، والى الضعناء . قال : فلما بلغ ذلك ابا عبيدة وحاجبا ، أمر ابو عبيدة حاجبا ان يجمع له الناس ؟ فمشى اليهم واعلمهم ووعدهم ، فاجتمعوا ولا يعلمون ما يريد ابو عبيدة وحاجب . قال : فتكلم المتكلمون وحاجب ساكت لا يتكلم ! قال : فلما تكلم حاجب نحمد الله واثني عليه ، ثم قال : ان حمزة وعظية والحارث ( الشخصان الاخرين وافقا حمزة في مقالته ) احدثوا علينا احداثا، فمن آواهم او جالسهم فهو عندهما الخائن المتهم . قال : ففرق الناس وطردوهم من المجالس ولم يقربهم احد <sup>(٣٩)</sup> .

وقبل ان تنهي حديثنا عن البراءة واحكامها يجدر بنا ان نشير الى ان علماء الاباضية يوجبون استتابة الشخص قبل التبرؤ منه ، فان تاب بقى على ولايته، وان لم يفعل تبرأوا منه ؟ ويرى بعض المفكرين الاباضية ان البراءة لا تقسم الا بعد طلب التوبة ثلاثة مرات، فاما اصر الشخص على معصيته وجبت البراءة منه <sup>(٤٠)</sup> .

## ٤ - الوقف

الوقف يعني الامساك من امضاء حكم - بحق ولية شخص او مجموعة او البراءة منهم - لعدم توافر الاندلة والمعلومات اليقينية التي توجب الولاية او البراءة . ويرى الاباضية بما لذلك - ان الناس ثلاثة فرقاء : فريق علِم منه الخير ، وهو المواتنة في الدين والعمل ، وهذا هو الوسيط المستحق للولاية . وفريق علِم منه الشر ، وهو المخالفة في الدين بالقول والعمل ، وهذا هو المخلوع المستحق للبراءة والمداواة ؟ وفريق ثالث لم يُعلم منه شر او خير، وهو الموقوف عنه حتى يثبت عليه ما يوجب الولاية او البراءة «٤١» .

والموقوف عنه صنفان :

١ - كل شخص بالـ<sup>بغية</sup> لا يُعرف منه كفر ولا ايمان . فالغرض فيه الوقوف عن الحكم عليه حتى يُعرف حاله من خير او شر، فمستحق حينئذ الولاية او البراءة ؟ ومن امضى فيه حكما ، سواء بالولاية او البراءة ، بغير علم ، فهو لاشك مشرك هالك «٤٢» .

٢ - اطفال المشركين والمنافقين . وهؤلاء يجب الوقوف عن الحكم عليهم حتى يبلغوا الحلم ؟ فاذا شوهد منهم الایمان والصلاح فانهم يتولون ، وان شوهد منهم الكفر والضلال فَيُتَبَّرَا منهم «٤٣» .

ويشير العلماء الاباضية الى اشكال مختلفة من حالات الوقوف من اهمها :

١ - وقوف الدين ، او ما يسميه البعض وقوف السلام . ويعني ذلك الوقوف عن الحكم على شخص غير معروف عنه خير او شر ، كفر او ايمان . وهذا اشمل انواع الوقوف «٤٤» .

٢ - وقوف السؤال . وهو ان يقوم شخص اباضي بعمل سيء ، ويعرف عنه بعض اقرائه ذلك، فعند ذلك يجب التوقف عن الحكم عليه

حتى يسألوا أهل العلم والمرأة من مشايخ الإباضية عن طبيعة ذلك العمل وكيفية الحكم فيه . مثال : أن يرى الشخص متولياً له على معصية مثل الزنا ولا يدرى ما قول المسلمين (الإباضية) فيه . فن يأتي إليهم ويقول : بما تقولون في رجل من تقولونه رايتهونه يزني ؟ (ولا يحق له أن يقول رأيت فلاناً بالاسم ، لاته اذا فعل ذلك يرى منه لكونه رمي متولٍ لهم بكثيرة ) فإذا أخبروه أنه يُرى منه ، أما قبل السؤال وسماع الجواب من العلماء والمشايخ فإنه يتوقف عن الحكم عليه «٤٥» .

٣ - وقوف الأشكال . ويعني الوقوف عن الحكم على المتولين ، إذا تَنَسَّل أحدهما الآخر ولم يُعرف الحق من المبطل ؛ مثال ذلك ما جرى للحارث بن ثيد الحضرمي وعبد الجبار بن قيس المرادي ، اللذين تَرَعَّما الحركة الإباضية في شمال إفريقية بعد مقتل رئيسهم عبد الله بن سعدود التجيبي نحو عام ١٢٧ هـ . وقد وجِدَا متولين وسيف كل منهما مغمد في جثة صاحبه . ولما لم يتمكن الإباضية من معرفة الباغي منها على الآخر ، فقد رجع لدى العلماء الوقف على الحكم عليهما . وأصبحت هذه الحالة مثلاً يحتذى به في الحكم على قضايا مشابهة «٤٦» .

## ٤ - أهمية الولاية والبراءة في تطور الحركة الإباضية

يرى الباحث أن لنظام الولاية والبراءة الأثر الأكبر في تطور الحركة الإباضية واستمرار بقائها إلى وقتنا الحاضر ، ويمكن إجمال أهمية هذا النظام في التاريخ الإباضي في النقاط التالية :

١ - لقد ساعد نظام الولاية والبراءة اتباع الحركة الإباضية على إقامة مجتمع متوازن ، قائم على المحبة والأخوة والمساعدة . ولما كانت الولاية عند الإباضية فرضاً واجباً فاننا نرى الإباضي - تبعاً لذلك - يقدم أخاه في العقبة على أخيه في النسب . وتشير المصادر الإباضية إلى أمثلة متعددة تؤكد هذا المبدأ ، منها ما يرويه الإمام

المؤرخ الاباضي ، ابو سليمان الذي يذكر ان شخصا اياضها يدعى  
 المعتن بن عمارة جاء الى ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة التميمي ثالثي  
 ائمة الكتمان في البصرة خلال القرنين الاول والثاني المجريين – وقال  
 له : انك لأحبب الى من ابى . فقال ابو عبيدة : « هكذا ينبغي لك  
 بما معتبر ان تكون ، لانك بذلك لي ما لم تبذل له ، اي الولاية » <sup>(٤٧)</sup> .  
 وهناك امثلة اخرى كثيرة في هذا الصدد منها ما يرويه ابو سليمان ان  
 ابا الحر – احد مشائخ الاباضية في الحجاز في القرن الثاني المجري –  
 كان في المسجد جالسا في حلقة له، نقدم اخوه الحسن من العراق .  
 فاقبل يريده حتى جاء الى الحلقة فسلم على اخيه ، ولكن ابا الحر  
 لم يقم من مجلسه واكتفى بأن اخذ بيده اخيه وهو جالس ، على الرغم  
 من انه لم يره منذ فترة طويلة ! وبينما هم كذلك اطأطلاع رجل اباضي  
 من اهل عمان ، غلما نظر اليه ابا الحر هبّ قائمًا وخرج من الحلقة  
 فلتقاء وعانته وقبل صحنـتـ عنقه ورحب به ترحيبا كبيرا . فثار اخوه  
 لما رأاه ، وعاتب ابا الحر على الاستقبال الفاتر الذي أبداه نحوه  
 مقارنة بما فعل مع ذاك الاباضي العماني . فقال ابا الحر « مودة هذا  
 ( اي الاباضي العماني ) على غير مودتك ! لأن مودة هذا على الدين  
 والولاية ، أما مودتك فعلى النسب » <sup>(٤٨)</sup> .

ولم تنتصر المودة والمحبة بين اتباع الحركة الاباضية على مثل  
 هذه المظاهر التي اشرنا اليها ، بل تعدتها الى التواحي العملية الاخرى ؛  
 فقد كان الاباضية الاغنياء يتسابقون في مذلة يد العون للمتولى الفقير  
 منهم . وهناك امثلة كثيرة في هذا الشأن تزخر بها المصادر الاباضية ؛  
 منها ما يقوله ابو سليمان : « سمعت بعض مشائخ من ادركت يقولون :  
 انا لنذكر اذا دخل شعبان ، إن كان الفقراء من المسلمين ( الاباضية )  
 لتأتيهم الاحمال بالسوق والتبر وما يصلحهم لشهر رمضان ، ولا يعلمون  
 من بعث بهما . يأتي الرجل بالجمل حتى يقف به على باب الدار  
 فيقول : ادخل ، فنكتب في خرمة كلوا واطعموا » <sup>(٤٩)</sup> . ويرى ان  
 شخصا من الاباضية يدعى دبـالـ بن زـيدـ « كان يستاجر الاكسية فـسـىـ

البرد الشديد .. بلـف درهم او اقل او اكـثر ، وليس عنده منها شيء ، وانما يتكلـل على الله ، وعلى المسلمين ( الاباضية ) ثم يفرقـها بين الفقراء، ويجمع ثمنـها بعد ذلك من اغـنياء المسلمين ( الاباضية ) وكرـمـائهم « ١٠ ». وكان الداعـيـة الـاـبـاضـيـة ، ابو الحـرـ ، موسـرا جـداً ، وتأثـيرـه غـلـطـه سنـوـيـاً « فيـقـسـمـها نـصـفـين ، فـيـنـقـرـقـ نـصـفـها فـيـ قـتـراءـ المـسـلـمـين ( الـاـبـاضـيـة ) وـفـيـ مـعـاـونـتـهـمـ » ١١ . ولمـ تـقـتـصـرـ الـوـالـاـةـ بـيـنـ اـتـيـاعـ الـمـذـهـبـ الـاـبـاضـيـ علىـ الـاحـيـاءـ مـنـهـمـ بلـ تـعـدـتـهاـ إـلـىـ الـامـوـاتـ . فـاـذاـ كـانـ الـمـيـتـ مـتـولـيـ لـهـمـ وـمـاتـ وـعـلـيـهـ دـيـنـ ، فـاـنـ اـصـحـابـ يـتـسـابـقـونـ فـيـ دـفـعـ الـدـيـنـ عـنـهـ . يـقـوـنـ اـبـوـ سـفـيـانـ : « مـاتـ حـاجـبـ وـعـلـيـهـ دـيـنـ مـتـنـانـ وـخـمـسـونـ فـاـ اوـ اـكـثـرـ ( درـاـهـمـ ) قـالـ : فـدـخـلـ قـرـةـ بـنـ عـمـرـ وـجـمـاعـةـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ لـيـغـسلـوـهـ . . . . فـقـالـ لـهـمـ قـرـةـ : يـاـ قـوـمـ ، مـاـ تـقـولـوـنـ فـيـ دـيـنـ هـذـاـ الرـجـلـ ؟ فـأـبـتـدـرـ ثـلـاثـةـ رـجـالـ ، وـقـرـةـ رـابـعـهـمـ ، وـضـمـنـواـ دـيـنـهـ . وـدـخـلـ الـفـضـلـ بـنـ جـنـدـبـ » وـكـانـ مـنـ خـيـارـ الـمـسـلـمـينـ ( الـاـبـاضـيـةـ ) وـكـانـ مـوـسـراـ مـاـخـبـرـوـهـ ، فـقـالـ لـهـمـ الـفـضـلـ : دـيـنـهـ عـلـيـهـ دـوـنـكـمـ حـتـىـ اـعـجـزـ عـنـهـ ، وـلـاـ يـقـىـ لـيـ مـالـ » ١٢ .

وهـكـذاـ فـاـنـ نـظـامـ الـوـلـاـيـةـ وـمـاـ يـوجـبـهـ مـنـ مـسـاـعـدـةـ وـمـؤـازـرـةـ وـمـؤـاخـاةـ قدـ جـعـلـ مـنـ الـجـمـاعـةـ الـاـبـاضـيـةـ أـسـرـةـ وـاحـدـةـ مـتـمـاسـكـةـ مـتـضـامـنـةـ تـسيـطـرـ عـلـىـ اـفـرـادـهـاـ رـوـحـ الـمـحبـةـ وـالـمـسـودـةـ وـالـتـنـانـيـ فـيـ خـدـمـةـ الـعـقـيـدـةـ وـالـمـؤـمـنـيـنـ بـهـاـ .

٢ - لقد اـدـىـ نـظـامـ الـوـلـاـيـةـ وـالـبـرـاءـةـ إـلـىـ أـنـ يـتـخـذـ الـاـبـاضـيـةـ مـوقـفـاـ مـتـعـنـتاـ جـداـ مـنـ الصـحـابـةـ الـاـوـاـئـلـ ، فـأـنـكـرـواـ أـنـ بـعـضـهـمـ مـبـشـرـ بـالـجـنـةـ ، وـكـثـرـواـ آخـرـينـ كـثـرـ نـعـمـةـ وـلـيـسـ كـثـرـ شـرـكـ ، وـتـبـرـواـ مـنـهـمـ ؟ كـمـاـ فـعـلـواـ مـعـ عـثـمـانـ وـعـلـيـ وـطـلـحـةـ وـالـزـبـيرـ ( رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ ) وـغـيـرـهـمـ » ١٣ .

٣ - ساعـدـ نـظـامـ الـوـلـاـيـةـ وـالـبـرـاءـةـ الـاـبـاضـيـةـ فـيـ شـمـالـ اـفـرـيـقـيـةـ عـلـىـ الـمـاحـنـظـةـ عـلـىـ عـقـيـدـتـهـمـ رـغـمـ التـحـديـاتـ الـكـثـرـةـ الـتـيـ تـعـرـضـوـنـ لـهـاـ مـنـذـ سـقـوـطـ الـدـوـلـةـ الرـسـتـمـيـةـ الـاـبـاضـيـةـ عـلـىـ أـيـدـيـ الـفـاطـمـيـنـ نـحـوـ ٩٧٥ـهــ .

ويبدأ من التخاذل واليأس والخضوع لخالبيهم فتند انسحب الاباضية الى مناطق نائية، واستغلوا مبدأ الولاية والبراءة الى ابعد الحدود، وأقاموا مجتمعات اباضية متماشكة، تسودها المحبة وتنسيطر عليها روح الجماعة .

وأنشأوا هيئة العزابة التي تشبه في مهماتها وسلطاتها مهمات مشايخ البصرة في طور الكتمان، ابان القرنين الاول والثاني المجريين (٤٤) . وكانت العزابة تقوم بالاشراف الكامل على شؤون المجتمع الاباضي طيلة عدة قرون . وكان شيخ العزابة يطبقون الاحكام على جميع الافراد « دون ان يشذ منهم شاذ ، او يتکبر عليهم متکبر » . وكان سلاحهم في تنفيذ احكامهم مبدأ الولاية والبراءة . ولو لا هذا المبدأ لظهر الترد عليهم والاستنكار لهم (٤٥) .

#### د. عرض خلصات

## الهوامش :

- ١١) حول مزيد من التفاصيل من معانٰي الولاية ، النظر ، ابن مثبور ، قسان العرب ، بولاق ، ١٣٠٧هـ ، ج ٢٠ ، من ٢٨٧ وما بعدها .
- ١٢) أبو دلم ، العيسى ، ج ١ ، من ٩ (نثلاً عن يوسف خليد ، الشعراء الصالحة في مصر الجاهلي ، من ٦٢ ، ملاحظة رقم ٦١) .
- ١٣) مصر السابق ، ج ١ ، من ٦٤ .
- ١٤) يوسف خليد ، الشعراء الصالحة في مصر الجاهلي ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، من ٨١ - ١٠٢ .
- ١٥) ابن هشام ، الصبيحة ، تحقيق مصطفى السقا وزملائه ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ج ١ ، من ٤٥٠ .
- ١٦) ترد في القرآن الكريم آيات كثيرة تأمر المسلمين بموالاة بعضهم بعضاً والبراءة من أعدائهم وان كانوا أقرب الناس اليهم . بذلك قوله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعدهم أولياء بعض » . سورة التوبة آية ٧١ ، وقوله تعالى : « لَا تنتظروا آباءكم وأخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الإيمان ، ومن يتولهم منكم ناولنّك هم الظالمون » سورة التوبة ، آية ٢٢ .
- ١٧) في شأن مولاهم الثلاثة قال الله على النبي والماجرين والاتصار الذين اتبعوه في سامة السرقة من بعد ما كاد يزيح ثلوب طريق منهم ثم ناب عليهم انه بهم رأوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلّوا حسناً اذا شاءت عليهم الارسال بما رجحت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه . ثم ناب عليهم ليذريو ان الله تواب رحيم » سورة التوبة ، آية ١١٦ - ١١٧ .
- ١٨) حول النظمي السري البابسي في القرنين الاول والثانى المجرين انظر كتابنا : نشأة الحركة البابسية ، من ٨٦ وما بعدها .
- ١٩) شماخى : سمير ، من ١١١ - ١١٢ .
- ٢٠) جيطالى ، قواعد الإسلام ، المطبعة البارونية ، ١٢٩٧هـ ، من ٤٧ .
- ٢١) شماخى ، شرح عقيدة التوحيد ، القاهرة ، ١٢٥٣هـ ، من ٦٤ ، ٦٦ ، ٤٨ ، ٨٢ ، ٨٤ - ٨٦ ، ٦٩ ، ١٢٥٢هـ ، من ٦٩ ، جيطالى ، قواعد الإسلام ، من ٤٢ - ٤٤ .
- ٢٢) جيطالى ، قواعد ، من ٤٢ .
- ٢٣) شماخى ، جيطالى ، قواعد ، من ٤٢ .
- ٢٤) شماخى ، شرح عقيدة التوحيد ، من ٦٥ ، عمرو بن جمیع ، عقيدة التوحید ، من ٦٤ ، جيطالى ، قواعد ، من ٤٢ .
- ٢٥) جيطالى ، قواعد ، من ٤٤ .

- (١٥) شناخى ، شرح مقدمة التوحيد ، من ٧٢ ، جيطالى ، قواعد ، من ٤٤ - ٥٣ .
- (١٦) شناخى ، سىرى ، من ٢٢٨ ، انظر ملأ آخر من ٤٤ - ٢٢ .
- (١٧) جيطالى : قواعد ، من ٤٨ - ٩ .
- (١٨) المصدر نفسه ، من ٤٤ - ٤٥ .
- (١٩) اليمان اللح ، جوابات ، ق ٢ ، من ٥ (ثلاثة من نسخة مصورة يملكتها الاستاذ محمد المغرسى) .
- (٢٠) جيطالى ، قواعد ، من ٥٤ .
- (٢١) المصدر نفسه ، من ٦٦ ، شناخى ، شرح مقدمة التوحيد ، من ٧٢ - ٧٣ .
- (٢٢) جيطالى ، قواعد ، من ٧ .
- (٢٣) المصدر نفسه .
- (٢٤) المصدر نفسه ، من ٨ .
- (٢٥) المصدر نفسه ، من ٧ .
- (٢٦) من ولاية الاملاك انظر ، جيطالى ، قواعد ، من ٥٠ - ٥٣ ، شناخى ،  
شرح ، من ٧٥ .
- (٢٧) جيطالى ، قواعد ، من ٥٦ ، شناخى ، شرح ، من ٨٨ ، على يعني بغير ،  
الاباضية في موكب التاريخ ، ج ١ ، من ٨٦ .
- (٢٨) جيطالى ، قواعد ، من ٥٦ - ٥٧ ، صفو بن جميع ، عقيدة التوحيد ،  
من ٧٤ - ٧٥ .
- (٢٩) صفو بن جميع ، عقيدة التوحيد ، من ٧٥ .
- (٣٠) شناخى ، شرح مقدمة التوحيد ، من ٧٥ ، جيطالى ، قواعد ، من ٥٨ ، صفو  
بن جميع ، عقيدة التوحيد ، من ٧٦ .
- (٣١) السالى ، مشارق أنوار العقول ، القاهرة ، ١٢١٤ھ ، من ٢٧٠ وما بعدها ،  
من ٣٧٨ - ٤٨٠ .
- (٣٢) المصدر السابق ، من ٢٨٠ ، جيطالى ، قواعد ، من ٦٦ - ٦٢ .
- (٣٣) الدرجىنى ، ج ٢ ، من ٢١٢ ، شناخى ، سىرى ، من ٧٢ .
- (٣٤) جيطالى ، قواعد ، من ٦٢ (من ابن المؤذن) .
- (٣٥) المصدر نفسه ، من ٥٨ .
- (٣٦) المصدر نفسه ، من ٥٩ .
- (٣٧) المصدر نفسه ، من ٦١ .
- (٣٨) شناخى ، سىرى (من ٧٥ - ٧٦ ، الحارثى ، المقدى النفيضة ، من ١٠١ - ١٠٢) .

- (٣٩) الدرجبي ، ج ٢ ، من ٤٤٤ .
- (٤٠) المصدر السابق ، من ٢٨١ (من ابن سليمان) ، جيطل ، قواعد ، من ٦٢ - ٦٦ .
- (٤١) جيطل ، قواعد ، من ٦٩ .
- (٤٢) المصدر نفسه .
- (٤٣) السالمي ، مطرق ، من ٢٨٢ وما بعدها .
- (٤٤) المصدر نفسه ، من ٣٧٤ .
- (٤٥) المصدر نفسه ، من ٣٧٢ ، جيطل ، قواعد ، من ٧١ .
- (٤٦) أبو زكريا ، المسجية ، مخطوط ، ورقة ٩ ، البرادي ، الجواهر ، من ١٧٠ .  
شماخى ، سمير ، من ١٢٥ .
- (٤٧) الدرجبي ، ج ٢ ، من ٤٤٥ .
- (٤٨) المصدر نفسه ، من ٣٧٢ .
- (٤٩) شماخى ، سمير ، من ١١٤ .
- (٥٠) المصدر نفسه ، من ١١٤ .
- (٥١) المصدر نفسه ، من ١٠١ .
- (٥٢) الدرجبي ، ج ٢ ، من ٤٥٠ .
- (٥٣) الطهاني ، الكشف والبيان ، مخطوط ، ورقة ٨٥ - ١٠٦ ، الأزكي ، كشف الفمه ،  
مخطوط ، ورقة ١١٢ وما بعدها ، البرادي ، الجواهر ، من ٥٢ وما بعدها ،  
شماخى ، سمير ، من ٢٠ وما بعدها ، انتظركابنا ، نشأة الحركة الإلحادية ،  
من ٥٧ - ٦٢ ، ٦٢ - ١٧٢ - ١٨٠ .
- (٥٤) يقوم المؤلف بأعداد بحث عن نظام المزابة سوف ينشر في مجلة المارخ العربي التي  
تحدرها الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب في بغداد .
- (٥٥) على يحيى سمر ، الإلحادية في موكب التاريخ ، ج ١ ، من ١٠٨ - ١٠٩ .

# **الباحثون الإيطاليون ودراسة التاريخ العربي للمستعرب الإيطالي الأستاذ أومبرتو ريسستانتو**

**ترجمة عن الإيطالية : عيسى الناعوري  
( المؤمن العام لمجمع اللغة العربية الأوروبية )**

## **تمهيد**

**هذه المراجعة الموجزة لمشاركات الباحثين الإيطاليين في حقل ( التاريخ العربي ) خاصة ، لا تشمل الاشارة الى المؤلفات ذات الطابع السياسي والديني ، لأن ذلك أكثر اتصالا بموضوع الاسلام بحدوده الواسعة — والدراسات الاسلامية تدخل في نطاق ما يدعى باسم « الاستعراب الاسلامي » ، الواسع الاستعمال — غير أن وجود فصل في هذا البحث حول ( الدراسات الاسلامية ) ، كان القصد منه ان يحول دون اي تحديد لا ارادي قد يقع عند الحديث عن حضارة — كالحضارة العربية الاسلامية — كثيرا ما يتغذى منها فصل المسيرة التاريخية عن تطور المقيدة ونهاها .**

وبالنسبة الى الاساس الذي سرنا عليه في تقديم المعلومات هنا ، نذكر انه ، من اجل ترتيب افضل لهذا البحث ، كان لا بد من الشخصية بالترتيب التاريخي للمشاركات الفردية المختلفة ، حفاظا على تسلسل الفترات التي ألقنا تحديدها زمنياً ، واعني ان تلك الفترات التي تبدأ بالمهد الجاهلي ، ثم تمر بالنبي محمد ، وخلفاته الراشدين الاربعة ، والخلانة الاموية ، ثم العباسية ، الى سقوط الخلافة في

بغداد عام ١٢٥٨ ، قد تلاها الانحطاط ، او الركود ، الذي غلب على  
العرب حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حين بدأت في  
بعض الاتمار العربية ، الاميرية والاسيوية، تباشير عهد النهضة .  
ومنذ مصر النهضة يتوقف حديثنا .

• • •

## حُولياتِ الإسلام :

في الوقت الذي تتناوله مراجعتنا الموجزة هذه ، من حيث الترتيب  
الزمني ، تَبُرُّز بين المستعربين الإيطاليين والأوروبيين شخصية عاملة ،  
هي شخصية ليوني كاثيتاني . ففي الأعوام التي تَلَت الحرب العالمية  
الأولى مباشرة ، نجده ينصرف من جديد إلى عمله في (حُولياتِ الإسلام )  
التي كان قد انقطع عنها بتطوعه في الجيش . ونحن نحيل من يُوَدُون  
معونة شيء عن أسرة كاثيتاني الشهيرة ، وابنها العبرى الفذ ،  
إلى كتاب فرانشيسكو غورييلي (آخر آل كاثيتاني )، كما نقترح على  
من يدفعهم الفضول إلى معرفة البنية التي ولَّت وتطرَّقت فيها تلك  
(الحوليات) أن يقرأوا — إن لم يقرأوا بعد — الصفحات الرائعة  
 ذات الطعم الفسقى ، التي كرسها جورجييو ليفي ديلا في كتابه  
(ستف الحوانيت المظلمة) ، ففي هذا الكتاب اهتمَ ذلك العالم باللغات  
السامية والمورخ الشهير للإسلام ، بالاصالة والدقَّة اللتين عُرِفت بهما  
أبحاثه ، بآن يُبَرِّز المزايا العديدة والهَنَاتِ الضئيلة لعمل كاثيتاني الجبار ،  
وللتقطاج العبيقة والحواشي النَّفَرَة التي أَلْتَمَّ معا تحليلاً ناقداً من أدق  
الاعمال التحليلية وأصوبها . وقد أوصله إلى ذلك اطلاعه التاريخي والديني  
العجبـ، وكذلك ما لا يجوز إغفاله من أنه كان ، هو وبعض المستعربين  
الآخرين ، بين الذين تعاونوا في العمل مع كاثيتاني تعاونا فعلاً . ولهذا نرى  
أنَّ من الأداء الذي لا يُفْتَرَ أنَّ حاول اضافة شيء أفضل أو أكثر مما  
جاء في الكتابين المشار إليهما ؛ ونعترف باستحالة نمحض كل محتويات  
(الحوليات) ، لأنَّ هذا لا يستطيعه إلا من قرأه كاملاً كلَّ  
الصفحات الـ ٧٠٠ من تلك الحوليات . ولذلك نكتفي بأن نذكر  
في هذا المقام ضمن آية حدود زمنية وتاريخية يجري القسمُ الأكبرُ

من عمل ذلك المؤرخ ، دون أن تتفاضلى عن إبراز بعض مزاياه الكثيرة ، رغم ما نخشأه ، بل نحن واثقون منه ، من تكرار معاً أحسنَ كتابتهُ لبني ديلاً فيداً وغبريلسي .

ونحن نتفق تماماً مع لبني ديلاً فيداً في اعتبارنا أنه « اذا كانت أولى نوایسا کائیناتي التفكير في جعل عمله يقتصر على جمع المواد وعرضها ، فهو خلال ذلك قد شعر بداعم لا يقاوم الى التمحص والبناء ، ناضف بذلك الى عمل جامع الواقع ، عمل المؤرخ ». والواقع انه منذ الجزء الاول الخاص بتاريخ العرب في الجاهلية ، وتنقسم لا يأس به من سيرة الرسول ، بدا جلياً ان کائيناتي كان يعتزم ان يجعل عمله اكتر اتساعاً واحاطةً مما كان العنوان يسمح بافتراضه . وهذا التحييم لل المصادر الذي التزم به المؤرخ منذ البداية ، ازداد دقة في الأجزاء التالية التي زودها بكثير من التنبیهات الصغيرة والمفيدة ، وذات الطابع البنائي . ولقد شجعه ما لقيه من تأييد كبار الباحثين ، ولم يُبْطِّل همه ما لقيه أحياناً من النقد الذي لا بدّ منه . ومضى کائيناتي يعمل بهمة نشطة وحماسة متواصلة في نشر الجزء الثالث والرابع ، وهو يزداد يقيناً من ان الخطّة الجريئة التي اخْطَطَها ليجمع في عشرة اجزاء احداث ما يزيد عن ٩٠٠ سنة من التاريخ ( اي حتى احتلال العثمانيين لسوريا ومصر ، سنة ١٢٩ هـ ١٥١٧ م ) . كان لا بدّ من تعديلها تعديلاً أساسياً . وقد عَبَرَ عن تلك الضرورة بصرامة فسي بتهمة الجزء الخامس حيث يقول : ( ان وفرة المواد تستلزم في تلب التوقعات المتكررة حول عدد اجزاء الحوليات . . . وسيجد البعض حجة لانتقاد البعد الذي ما تقدّم تأخذها . . . لأن استمرار العمل على قاعدة شديدة الاتساع ، يزيد من صعوبة إنجازه . . . ) .

وبتبّع کائيناتي تصريحه هذا بتوّقع ، لا شك في انه اكتر واتعية من ذلك الذي سبق ان تكون لديه حين شرع في تنفيذ تلك المهمة الموسوعية ، وهو انه من الممكن ان يصل بعشرين مجلداً أخرى الى نهاية العهد الاموي . « لقد عملت حساباً — كما يقول بعده — بانتهى

لو استطاعت الثقة من ان اعيش عشرين عاما اخرى من العمل الجاهد ، وبالمساعدة النشيطة التي يقدّمها لى بعض المعاونين القديرین ، فلربما استطعت ان أتّسّدم للطبع نحو عشرين كتابا مثل تلك الكتب التي صدرت حتى الان . . . مستمراً على غرار تلك الكتب السابقة دون تغيير في الطريقة او النوع . ان النتيجة واضحة : نحیاة انسان بكلماتها ، اذا كُرِّست لهذا العمل ، قد تبلغ بالحوالیات الى بداية الخلافة العباسية فقط ، دون ان تمثّل كلّ عصور التاريخ الاخرى . . . لهذه الاعتبارات وساهاها ، مما أربّع القارئ من سرده ، توصلت الى ان أقرّ الشروع في طبع كتاب آخر ، تكميلي ، او على الاصح ، مُكَمِّل ، يكون الصورة او الشكل التحليلي تقريبا للعمل الاكبر . . . ومن هناك نشأت ( الواقع الاسلامي ) التي استُخدِّمت فيها ، في موجزات اخبارية ذات صلة بتاريخ الشعوب الاسلامية ، الجرارات التي لا عَدُ لها مما جمعه خلال إعداده لعمله الكبير . غير ان كاتبتياني لم يستطع ، حتى مع هذه المهمة الجديدة التي وقَّتْتْ عند عام ١٤٤ هـ / ٧٦٢ م ، ان يتحقق ما كان قد حَرَم امره عليه من الوصول الى حدود عام ٩٢٩ هـ / ١٥١٧ م ، كما كانت تنيّته الحازمة ، بل ظلَّ ذلك مرّة اخرى طموحاً وهبياً . ولم تكن اقلَّ وَهْما كذلك . كما تجلّى بعدئذ في ما يتعلّق بالحوالیات — نوّعات المؤرخ حول ( الواقع ) ، شأنه لم يُكمل بعده ذلك من عمل العظيم اكثر من خمسة اجزاء اخرى ، بلغ معها العمل الى الجزء العاشر ، الذي وصل الى سنة ٤٠ هـ / ٦٦١ م ( نهاية خلافة علیي ) . وهذا يعني اقلَّ من ثلث ما كان قد خَطَّط له بجرأة حماسية .

ان هذه الحوالیات ، التي اعاد كاتبتياني نشر بعض موادها في جَرَأِي كتابه ( دراسات في التاريخ الشرقي ) ، سرعان ما لقيتْ تقدير الاوساط العلمية الاستعمارية وغيرها ، في ايطاليا وفي الخارج ، وليس نقط للعمل الجبار في جمع اكثر من مئة وخمسين مرجعاً تاريخياً ، وتاريخياً ادبياً ، وفَرْزاًها ( واغلبها ما يزال غير مطبوع ) بل لاعتبارها ايضاً مرجعاً لا مثيل له في الحقيقة ، لمعرفة العهد الاسلامي الاول ٠

وللاعتبارات النقدية والتمحيمية العديدة ، والحسن العقري ، والفرضيات المغربية المبنية في ثنايا ترجمات النصوص أو تلخيصاتها . ولئن كانت موافقُ الباحث المتساهلة جدًا مع الإيجابية التاريخية ، ونَفَّذَهُ العتيد لقيمة الابحاث التاريخية التقليدية في شؤون الإسلام ، لم تُلْقِ أصداءً حسنة لدى المختصين ، فـان هؤلاء انفسهم ، حتى في عدم اتفاقهم معه ، قد أبدوا اعجابهم الشديد بمواهبه ومقدراته العلمية ، واثنوا دائمًا على المتابرة والداب اللذين أبداهما في قيامه بذلك المهمة التاريخية ، مُشيدِين بنشاطه في التنقيب التاريخي ، وعكوفه على البحث الدائب ؛ تاهيك بالثناء على الروح التي تَطَّلَّ بما في إعادة صياغة المادة الخام التي كان يعثر عليها .

لختام هذا الحديث نضيف إلى ما تقدم أن ( حوليات الإسلام ) ، حتى في نوتها المحدود في هذه الواقع باجزائها العشرة ، قد رأيت الاعتبار والنضل إلى الدراسات العربية والاسلامية في إيطاليا ، بعد أن فقدت قيمتها الصحيحة في حقل حوليات التاريخية منذ ( حوليات الإسلامية ) العشوائية التي كان قد جمعها ( ج . رابولدی - ميلانو ١٨٢٢ - ٢٥ ) والتي لا يستطيع حتى النقد المتساهل أن يُضفي عليها ولو قيمةً ضئيلة من الاصالة .

وفي سنة ١٩٢٦ ، سنة ظهور الجزء الأخير من حوليات ، كان قد صَعَّ عزم كاثيتاني على مغادرة إيطاليا ، لاسباب مختلفة . وقد نَفَّذَ عزمه ذاك ، ولكن بعد أن تقرر أن يَمْهُد بمئولاته ومواده الدراسية الأخرى إلى ( مؤسسة كاثيتاني ) التي أنشئت في الأكاديمية الإيطالية ( أكاديمية النهود ) وكان الغرض من ذلك رغبته في أن يهييء للباحثين الآخرين الشهادات الناطقة بتكريس عشرين سنة من عمره لدراسة التاريخ العربي . وربما كان يأمل - أملًا لم يتم ، مع الأسف - أن يقوم غيره بكمال عمله .

## مع التسلسل التاريخي :

ونمضي نحو المدف الذي رميـنا اليـه وأعـربـنا عنـه في ما تقدـم ، من أن نـسـترـ في دراستـا السـريـعة ، مـتـوـخـين قبل كلـ شـيـه تـبـشـعـ الأـحـادـثـ التـارـيـخـيـة ، فـنـرىـ منـ الـمـنـاسـبـ أنـ نـبـداـ بـإـلـبـازـ الـأـعـمـالـ الـتـيـ نـجـدـ فـيـهاـ جـمـيعـ قـرـونـ التـارـيـخـ الـعـرـبـيـ الـلـلـاـثـةـ عـشـرـ ، أوـ الـأـرـبـعـةـ عـشـرـ ، أوـ قـسـماـ كـبـراـ مـنـهاـ مـوجـزـةـ فـيـ روـيـةـ اـجمـالـيـةـ . وـمـنـ هـذـهـ نـسـتـدـلـ عـلـىـ المـنـشـورـاتـ الثـانـيـةـ الـجـديـرـ بـالـاعـتـباـرـ ، وـالـتـيـ تـقـومـ الـجـديـرـ الـعـلـمـيـةـ ، وـنـقـائـةـ الـمـؤـلـفـينـ الـواـسـعـةـ ، ضـمـانـةـ كـانـيـةـ لـصـلـاحـهـ وـاهـلـيـهـاـ .

أولُ محاولة لجمع تاريخ مثل هذا العدد الكبير من القرون ضمن حدود ضيقـةـ ، قـامـتـ بـهـاـ السـيـدةـ لاـورـاـ فـيـتشـياـ فالـبـيرـيـ . فـنـسـيـ الفـصلـ الـذـيـ عـقـدـتـهـ عـلـىـ (ـالـعـرـبـ)ـ وـالـمـنـشـورـ فـيـ كـتـابـ (ـحـضـارـاتـ الشـرـقـ)ـ ، وـضـعـتـ خـطـوطـاـ لـرـسـمـ سـرـيعـ وـكـامـلـ لـتـارـيـخـ ذـلـكـ الشـعـبـ ، وـاسـتـطـاعـتـ انـ تـجـرـدـ التـارـيـخـ مـاـ لـاـ حـاجـةـ يـهـ فـيـ مـثـلـ هـذـهـ الـابـحـاثـ التـارـيـخـيـةـ . وـكـانـ اـهـمـ مـنـ ذـلـكـ كـثـيرـ اـهـتمـمـ مـسـتـعـرـيـتـاـ هـذـهـ فـيـ كـتـابـهـاـ (ـالـاسـلـامـ)ـ ، مـنـ مـحـمـدـ إـلـىـ الـقـرـنـ السـادـسـ عـشـرـ)ـ بـاـنـ لـاـ تـسـتـعـرـضـ تـارـيـخـ الـعـرـبـ فـحـسـبـ ، بلـ تـوـجـزـ خـصـائـصـ الـاسـلـامـ التـارـيـخـيـةـ ، وـالـدـينـيـةـ ، وـالـقـانـونـيـةـ ، وـكـذـلـكـ الـادـبـيـةـ وـالـفـنـيـةـ . اـنـهـ لـدـرـاسـةـ وـاسـعـةـ لـلـعـالـمـ الـاسـلـامـيـ ، دـوـنـ اـسـتـنـاءـ لـعـنـاصـرـ الـفـارـسـيـةـ ، وـالـبـرـيـرـيـةـ ، وـالـتـرـكـيـةـ . وـهـذـهـ الـدـرـاسـةـ تـجـدـ خـاتـمـاـ الـمـنـطـقـيـ فـيـ بـدـايـةـ الـقـرـنـ السـادـسـ عـشـرـ ، فـنـظـقـيـ زـمـنـيـاـ بـعـيـثـةـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ الـمـتوـسـطـيـ . وـهـذـاـ مـاـ لـمـ تـسـتـطـعـ اـنـ تـصـلـ يـهـ (ـحـولـيـاتـ الـاسـلـامـ)ـ ، كـمـاـ اوـجـزـنـاـ فـيـ مـاـ تـقـدـمـ .

اماـ فـرانـشـيـسـكـوـ غـبـرـيـيلـيـ ، الـذـيـ سـتـتوـالـ فـيـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ الـاـجـمـالـيـةـ وـفـيـ غـيرـهـاـ الـاـشـارـاتـ الـىـ جـهـودـهـ الـجـبارـةـ فـيـ حـقـلـ الـدـرـاسـاتـ الـاـسـتـعـرـابـيـةـ ، وـالـاسـلـامـيـةـ ، وـالـفـارـسـيـةـ ، فـنـدـ صـادـفـ بـكـلـ جـدـارـةـ نـجـاحـاـ كـبـراـ بـكـتابـهـ (ـالـعـرـبـ)ـ ، الـذـيـ يـسـتـحـقـ التـقـدـيرـ الـكـبـيرـ لـحـسـنـ تـوزـيـعـهـ لـلـمـوـادـ ، وـوـضـوـعـ عـرـضـهـ حـتـىـ لـلـاـحـادـثـ الـعـرـبـيـةـ الـتـيـ لـاـ يـتـاحـ الـوـضـوـحـ فـيـ عـرـضـهـاـ اـلـلـقـلـيـةـ مـنـ الـمـنـقـوـتـيـنـ ، وـكـذـلـكـ لـبـعـضـ الـمحـكـتـ

الشخصية التي لا يصل اليها بسهولة غير العالم المتخصص . ومزايـاـ هذا الرسم الجانبي الكامل للتاريخ ، المرسوم في ضوء رؤية دوّوبـةـ مـحـصـةـ نـقـادـةـ ، من اـتـدـمـ العـصـورـ الىـ ايـامـناـ هـذـهـ ، يـؤـكـدـهاـ انـ هـذـاـ الكـتـابـ سـرـعـانـ ماـ تـرـجـمـ الىـ الـاـنـكـلـيـزـيـةـ وـالـفـرـنـسـيـةـ وـالـلـاـنـيـةـ .ـ وـلاـ يـخـتـلـفـ عنـ هـذـاـ الكـتـابـ ، منـ حـيـثـ التـقـسـيمـ التـارـيـخـيـ ، كـتـابـ اـخـرـ هوـ (ـالـعـربـ)ـ ، منـ حـيـثـ الـعـصـرـ الـجـاهـلـيـ الىـ الـيـوـمـ)ـ ، لـأـوـبـرـتوـ رـيـسـتـانـوـ .ـ فـبـعـدـ اـسـتـعـراـضـ وـافـيـ لاـ بـدـ مـنـ لـلـاحـدـاتـ التـارـيـخـيـةـ الـعـرـبـيـةـ مـنـ الـوـثـقـيـةـ الـىـ الـعـصـرـ الـحـدـيـثـ ، نـجـدـ اـحـدـ الـظـرـوفـ وـالـشـؤـونـ الـعـرـبـيـةـ مـعـروـضـةـ عـرـضاـ وـافـيـ ، وـمـنـهـ مـاـ لـاـ يـزالـ الـىـ الـيـوـمـ يـفـرـضـ نـفـسـهـ عـلـىـ اـهـتـامـ الـعـالـمـ الـفـرـسـيـ -ـ غـيرـ الـوـاعـيـ دـائـنـاـ ، معـ الـأـسـفـ -ـ .ـ وـاـخـرـاـ سـنـذـكـرـ فيـ هـذـاـ عـرـضـ السـرـيعـ للـلـامـ الشـاملـ لـلـاحـدـاتـ الـشـعـبـ الـعـرـبـيـ التـارـيـخـيـ ، اـنـ لـفـظـةـ (ـعـربـ)ـ وـالـفـقـرـاتـ الـخـاصـةـ بـعـلـمـ الـأـعـرـاقـ ،ـ وـبـتـارـيخـ اـسـمـ (ـالـجـزـيـرـةـ الـعـرـبـيـةـ)ـ ، فيـ (ـدـائـرـةـ مـعـلـفـ تـرـيـكـانـيـ)ـ قدـ حـرـرـهـاـ جـوـرـجـيوـ لـيـنـيـ دـيـلـاـ فـيـداـ ،ـ وـهـيـ تـحـمـلـ الـخـصـائـصـ الـمـتـبـيـزةـ لـلـمـلـوـمـاتـ السـرـيعةـ الـحـسـنـةـ التـبـوـبـ ،ـ وـالـتـيـ لـاـ تـعـرـفـ التـعـيـمـاتـ السـهـلـةـ .ـ

### الجزيرة العربية :

منـ السـهـلـ انـ يـدـرـكـ المـرـءـ انـ الـجـزـيـرـةـ الـعـرـبـيـةـ ،ـ قـبـلـ انـ يـجـددـ الـاسـلـامـ مـجـتمـعـاتـهاـ القـائـمـةـ عـلـىـ الـبـنـاءـ الـبـدـوـيـ ،ـ وـالـخـامـلـةـ الـىـ حـدـ مـاـ ،ـ وـالـتـيـ تـعـوـزـنـاـ مـعـرـفـتـهـاـ لـنـدـرـةـ الـمـلـوـمـاتـ وـالـوـثـقـيـاتـ ،ـ وـتـصـبـ مـرـفـةـ بـعـضـ مـظـاهـرـهـاـ الـفـرـيـدةـ ،ـ قـدـ كـيـتـ فـيـهـاـ الـاـبـحـاثـ وـالـرـسـائـلـ الـعـلـمـيـةـ ذاتـ الطـابـعـ التـارـيـخـيـ فـيـ اـسـاسـهـاـ .ـ وـهـذـاـ مـاـ عـقـدـ عـلـيـهـ الفـصلـ الـاـولـ منـ (ـتـارـيخـ الدـيـنـ الـاـسـلـامـيـ)ـ لـمـيـكـلـانـجـيلـوـ غـوـيدـيـ .ـ وـاـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ الـفـصـلـانـ الـأـوـلـانـ منـ كـتـابـهـ الـذـيـ نـشـرـ بـعـدـ وـفـاتـهـ بـعـنـوانـ (ـتـارـيخـ الـعـربـ وـثـقـائـتـهـمـ حـتـىـ وـفـاةـ مـحـمـدـ)ـ الـذـيـ جـاءـ تـهـيـداـ لـاـ بـدـ مـنـ لـهـيـثـ اـشـمـلـ حـولـ ثـقـائـةـ الـعـربـ .ـ وـلـكـنـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ لـمـ يـكـمـلـ بـسـبـبـ وـفـاةـ الـمـؤـلـفـ الـمـبـكـرـةـ .ـ وـمـعـ ذـلـكـ لـمـ يـخـلـ الـكـتـابـ الـمـذـكـورـ مـنـ عـرـضـ كـافـ لـلـبـيـنـةـ الـاجـتـمـاعـيـةـ الـتـيـ تـكـوـنـتـ فـيـهـاـ هـذـهـ التـقـائـةـ فـيـ اـقـدـمـ الـاـزـمـنـةـ .ـ وـكـانـ غـوـيدـيـ

يعي هذه الحاجة ، فرسم للجزيرة في وثبيتها لوحة ابينة بقدر الامكان ، استنادا الى الماده التاريخية الواسعة التي استطاع ان يُجْمِعَها خلال سنين عديدة ، ويُقيِّمها بحسب تاريخي عجيب ، وبروح مجردة من كل شكل من اشكال التقد الاعتباطي الذي لا مبرر له ، مع ان الكثير منها خرائси .

وهناك اعمال اخرى لباحثين قد يُرَى ان اقتصرت تماماً على الجزيرة العربية في جاهليتها . وان الواجب ليدفعنا الى ان نذكر في مقدمة هؤلاء الباحثين لاغناتيوس غويدي ، الذي جَمَع تحت عنوان ( الجزيرة العربية قبل الاسلام ) اربع محاضرات القاها بالفرنسية عام ١٩٠٩ في جامعة القاهرة ، حيث دُعى للقاء دروس في الادب الجغرافي والتاريخي واللغوي عند العرب . واذا لم يكن هنا المجال لذكر المختصين بزوايا هذا المستشرق العظيم ، وفضله في مختلف حقول الساميَّات المتعددة ، فانتَ نرى من فضول القول ان نؤكِّد ما لهذه المحاضرات الأربع من قيمة رفيعة ، يستطيع ان يلمسها حتى الجاحدون ، حول مهد الحضارة العربية في شمال شبه الجزيرة وجنوبها . وهي تؤكِّد ما لاغناتيوس غويدي من مقدرة فريدة على تحويل الماده الجافة المتعلقة بظروف الشفاعة العامة ، الى عمل علمي .

غير ان الباحث الذي انقطع في الماضي التربيب ، وبشكل يكاد يكون مضرِّب المثل ، الى صرامة البحث العلمي في دراسة الجزيرة العربية قبل الاسلام ، كان كارلو الفونسو نَلَّينو ، الذي جَمِعَت آثاره العلمية في هذا الحقل الخاص ، بعد نشرِها في مجلات عديدة — ولم ينشرَ بعضها من قبل — في المجلد الثالث من مجموعة اعماله العلمية ؛ وقد نُشِّرت هذه المجموعة بعد وفاته في ستة مجلدات بعنوان ( مجموعة كتابات منشورة وغير منشورة ) . والباحثون في علوم العربية والاسلاميات ، المختصون بدراسة مهد الاسلام من المستشرقين وغيرهم ، يعيَّد الى اذهانهم اسم نَلَّينو كثيراً من الكتابات الفنية حول العقيدة الاسلامية ، ومن الاشارات القاطعة حول وجود الادب في الازمنة القديمة . ومن

ذلك بحثه بالفرنسية تحت عنوان ( هل كانت مصر صلات مباشرة بجنوب شبه الجزيرة العربية قبل عصر بطليموس ؟ ) واكثر من ذلك ابحاثه الاخرى الخاصة ( بالعربة السعيدة ) التي انفصلت عن شبه الجزيرة بتراكيبها الاجتماعي والدستوري ، ومنها ( اليمن في العصر الجاهلي ) ، ويكله ايضا ( اليمن في العهد الاسلامي ) ؛ وهما بحثان متميزان وكبارا القيمة ، كتبهما حول كلمة ( اليمن ) لدائرة معارف تريكانى . وفي مقالات أخرى عديدة مدونة في الجزء المشار اليه من ( مجموعة كتابات ) — ولم نذكرها هنا ، لأنها سبقت الاعوام الخمسين التي تتناولها هذه الدراسة — نجد اشارات متلاحدة الى ( الجاهلية ) . ونحن نجد للجاهلية تاريخا كاملا في ( الجزيرة العربية قبل الاسلام ) .

ولكن هذا الكتاب ، بحكم الاهداف التعليمية التي وضع من اجلها ، يختلف عن سابقاته بعرضه السهل ، الذي تخلص عميداً من التقنية الرائدة ، ولكنه دون ريب بعيد جداً عن الضعف او عدم الاتقان ؛ فلقد كان هذا المعلم الشهير ابعد ما يكون عن الضعف وعدم الاتقان .

وفي وثيقة الجزيرة العربية نجد كتاب ( الجزيرة العربية قبل الاسلام : التراث العربي ) ، وقد وضعه ليفي ديلاثيدا باللغة الانكليزية . وبعد أن يرسم المؤلف لوحة رائعة لمهد الاسلام ، يمضي في الحديث على ذلك التراث العربي الذي عرفه الباحث كما لم يعرفه غير القليلين ، لما شغل به نفسه طويلا من التقييم الواعي ، والدراسة الناضجة ، والنحص النادر للمصادر . هذه الاعمال جاءت نتيجةً للبحث العلمي الجاد الصارم في تاريخ بلادٍ كانت ارضه الجنوبية — اليمن الاسطورية — قد اوحى ببعض الاعمال والابحاث في العصر الحديث . ونقتصر هنا على ذكر ( اليمن في التاريخ والاسطورة ) لكارلو انسالدي ، وهو كتاب يعيّد تركيب بعض الصور والوقائع التاريخية التي يُعوزها العرض الصحيح أحياناً . وكما هو معروف ، يمكن ان نعتبر الشعر العربي في المعهد الوثني ، بكثير من الثقة ، تعبيراً اديباً عن العرب في ذلك المعهد ،

يُمثّل في الوقت نفسه واحداً من أكثر المصادر مباشرةً وأصالةً لمعرفة المجتمع البدوي القديم . ولذلك كثيراً ما أشار مستعربنا الأوتوق والآخر معرفة بالشعر العربي القديم ، فرانشيسكو غربيللي ، إلى الوثنية الغربية ، لضرورة وضع إطار لأنتم محول البناتي العربي ضمن ذلك النطاق التاريخي ، والتاريخي الثنائي . وكان أطول من ذلك وادعى إلى عمق التفكير انشغاله المتهم بالتراث التاريخي والاسطوري في ذلك المعهد . وأكثر ما يكون غرّض ذلك الباحثة تحديداً ، كان في وضع البداوة العربية في صلة مباشرة مع اللحظة الشعرية ، كما نهل في بحثه التالي - : ( المجتمع البدوي والشعر الجاهلي - القبلية والدولة في الشعر العربي القديم - الأدب البدوي الجاهلي ) وكلها موضوعات عادَ إلى بحثها من جديد في دراسته للعهد الإسلامي في كتابه الفرنسي ( القبلية العربية والدولة الإسلامية في العصر الاموي ) ، ونبهَ إجادَ غربيللي اختيار مقاطع شعرية ، وترجمتها إلى الإيطالية بمهارته المعروفة واناقة صياغته . وكان ذلك مما سكتت عنه المصادر التاريخية ، أو أشارت إليه اشاراتٍ غيرَ واضحة دائمًا .

\* \* \*

### العهد الإسلامي :

ويجيء الآن الوقت الذي تُعبّر فيه من شبه الجزيرة العربية الوثنية إلى ابنها الأعظم ،نبيّ الإسلام ، الذي كانت سيرته موضوعاً لأروع الابحاث التي قام بها كائيناتي ، ثم أصبحت بعد ذلك ، في عام ١٩١٧ ، مادةً لمناقشاتٍ وأبحاث علمية واسعة ، راحت تتزايد وتنمو مع الأيام ، على اثر اطروحة علمية للدكتوراة حول اقسام الاحاديث المتعلقة بحياة محمد . وبعد بضع سنوات قامت السيدة فرجينيا ملكاً دى بوسيس - التي أثارت ذلك النقاش غير عامة ، ولم يُلبّي اسمها أن بُرز بين كبار المستعربين - بنشر كتابها ( سفارات محمد إلى الملوك ، في رواية ابن اسحق والواقدي ) ؟ ونبهَ درست ، على أساس الاخبار التي أوردها المؤرخان المذكوران ، علاقات الإسلام في بداياته بالنجاشي وكرسي الثاني ، وهرقل ، والمتوقس .

ويبين اوائل الباحثين الذين <sup>عنوا</sup> بوجوب نصل الخرافة عن التاريخ ، في تلك الغابة الكثيفة من الاخبار التي وصلت اليها من الروايات التاريخية العربية ، نجد كارلو تليلينو . فبعد ان كتب بحثا رائعا حول سيرة النبي ، كتب كذلك بحثا حول اسم ( محمد ) لدائرة معارف تريكانى ، قسمه حسب التقسيمات الكلاسيكية : الحداة ، المهد المكى ، المهد المدنى ؛ وبعض الاعتيارات القصيرة العالمة التي كان الباحث قد اطلاع الكتابة فيها في بحث له بعنوان ( في الذكرى المئوية الثالثة عشرة لوفاة محمد ) . ومن المفروض ان ميكيلانجيلو غوبيدي ، في الفترة نفسها ، كان معنباً بترتيب مجموعته ، وفي دراسة المراجع التي استمد منها فصل ( النبي محمد ) وتنسيقها . وكان ذلك الفصل هو الثالث والأخير من كتابه المذكور آنفا ( تاريخ العرب وثقائفهم ) . في هذه الصفحات يبدو هنا وهناك اقتناع غوبيدي السابق بان ثائراً أساسياً للروح العربية في الحضارة الإسلامية . وكان الكاتب يود ان يثبتها فيما بعد بأدلة يفترض انها ثابتة واصيلة ، لو تذر له ان يبلغ بكتابه الى منتها .

اما الابحاث التي <sup>ضمّنها</sup> غبريللي كتابه ( مظاهر من الحضارة العربية والاسلامية ) ، فقد كان الغرض الاساسي منها التعميم ، والقليل منها كان بقصد التاريخ - كما يوضح ذلك عنوان الكتاب - كانت ثلاثة من هذه الابحاث تدور حول نبى الاسلام ، <sup>فتقدمه اولاً</sup> الى القراء منصرفا الى حواسى تجربته الدينية ، ثم <sup>مواطناً اول</sup> فى مجتمع المدينة . حتى في هذه الخطوط القصيرة يبدو الباحثة رساماً ومحكراً بارعاً في رسم الملامح واللمسات التاريخية السريعة ، والجديرة بأن تقول شيئاً جديداً حتى للمتخصص ، ولكنها بشكل خاص <sup>تُنقّل</sup> الجاهل دون أن تفرض عليه عباءة الثقافة المتخصصة جداً . وبعد إعادة صياغة الابحاث المشار إليها حول شبهة الجزيرة العربية قبل الاسلام ، وحول محمد ، في مقال بالألمانية عنوانه :

Mohammad und der Islam als weltgeschichtliche erscheinungen

ظهر ضمن سلسلة ( تاريخ العالم ) ، كتب غبريللي كتاباً بعنوان ( محمد والفتح العربية الكبيرة ) هو ، في الواقع ، كتابٌ قليلٌ عليه أن يُنْعَثَ بِأَنْ تَرَاعَتْ مِنْتَعَةً . وهذا العمل الجديد يرمي ، كغيره ، إلى تعريف عامة المثقفين بمظاهر خاصة من حضارة قد لا يعرفونها إلا على وجهه التقريب . ونجد فيه ثلاثة مصطلحات متكاملة حول نبى الإسلام ، تقدّمه أولاً في ضوء تقديس أتباعه له ، ثم يلي ذلك حالاً تقدّمه في ضوء حكم المسيحية السلفي في دفاعها عن عقيدتها خلال القرون الوسطى ، ثم في ضوء التقييم المستثير الجديد ، وأخيراً في الرؤية الرومنتيّة ( كصاحب شريعة ، وملهم عظيم ) و ( كموقظ لقوى شعبه الماجمة ) . وكان المستعربون والباحثون في الإسلام قد قاموا ، منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، بالعمل على توازع اوثق وأثبت في اعطاء حكم تاريخي أكثر توثيقاً ومصدراً حول باعث العروبة ورسالته النبوية . وهذه الصحف التي كتبها غبريللي والتي جاءت بعدها ، وردت فيها ، ببراعة المعلم التدبر ، أحداث حياة محمد في مكة والمدينة ، وبالتالي أوضحت بجلاء خطى الإسلام الماضية تدريجاً إلى أقصى مدى لانتشاره في الشرق والغرب . وإذا كانت هذه الفصول تلتقي في الأصل التاريخي العام مع أعمال علمية مشابهة لها لعلماء آخرين ، فإنها تختلف عنها اختلافاً تماماً من حيث المقارنات الجديدة ، ومن حيث التقييمات الدقيقة التي غالباً ما تتميز بالأصلة المطلقة .

ويقتضينا واجب الامانة العلمية أن نختم هذا الحديث بـ<sup>٥٠</sup> ذكر أن في الكتابات المتعلقة بسيرة محمد ، والتي تتضمنها كتب التاريخ العربي العام المشار إليها ، وكذلك في المؤلفات الراجمة إلى التعريف بالإسلام – ونذكر منها أبحاث مارتينو ماريو مورينو ، ولاورا فيتشا فاليري – اقتصر المؤلفون على البناء المألوف ، ولم يبتعدوا عنه إلا ليدخلوا فيه انكاراً واستنتاجات ذات طابع شخصي .

\* \* \*

بعد الانتصارات العسكرية المدوية الاولى للإسلام ، والتي نجَدَ منها في كتاب فرانشيسكو غبريللي المذكور صُوراً ملحمية من المعارك الآسيوية والامريقية ، اندلعت في المجتمع العربي والاسلامي، المُشَّ حينذاك ، نارُ الحرب الاهلية بباباية على بالخلافة . فلقد اعترض عليها معاوية اعترافاً شديداً عندها ، الى حد المصاداة بالحرب . وكان اول من درس المواد التاريخية التي يتضمنها كتاب (أنساب الادراف ) للبلاذري ، يقصد المضي نحو اعادة بناء فكرة صحيحة عن تلك المعارك التي كان سببها الوصول الى السلطة ، هو جورجيو ليني ديلا ثيدا ، عام ١٩١٥ . وكان قد اتيح له ان يصل الى معرفة ذلك النص وتقدير اهميته ، في اثناء معاونته في (جوليات الاسلام) . ونتج عن ذلك ان اصبحت هذه لديه رسالة يؤديها في فترة ما . وبعد قرابة عشرين سنة اخذ ذلك العالم بالساميات يهتم بالعودة الى دراسة ذلك الكتاب بمعاونة المرحومة اولفابينتو - تلميذه - في القسم الذي حُصِّمَه البلاذري للخلفية معاوية . ولكن في الغالب كان يعتبرها مجموعة غير منظمة اكثر منها اخباراً تاريخية ، او مادة تتعلق بالاتساب ، شعرية او جامعة . وبعد هذا الذي قدَّمه جورجيو ليني ديلا ثيدا ، وليوني كاثيتاني ، وفرانشيسكو غبريللي، وميكيلانجيلا غوبيدي ، ظهرَ كتاب آخر في دراسة الاحداث التي رأقت هذا المنعط التاريخي الحاسم في بداية عهده . الكتاب للسيدة لاورا ثيشتا مالييري ، وقد عادت فيه الى فحص هذه القضية الصعبة على اساس مواد جديدة تاريخية ، وآخر تتعلق بالانتشققات الدينية ، مستقاة من مصادر ( اباضية ) استطاعت بواسطتها القضاء على بعض الناقضات ، وان تستدَّ بعض الفجوات المتعلقة بالاحداث . ودعمت السيدة مالييري ذلك بكتابها ( ترجمة خطوات تتعلق بالنزاع بين معاوية وعلي ، وانشقاق الخارج ) ، لتجعل منه نهراً لا بد منه لأبحاثها الخاصة التي كتبتها بروح نقاده ، وتوثيق جاهد دؤوب . وقد استقت مادة كتابها هذا على الاغلب من ( كتاب الجواهر ) للبرادعي ؛ وهذا المؤلف يمكن اعتباره واحداً من اوئل مؤرخي الشيعة الاباضية

في افريقيا الشمالية . وبهذين الكتابين القبيحين اكتسبت <sup>١٠</sup> مستويات  
كماعها العالية في هذا الحقل ، بحيث ان العديد من ( الكلمات ) التي  
ورد شرحها في الطبعة الثانية من ( دائرة معارف الاسلام ) المتعلقة  
بالمفترقة المشار إليها ، تحمل توقيعها ، واهمها اسم ( علي ابن ابي طالب ) .

أما كتاب البلاذري التاريخي الكبير ، الذي يمكن اعتباره أقدم  
الراجع التاريخية الباقية لدينا حول القرنين الأولين من ظهور الاسلام ؛  
فقد شارك فرانشيسكو غبريللي مشاركة فعالة في الانتشار الواسع  
الذي لقيه — وكان قد عُهدَ إلى غبريللي بتحقيق جزء من هذا الكتاب ،  
وكان من المؤسف أنه لم يُنشر بعد — ومشاركته هذه هي في كتابه  
( خلامة هشام ) الذي اعاد فيه بناء فترة الملك الطويل الامد للابن  
الرابع عبد الملك <sup>علي</sup> على اساس المصدر المذكور وغيره من المواد التاريخية  
الموثوق بها ، وذات الصلة بالموضوع . على اساس من هذه الدراسة  
ال الاولى بـذا غبريللي سلسلة مرموقة من المشاركات في الدراسات التاريخية  
للعمد الاموي ، لم يلبث ان اغنها فيما بعد — الى جانب الفصول  
التي تضمنتها مؤلفاته العامة المتقدمة ذكرها حول تاريخ العرب —  
بابحاث مؤثثة جداً حول ( الوليد بن يزيد ، الخليفة والشاعر — ثورة  
بني المهلب في المراق ، والبلاذري الجديد — والبطل الاموي مسلمة  
ابن عبد الملك ) . وفي هذه الكتابات — كما في ما سبقها حول الفترة  
العباسية ، مما سبقت الاشارة اليه — تُصبح الاعمال التاريخية ،  
والاعمال الضئيلة الامامية ، معالم واضحة بما يضفيه عليها من تفكيره  
واستطرادات ذات الطابع الاجتماعي ، والبنياني ، والثقافي ، والتي  
تتمثل ، هنا وفي اي مكان آخر ، الجزء الادعى الى التقدير من انتاج  
غبريللي العلمي والتعريفي .

وفي اطار العصر الاموي يدخل ايضا البحث الذي عنوانه ( العرب  
في الهند ) للمؤلف نفسه ، ومن خلال مصاحبة البلاذري ، ولا سيما  
في كتابه ( فتوح البلدان ) المشتمل على القليل من المعلومات التي  
وصلت اليانا في كتب التراجم والتاريخ العربية حول فتح السندي ، وضع

غبريللي كتابا حول محمد بن القاسم الثقفي ، الذي ظُمِّر إلى الامبراطورية الأموية تلك الولاية الجديدة الثانية - السند - « حاملا معه إلى الهند ديانة جديدة ، وثقافة جديدة ». في هذه المرة أيضا يضيف غبريللي في النهرس ترجمة لبعض الصفحات المأخوذة عن ( الشاهنامة ) - وهي رواية فارسية ، من القرنين السابع والثامن ، منظومة شعراء عن أصل عربي مفقود من تاريخ الفتح - . ولهذه الرواية الشعرية ، القليلة الأهمية التاريخية بالنسبة إلى الأحداث المشار إليها ، نجد تقليما مفيدا في الجزء الأول من البحث . ورغم خشيتنا من التكرار ، لا بدّ لنا هنا أيضا من أن نثبت بالتحديد - مثلما قدمنا في العصر الجاهلي - أن هناك مشاركات أخرى لمعرفة البيانات التاريخية والاجتماعية في العصر الاموي ، نجدها في جميع كتابات مستعربنا هذا ؟ كتبها حول الصوفيين ، والشعراء ، والنادحين في ذلك العصر ، من الحسن البصري إلى ، جميل بن معمّر ، إلى ابن المقفع .

واما عبد العزيز بن مروان ، الذي ولّى على مصر عشرين سنة ( ٦٨٥ - ٧٠٤ ) للأمويين في دمشق ، حيث كان الخليفة آخره عبد الملك ابن مروان ، فقد كتب حوله أوبريلتو ريبستانو بحثا ، جاء استكمالاً لدراستين كان قد كتبهما في شبابه حول الشاعر ( أبو محجن نصّيب ابن رباح ) ، الشاعر والمولى المخلص لذلك الوالي ( عبد العزيز بن مروان ) ، وكان يُكثّر في شعره المدح والشكوى ، وقد تضمنَت كتب الأدب مقاطع من تصانده .

وعلى غرار لاورا فيتشا فالبيري ، وبارشادها ، درّس مستعربون آخرون من المعهد الشرقي في نابولي ، مظاهر ووجوها خاصة من الشيعة الإباضية ، وما كان لها مع الشيعة الخارجية ، التي تحدّرت منها الإباضية ، من خلافات لا يستهان بها في التاريخ العربي . أما العلاقات بين عبد الملك بن مروان وزعماء تلك الفئة المشتقة ، فنجدتها موضحة في مقالٍ لروبرتو روبينانشي عنوانه ( الخليفة عبد الملك بن مروان والإباضيون ) . ويشتمل المقال على ترجمةٍ لرسالة من عبد الله

ابن إياض الى الملك الاموي ، نقلًا عن المراسلات التي جرت بين الرجلين ، والتي لم يُحفظ لنا التاريخ سوى بعضها .

• • •

### العصر العباسى :

وكما هو معروف ، لم يجد العصر العباسى بعد بين المستعربين مؤرخاً ذا استعداد لأجل العكوف على إعادة بناء القرون الخمسة من تاريخه . ولكن أهمّ اثر درس فيه شيء من ذلك المهد الطويل ، لا يزال الى اليوم كتاب ( الوزارات العباسية ) ، من سنة ٧٤٩ الى ٩٣٦ ) الذي وضعه الغرنسي د . سورديل . أما من المستعربين الإيطاليين ، فقد وضع س . موسكتاني ، العالم بالساميات ، سلسلة أبحاث حول تلك الخلافة وتطوراتها . وهذا الباحث اهتم اهتماماً جاداً بنشاط علمي يباعده بينه وبين الاستعرب ، رغم أنه عمل في حقوله فترة من الزمن بموهبة وغيرة . وقد سلط ضوءاً جديداً على بعض اللحظات الأساسية من الأسرة العباسية التي يصعب بناؤها في الغالب ، بسبب الفجوات والاختفاء في الأخبار التي يمكن العثور عليها في المصادر . وأما نهاية الامويين الفاجعة فقد سجل موسكتاني وقائهما في كتابه ( مذكرة الامويين في التاريخ وفي المقطفات الشعرية ) . وأما بداية العباسيين الذين وصلوا الى السلطة بمساعدة ثمينة من ( عبد الجبار بن عبد الرحمن الاذدي ) ، فقد خصص لها ثلاثة ابحاث جمعها تحت العنوانين التاليين : ( دراسات حول أبي مسلم ) و ( ثورة عبد الجبار على الخليفة المنصور ) . وكان المنصور قد غاظه كثيراً ما كان ليعوّجه من نفوذه ، فقرر وضع حدّ عنيف لحياته . ولكن الاحداث اللاحقة لتلك الأسرة العباسية كانت ايضاً موضع اهتمام ذلك الباحث ، فقد اعاد بناءها على أساس دراسة واعية للمصادر ، ونشرها ، بظاهرها السياسية والعسكرية ، في ثلاثة ابحاث : هي : ( دراسات تاريخية حول خلافة المهدى – ودراسات تاريخية جديدة حول خلافة المهدى – وخلافة الهادي ) وهي كلّها مراجع لا غنى عنها

للباحث الذي سبحاول كتابة تاريخ الخلافة العباسية . ماذا ما وجد هذا الباحث ، فسيجد مسواد نبيسة تساعدة على القاء الضوء على الملوية والخارجية خلال الفترة الاولى من العصر العباسى ، في بحث عنوانه ( شطحات فكرية حول ثورتين علويتين ) ، للسيدة لaura مينتشا مالبيري ، و ( المراسلات بين المنصور ومحمد النفس الزكية ) للكاتب ر . ترليني ، وفي ( تبادل الرسائل بين هرون الرشيد ومحزه الخارجي ، حسب كتاب « تاريخي سيسستان ») للمستشرق المتخصص بالفارسية ج . سكارتشينا . وهذه دراسات استُخدِمت فيها مصادر لم يُسبِّقَ مُحْصِمها .

بعد بضع عشرات من السنين من بداية الخلافة العباسية الدموية ، كان يمكن اعتبار هذه الخلافة قد توطدت اركانها . وكان من نصيب هرون الرشيد فضلُ المضي على آثار الخلفاء الاربعة الأولين حتى تبلغ الخلافة اقصى زهوتها . وقد تضامرت الاساطير التي تُسجّت حول شخصية الرشيد الملكية ، وحول امبراطوريته الظاهرة ، وبلاطه ذي الفخامة المذهلة ، مثلما تضامرت كذلك الانجازات غير العاديّة التي تُئْتَ في عهده ، على تمجدِه وتعظيمِه .

ونحن فعلا نجد في كتاب ( هرون الرشيد ، تاريخ وأسطورة ) ، إلى جانب الأحداث الرئيسية لذلك الخليفة ، التمجيد الذي أُسْتَبعِغُ على شخصيته بعد وفاته . وأماماً ولداه ، فقد اهتمَ الباحث نفسه بايصال النزاع الدمويَّ الذي ثار بينهما لأجل ارتقاء العرش ، وذلك في ثلاثة بحوث كان قد كتبها في شبابه ، وهي : ( وثائق تتعلق بخلافة الامين ، في الطبرى – وخلافة هرون الرشيد ، وال الحرب بين الامين والمأمون – والمأمون والعلويون ) . هذه البحوث التاريخية الثلاثة تتكامل مع العديد من أبحاث غبريللي الأخرى ، الادبية والدينية ، التي خُصصَتُها للعصر العباسى . وهذا حقل كان قد بدأه في بوادر دراساته الابطاليين عنوانه ( حياة المتنبي ) . ومن المؤسف ان دراسات الباحثين الإيطاليين تتوقف عند هذه الفترة من العصر العباسى ؟ وهي في الواقع ، ازهى فتراته واقواها . وأما الفترة التالية فليس في وسعنا ان نذكر حولها

أكثر من بحث واحد حول ( الفتاح بن خاقان ، الرجل المنضل لدى المتوكل ) ، ون Vie توضح السيدة أولفا بينتو صورة ذلك الرجل — الذي يلقبه بعض المؤرخين خطأً بلقب الوزير — في شخصيته المزدوجة : شاعراً ، ورجل سياسة . وكان الفتاح رفيق الطفولة للمتوكل ، ثم أصبح مستشاره ، وأحياناً مرشدته ووجهها . وذكر هنا كتاباً آخر للسيدة أولفا بينتو عنوانه ( المكتبات العربية في العصر العباسي ) .

غير أن العصر العباسي ، كما يعلم المؤرخون والمستعربون ، يعيد إلى الذهن العلاقات بين أوروبا المسيحية والعالم الإسلامي : فالصلات بين هرون الرشيد وشارلماן ، نجد حولها إشارات كافية إلى حدّ ما لدى بعض المهتمين بدراسة العصور الوسطى ، الذين درسوا — لدوافع مختلفة ، وبنتائج مختلفة كذلك — النشاطات الدبلوماسية للملك الفرنجي . ومن بين آخر ما نعرف من تلك البحوث في ذلك الموضوع الشائق ، دراسة كتبها ج . موسكا ، وعنوانها ( شارلمان وهرون الرشيد ) ، وفيها القى ضوءاً على تلك الفترة التاريخية ، معتمداً على المصادر اللاتينية التي استمدّ منها اعتبارات أصيلة حول الأسباب الدينية والسياسية التي دعت الغرب إلى الاتصال بالعالم الإسلامي . وبعد نحو قرن من الزمن من تلك العلاقات ، قامت روابط أخرى بين حكومة بغداد وأحدى الدوليات الإيطالية ، أو بالاحرى بين المكتفي وبيرتا التوسكانيّة — كما يُسمّى إن نعرف من رسالتين متبادلتين بالعربية : رسالة كتبها تلك المرأة الطموحة بيرتا ، وردّ الخليفة عليها ؛ وقد نشرهما لأول مرة المؤرخ محمد حميد الله — وأول من أثارت تلك الاتصالات الرسائلية اهتمامه الشديد كان ليثي ديلا ثيدا — ومعه في وقت واحد تكريباً من ج . مور كذلك — . لقد قام ديلا ثيدا بترجمة الرسائلتين إلى الإيطالية ، وقدم لهما بأخبار وافية حول المصادر العربية التي استعمل بما ، وعقب عليهما بإنكار شخصية ثاتبة ، حول الأسباب الدبلوماسية والسياسية التي ربما كانت الأساس لتلك الاتصالات .

• • •

المغرب وأوروبا:

بـدا فتح المغرب ، كما هو معلوم ، منذ عهد معاوية ، ولكنه ثبت وتوطد في عهد بنى مروان ، وازداد ثباتاً ومتانة في زمن العباسين . ولتل ذلك سبادة الاسلام التدرجية في وسط البحر المتوسط وشماله ، تمهدلا لغزو الاندلس ، ثم ، بعد قرن او اكثر قليلا ، لغزو صقلية ايضا . ولم يتم ادخال القوات العربية – البربرية الفتية الى المغرب المسيحي التوطني في اسبانيا ، والبيزنطي في صقلية ، دون اصطدامات في الواقع ، كانت مع ذلك تمهدلا للقاءات غنّية غير قليلة ، نجد وقائعها التاريخية والاجتماعية والثقافية في كتابين أصبحا الان من الاعمال الالاسيكية ؛ وهما : ( تاريخ مسلمي اسبانيا ) لدوزي – وقد اعاد ليثي بروفنسال صياغته بشكل اساسى – وكذلك ( تاريخ المسلمين في صقلية ) للمستعرب الايطالي ميكيلي امارى . هذه الاحداث وقَعَ معظمها في القرون الوسطى الاوروبية ، ولذلك اثارت اهتمام المؤرخين الغربيين ، تحفظهم اليها تقييمات اثارتها اطروحة شهيرة وجديرة بالمناقشة ، كتبها ه . بيرن ، بعنوان ( محمد وشارلماں ) . وفي هذه الاحداث كلّها كانت مشاركة الباحثين الايطاليين بارزة . ونكتفي بـان نشير منها الى البحوث التي كتبها المستعربون ، لاعتقادنا بعدم المقدرة على اعطاء دراسة وافية في هذا الحقل .

وكمما فعل العرب من قبل في الاراضي الشرقية في آسيا ، كذلك فعلوا في البحر المتوسط ؛ فقد وجدوا انفسهم وجهاً لوجه مع البيزنطيين . وفي هذا الموضوع كان (العرب والبيزنطيون في البحر المتوسط الاوسط) عنوان البحث القسم الذي يوضح فيه فرانشيسكو غبريللي اهم الوثائق . وهنالك اخبار تاريخية مهمة حول غارات المسلمين على صقلية وكالابريا ، وحول الاستيلاء على كاسترو جوفانى عام ٨٥٩ ، وعلى العموم ، حول العلاقات العربية البيزنطية في تلك الاراضي من القرن التاسع . هذه الاخبار نجدها في (حياة القديس ابليا الشاب ) ؟ وهو كتاب يوناني ، ترجمة وعلق عليه أحد المتهمن بالدراسات

البيزنطية ، واسمها ج . روسي طابيقي . وأما الهجوم على سراكوزا والاستيلاء عليها ، عام ٨٧٨ ، فهناك وثيقة نفيسة حولهما هي رسالة الراهب تيودوسيو ، التي نشرها لنسا عالم بالدراسات اليونانية اسمه ب . لافانييني .

واما الابحاث المتعلقة باسبانيا المسلمة فليست كثيرة ، بل هي في الواقع قليلة جدا . وهذا ايضا حقل دراسي طرقه فرانشيسكو غبريللي في كتابه ( رسالة ابن عبدون النقدية حول حكومة اشبيليا ) ؟ وهو يحتوي على ترجمة ، مع حواشٍ وملحوظات ، لنصٍ كبير الاهمية حول الحياة المدنية والاقتصادية والاجتماعية في اشبيلية في اوائل القرن الثاني عشر . ثم تلي ذلك حالاً كتابات اخرى له ، بعضها محاضرات ذات مستوى اخباري رفيع ، من مثل (الازدهار السياسي والاجتماعي في اسبانيا المسلمة – والزراعة العربية في اسبانيا وحقيقة – وعرب حقيقة وعرب اسبانيا ) ، وكذلك الفصول التي سبق ذكرها بعنوان ( مظاهر الحضارة العربية الاسلامية ) التي نجد فيها تفاصيل لاكثر المظاهر التاريخية والفنية والثقافية الاسلامية ايجابية في اسبانيا وحقيقة . والى تاريخ اكثر حداثة يرجع بحث الباحث نفسه بعنوان ( العرب في اسبانيا واطاليا ) ، اهتمَ فيه بشكل خاص بدراسة التنظيمات العسكرية في المعهد الذي كانت فيه البلاد الاندلسية والصقلية جزءاً من العالم الاسلامي . وهنالك ايضا ، كما في المؤلفات والابحاث السابقة ، يتحرك المؤلف من شخصٍ زمني للأوضاع في شبه الجزيرة الايبيرية والجزيرة الاطالية . والاحداث التي ادت الى ضعف الخلافة الاموية في اسبانيا ثم انهيارها في القرن الحادى عشر ، وادت كذلك الى انجازات مجاهد العามري – وهو واحد من اربع رؤساء الطوائف – نجدها كذلك مصورة في احدى الدراسات المؤثقة احسن توثيق ، كتبتها بالعربية المستعمرة السيدة كليليا سارانيللي – وسنعود الى ذكر هذه السيدة فيما بعد – .

ويظهر ان كثيرا من المستعربين والمؤرخين الابطاليين الذين تخصصوا في دراسة مواقف معينة من العصور الاسلامية الوسطى فسي مقلبة ، وفي ايطاليا الوسطى والجنوبية ، شاقهم اسم ميكيلي اماري وبحثه المتعدد في ( تاريخ مسلمي صقلية ) . وهو من اهم كتب التاريخ الابطالية في القرن الناتس عشر ، وقد استحق بجدارة ان يعاد طبعه مرة ثانية ، بعنوانه الثالثة من كارلو الفونسو نللينو ، مع اضافة بعض النصوص المختارة اليه . واما فرانشيسكو غبريللي فانه ، بعد البحث الاول الذي كان قد كتبه سنة ١٩٣٨ بعنوان ( التراث الرومانسي في ايطاليا الجنوبية والغزوat الاسلامية ) ، عاد في فترات متقطعة الى ( صقلية العربية ) — وهذا هو فعلا عنوان احد مقالاته الصحفية القصيرة ، من بين كتاباته المتقدمة ذكرها ، حول اسبانيا المسلمة ، وكلها ممتع ، يتميز بعمق التفكير ووضوح العرض — . واما في ما يتعلق باحتلال الاغالية لصقلية ، وما نتج عنه من انعكاسات على الصعيد الثنائي والفنسي ، فنجد دراسة ممتعة في كتاب ( المسلمين في صقلية ) الذي انه باللغة العربية المرحوم مارتينو مارييو مورينو ، وجمع فيه محاضرات كان قد القاهما في الجامعة اللبنانيّة في بيروت .

ونجد اميرتو ريتستانو معنِّيا بالحقل نفسه منذ نحو عقد ونصف العقد ، تجذَّبه الى ذلك على الأخص رغبة في الحفاظ ، فسي صقلية خاصة ، على نوع من الدراسة كان قد اعطاه الحياة والقيمة العلمية المؤرخ الصقلّي ميكيلي اماري ، الذي سبق ذكره مرارا ، اكثر مما تجذَّبه الثقة في مقداره على المساهمة في تحسين آثار اماري الرائعة . ذلك لأن النصوص غير القليلة التي خرجت الى النور بعد ذلك ، لم تزد المستعربين بمقدار تسمح بإجراء تعديلات اساسية على تلك التي كان قد جمعها اماري في ( المكتبة العربية الصقلية ) . ومن دراسة النصوص التي لم يطلع عليها اماري ، ومعظمها مختارات ، والتي لم تختلف عن تلك التي كُثِرت في ( الذكرى المنوية لوفاة ميكيلي اماري ) ، استطاع ريتستانو ان يلفت الى نفسه الانتباه ببحث له

عنوانه ( مصادر عربية جديدة لتأريخ المسلمين في صقلية ) . واهمنا  
 ما استوقفه منها تلك المصادر الفاطمية ، وعلى الاخص ( سيرة جوزر )  
 لابي على منصور العزيزي ؛ وهي وثيقة نفيسة ، تلقي الضوء خاصة  
 على وجوه غير معروفة من نشاطات بعض امراء الكلبيين في صقلية ،  
 وصلات جزيرتنا مع الضفة الاميريقية المقابلة ، في نحو منتصف القرن  
 العاشر . وقد ختم بحثه بترجمة بعض صفحات من ( السيرة ) المذكورة .  
 ومن بعد ذلك ظهرت لها ترجمة فرنسية كاملة ، قام بها م . كانار .  
 وبعد ان كشف ريتستانو هذه المصادر الجديدة ، سلا ذلك بنشر بعض  
 تلك النصوص ، وفيها اخبار تاريخية لا وجود لها في اي مصدر آخر .  
 ومن هذه ذكر ه هنا ( كتاب الروض المطار في خبر الاقطار ) للحميري .  
 وهو مؤلف جغرافي لم ينشر الا بعده حتى الان ، والذي نشره  
 ريتستانو منه حتى الان هو القسم المتعلق بالبَرِّ الاطيالي وصقلية<sup>(١)</sup> .  
 غير ان هذه المصادر المكتشفة — كما قدمنا سابقا — كانت اهميتها  
 في انها قدمت لنا مقاطع من الشعر ، وبعض السير وأعمال المؤلفين ،  
 اكثر مما قدمت لنا اخبارا ذات صلة « بتأريخ » المسلمين في صقلية .  
 الا ان تلك المعلومات تُكمل معرفتنا بالثقافة العربية التي نمت وتطورت  
 في الجزيرة منذ عهد الفتح ، واستمرارها في العهد النورماني ، ثم  
 في العهد السوابي Svevi . وقد استقاد الباحث نفسه من  
 هذه المواد في كتابه ( الثقافة العربية في صقلية ) ، الذي صدر منه  
 الجزء الاول فقط ، ومن المؤسف انه لم يكمل بعد بالجزءين الثاني  
 والثالث ، اللذين كان المؤلف يعتزم اصدارهما . ونحن نذكر هذا الكتاب  
 ه هنا لأن في الفصلين الخامس والسادس منه دراسة سريعة حول  
 الازمة الفاطمية في المغرب وصقلية في القرن العاشر .

في أعمال فرانشيسكو غربيلي ، ومارتينو مارييو موريينو ، وأميرتو  
 ريتستانو المتقدم ذكرها — وكلما تستلم آثار ميكيلي اماري — يعيش  
 المرء من جديد مع لحظات بارزة من احداث امتدت — من الوجهة

(١) الكتاب كابلا حقه الدكتور احسان عباس ، وتولت نشره مكتبة لبنان ، في بيروت ،  
 سنة ١٩٧٥ ( ع - ن - ٢٠ ) .

التاريخية الصرف — مدة اقل من قرنين ونصف القرن ، غير ان آثارها ، في جانب اخرى ، استمرت في صقلية الى عهد فريديريك الثاني ، وفي ايطاليا الجنوبية كانت نهايتها الحاسمة على يدي الملك السوابي كارلو الثاني دانجو ، الذي قضى على العناصر العربية في لوشرا ، واضطُرَ العناصر الاسلامية الباقية في صقلية الى الهجرة . والوثيقة العربية الوحيدة التي وصلت اليها حول هذه الحادثة هي ( تسجيل العرب — لريكاردو دي لوشرا ) وقد نشرها ليثي ديلاميدا بعد ان قام بترجمتها وتعليق الملاحظات عليها .

واما صقلية النورماندية والسوابية في صلاتها بالعالم الاسلامي في افريقيا وآسيا ، وكذلك انحطاث حياتها المتعددة ونكرها العربي الذي استمر في ذلك العهد ، فنجد صورة لها في سلسلة من الابحاث التاريخية والثقافية التي كتبها فرانشيسكو غبريبيلي ، وأومبرتو ريتستانو : الاول منها نذكر له ( سفارات بيرس ومانفريدي ) ، ويليه حالاً لومبرتو ريتستانو مقالان باللغة العربية بعنوان ( النورمنديون والعرب في صقلية ) ، وهما يدوران على علاقات النورمنديين والزيريين في افريقيا ، وعلاقات غوليم الثاني ومصالح الدين . وقد عهدت وزارة التعليم الايطالية الى هذين الباحثين بالاشراف على نشر أعمال ميكيلي اماري واوراقه . وكانت هذه المهمة تقتضيهمما واجب العناية بالطبعة الثانية من ( الدراسات القديمة ) و ( المكتبة العربية الصقلية ) نصوصاً وترجمات . واما النورمنديون الذين وطأ لهم الامير ال جورجيتو الانطاكي السيطرة على افريقيا مدة عشر سنوات ، وكذلك الموحدون ، وهم القوة السياسية والدينية الجديدة التي قضت على التحصينات المسيحية في افريقيا ، فنجد حولهم اخباراً مؤثثة في ( تاريخ طرابلس ولبيسا ) لإيتوري روتي ؛ ولا سيما اخبارها التي وصلت اليها من المؤرخ الدمشقي ابن القلانسي ، كتب فرانشيسكو غبريبيلي ( اصول حركة الموحدين في مصدر تاريخي شرقي ) . وتعود بناء الذكريات الى

الاحداث التاريخية في مقلية في عهد الكلبيين ، والمعهد التورمندي خامسة في كتاب ( باليرمو حسب الجغرافيين والرحالين العرب في القرون الوسطى ) للسيدة ادالجيزا دي سيمونه ، وكان هذا البحث رسالة قدمتها لنيل شهادة الدكتوراه الى كلية الاداب في جامعة باليرمو ، حيث يقترب تعلم اللغة العربية في وقت واحد بالدراسات العربية المقلية .

وبعد وفتنا القصيرة هذه عند مقلية ، نلقي الان الى شبه جزيرتنا ، فنذكر ان الغزوات العربية المتعددة للبُرّ الإيطالي ، قد تحدث حولها اوبرتو ريتستانو في بحثه ( العرب في ايطاليا ) . وقد حَصَصَ القسم الاول منه لرسم صورة سريعة شاملة لفتح مقلية . وكذلك فرانشيسكو غورييلي في اكتر من بحث واحد ، ولا سيما في مثل دراستيه ( العرب في كالابريا ) و ( مدينة باري العربية ) ؛ وكذلك فسي بحثين آخرين اكتر جدية واسع احاطة من حيث الزمن والرقة ، وهما : ( سالنتو والشرق العربي ) و ( العرب في اوروبا : اسبانيا وفرنسا وايطاليا ) ؛ وهذا الاخير فصل من كتاب المؤلف عنوانه ( محمد والفتح العربية الكبيرة ) .

وحول وجود العرب المشار اليه آنذا في الاراضي الإيطالية الوسطى والجنوبية ، واعمالهم الحربية المتواصلة ، الى حد ما ، وما كان يتبعها من فرضهم الجزية ، اضيفت الى جهود المستعربين جهود اخرى قيمة ، في الغالب ، من بعض المعنين بدراسة العصور الوسطى . وينبغي ان نحدد ان جهود هؤلاء قد عُنيت باعادة بناء صورة الاحداث المشار اليها ، وما رافقها من الاعيب اللومبارديين والبيزنطيين السياسية التي عاصرتها . وكانت هذه الاعمال اقرب الى الصحة في ما يتعلق بالفنية الاولى ، لأن المصادر اللاتينية ، رغم ما فيها من نقص وعدم دقة من حيث صحة الواقع ، كانت اقل توزعاً وتشتتاً من المصادر العربية ؛ ففي هذه المصادر لا نجد في الغالب اثرا لاعمال العرب في البُرّ الإيطالي . وبالرجوع الى المصادر اللاتينية — ويندر ان نجد

في المصادر العربية ما يطابقها او يكملها - استطاع ج . موسكا ، العالم بتاريخ العصور الوسطى ، ان يعيد بناء تاريخ الاعوام الخمسين التي كانت فيها مدينة باري عاصمة لدولة اسلامية مستقلة ، وإن يكن قد اعطانا تقييمات غير تلك التي أثناها . وقد استطاع ان يصوّر فيما بعد غروب تلك الدولة النهائي في بحث لاحق . ومن الواضح ان وجود العرب في صقلية وفي ايطاليا ، وعلى الاخص في سالنتو ، قد اشار اليه مؤرخون من امثال ل . سلفاتوريلاي ، و م . سكينا ، وج . بوكيتينو ، و س . ج . مور ، و إي . بونتييري ، و ن . تشيلينتي ، وج . بيتروني ، وغيرهم ممن نجد ذكرًا لاعمالهم لدى موسكا ، مصحوباً برأي مدروس حول قيمتها في ما يتعلق بمدينة باري .

ان الفزوّات العربية لشواطئ البحر التيريني تدخل في تاريخ العصور الوسطى كبرى الجزر في ذلك البحر ، وهي جزيرة سردينيا التي كان المسلمون يغزونها إماً من افريقيّة ، وإماً من جُزر البالیار . وكانت جنوا وبيزا بشكل خاص منهكتين دائمًا في صد هذه الفزوّات . ولقد قاتلت منذ نحو ترن من الزمان محاولةً لاعادة بناء وقائع هذه الفزوّات ، بشكل خيالي ، في الواقع . والذى قام بذلك هو ب . مارتیني ، الذي « اعمته الغيرة الوطنية — كما يقول اماري — فلم يفطن الى ما يحوم من شكوك حول اصالة الوثائق التي استند اليها في بحثه ». وبعد أكثر من مئة سنة من ظهور ذلك البحث الذي لا قيمة له ، قالت السيدة كلبليا سارنيللي باعطاء صورة وافية لتلك الفترة التي كانت فيها سردينيا تحت تهديد مباشر من أسطول مجاهد العامي الجبار . وقد فعلت ذلك في فصلٍ رائع التبويب من الدراسة المذكورة آنفاً ، والتي ظلت ، مع الاسف ، بعيدة عن متناول علماء العصور الوسطي . وقد قدّمت هذه الدراسة الى كلية الآداب في جامعة القاهرة لنيل شهادة الماجستير ، ثم قاتلت بنشرها بالعربية ، كما ذكرنا آنفاً . وفي موضوع سردينيا عينه والاعمال التي قام بها المسلمون فيها ، ظهر ايضاً بحث للسيدة لورا ثيتشا فالبيري ،

استاذة كليليا مارينيللي ، كأنما كان الدافع اليه دعم تلميذتها في مجال بحثها عينه . ويتجدد الاهتمام بسردينيا ( العربية ) في بحث بالفرنسية عنوانه ( آثار عربية في سردينيا ) ، يرى فيه المؤلف جوفاني اومان أنه لن يمكن القاء ضوء جديد حول تلك الغارات العربية الا بعد دراسة آثارية كاملة للجزيرة ، تكون نتاجة حُفريات منظمة في مناطق معينة . أما المواد القليلة التي يضمّها متحف كالباري فليس كافية لاي اثبات .

• • •

### الحروب الصليبية :

وعلم الحروب الصليبية الذي اصطدمت فيه المسيحية بالاسلام في بلدان الشرق الادنى الافريقية والاسيوية ، حيث كانت جذور الاسلام متّصلة اكثر من سواها ؟ لقد تعددت بحوث علماء العصور الوسطى حولها ، ولكننا نكتفي بأن نذكر من احداثها : ( تاريخ الحروب الصليبية ) للمؤلف ف . كونياسو . وأما المستعرب الاول والاخير حتى الان الذي الفت الى المصادر العربية ، لكي يرى تلك الحروب بعين الخصم حينذاك ونقيبته ، فهو ايضا فرانشيسكو غربيلي ؟ فقد اكتشف مجموعة من المختارات البارزة لأشهر مُؤْمَنِي الاحداث العرب ، من نَقلُوا اليَنا أخباراً وانطباعات ، اغلبها ذو أهمية تاريخية كبيرة ؟ وقام بترجمتها الى اللغة الابطالية وتحقيقها . ومن هذه المجموعة <sup>الاكتشاف رقم ١</sup> كتاب ( مؤرخو الحروب الصليبية العرب ) ، الذي يستحق عليه غربيلي اعظم الثناء لدقته اللغوية ، ومخامنة عباراته التثوية . وبهذا الكتاب فعل المؤلف ما كان قد فعله قبل عدة اعوام حينما نشر كتابه ( فرسان التقدس يوحنا لدى مؤرخي الحروب الصليبية العرب ) ، اذ اتاح للقراء من غير المستعربين فرصة الوصول الى اكبر المصادر اصلية في ( الكتابة التاريخية العربية للحروب الصليبية ) – وكان هذا عينه موضوع مقال لاحق له – وإن لم يكن السرد متتابعا في الدراسة ، فلقد كان غريبا في الالغب على المؤرخين ومدوني الحوادث المسلمين .

وفي رقعة الشرق الاذنى عينها ، حيث كان يناجح العداءُ بين المسيحيين وال المسلمين ، يدخل بحثُ ( العالم الاسلامي في زمن فريديريك الثاني ) ، وهو بحث كتبه ليشى ديلا ميدا ، مرکزاً فيه بشكل خاص على لحنة سريعة من سلسلة الاتصالات وال العلاقات بين المسيحيين والمسلمين ، الذين عاشوا افضل اوقاتهم معاً مع ذلك الامبراطور السوابي .

• • •

### عهد الركود :

والعهد الذي يأتي مباشرةً بعد سقوط خلافة بغداد عام ١٢٥٨ ، يسجل بداية ركود بطيءٍ ولكن مستمرٍ في العالم العربي . ويزداد الركود — او الانحطاط — تأكداً منذ بداية القرن السادس عشر ، بسيطرة العثمانيين على البحر المتوسط الشرقي والوسط . منذ ذلك النصف من القرن الثالث عشر كان المالك اهمَّ صناع التاريخ الاسلامي واستمرارِعروبة مدةً قرنين ونصف القرن . وظلت مصر مرکز الاسلام والعروبة ، مثلما كانت كذلك في العهد الناطمي والعهد الايوبيَّ الذي جاءَ بعده . والجهد الايطالي الوحدِ لمعرفة البروتوكول الجاتِ والعقد الذي كان سائداً في ادارة الحكم الملوكي ، هو بحثٌ بعنوان ( مرسوم تعين الى نيابة طرابلس ، في سوريا ، من السلطان الملوكي خشقدم ، ١٤٦١ - ١٤٦٧ ) ، وفيه نشرت المستعربة الشابة ريتا روزي دي ميليو الوثيقة العربية ، مشفوعة بتعليق تاريخي توضيحي . واكثرَ من ذلك كانت الابحاث المتعلقة بعلاقات سلاطين المالك مع بعض المدن البحرية الايطالية ، ولا سيما البندقية . وكانت هذه العلاقات ، قبل ان تقوم في شرقِ البحر المتوسط اكبر دولة معادية لهم ، هي الدولة التركية ، قد نَسَت علاقات تبادلٍ تجاري واسع مع من سبقهم في السيادة على ذلك البحر . واما العلاقات مع البندقية — وقد عرض لها غبريللي بنظرة شمولية في مثال له بعنوان ( البندقية والمالك ) — فان الكشف الذي قامت به ماريا تاللينو على ( مذكرات مارين ساندو ) سيكون عوناً ثميناً لمعرفتها . وأهمية هذه المذكرات

هي في كونها وثائق تعكس العلاقات وغيرها مما سبقها . وقد كشفت ذلك ماريا تلينو في بحثها ( مصر منذ وفاة قايت باي الى مجيء قانصوه الغوري ، ١٤٩٦ - ١٥٠٥ - في مذكرات مارين ساندو ) . وكانت للدوقيات صالح مع تونس كذلك منذ القرن الثالث عشر ، حينما بدأ في أفريقية حكم السلالة البربرية الحفصية . وفي هذه العلاقات يتحدث ا . ساتشروتي حديثاً واسعاً في بحث له عنوانه ( البندقية وملكة الحفصيين في تونس : معاهدات وعلاقات دبلوماسية - ١٢٣١ - ١٥٣٤ ) . وسنعود فيما بعد الى ذكر اسم هذا الباحث من جديد .

ان الاشارة الى العثمانيين باعتبارهم قوة جديدة في البحر المتوسط تتعدنا الى ذكر كتاب ( فخر الدين الثاني ، أمير لبنان ، والبلاط التوسكاني ، ١٦٠٥ - ١٦٢٥ ) ، وهو جزآن نبيسان قدّمَ نيهما ب . باولو صورة مؤثثة اوسع توثيق لجميع الاحداث التاريخية والدبلوماسية التي كان بطلها ذلك الامير الدرزي ، وكان مسرحها لبنان تارة ، وتارة اخرى بسلاط الغراندوق كوزيمو الثاني التوسكاني ، الذي كان يبدو ان حكام البندقية والاتراك معًا يكرهونه : فقد كان البندقيون مشغولين بمنازعة التوسكانين على السيادة في الشرق ، مثلما كان يشير الاتراك ان يجد ذلك الامير الم GAMER في مصلااته بسلاط آل ميديتشي ما يدعم نفوذه وسلطانه . وأما مصر العثمانية فيعيدها اليها مقال بعنوان ( تاريخ علي بك المصري ، ١٧٦٣ - ١٧٧٣ - في مخطوط المؤلف ج . م . ديجون ) يوضح فيه ايتوري روسي ، استناداً الى مصدر نقيس غير منشور ، حياة ذلك الرجل الم GAMER ومنجزاته الثوروية ، وظهوره على المسرح السياسي المصري مدى عشر سنوات ، محاولاً نصل مصر عن سلطان العثمانيين ، ومستقida في مطامحه تلك من الحرب التي نشب بين روسيا وتركيا .

## في البحر المتوسط :

جاء ظهور العثمانيين في البحر المتوسط ، وما تلاه من تأثر العرب اللغوي والثقافي ، في وقت واحد مع تأليف الحكومات البربرية في المغرب . وقد اهتم بجمع الوثائق الوفيرة حول هذا الحدث مستعربون وغيرهم ، وكتبوا فيه أبحاثاً واسعة . واحدى الوثائق التي لا شك في أهميتها ، والتي يمكن أن تُحللنا على أعمال الفرمانة المريمية التي جرت في أوائل القرن السابع عشر ، هي في تقرير حول الجزائر وتونس ، تَدْمِيَه إلى دوق البندقية ج . ب . سلفاغو — وكان هذا كاتوليكيٌّ المذهب ، تركيٌّ التبعية ، وكان قد أرسِل في مهمَّةٍ خاصة إلى تونس الدينتين سنة ١٦٢٥ . وقد اهتمَّ بنشر تلك الوثيقة ١ . ساتشرودوتي في كتاب له عنوانه (Afrique, ou le pays des Barbares) يُعتبر جهداً نفيساً يساعد على معرفة تلك الفترة التاريخية الخامسة التي تقدَّم فيها الأخبار . أما الاعادة الكاملة لبناء تاريخ البحر المتوسط في القرون التي كان فيها ذلك البحر يعج بالرعب القاتل الذي زرعه القرصنة ، والمتاجرون بالعبد ، فقد عني بها م . بونو ، مؤلف كتاب (القرصنة والبربر) . في هذا الكتاب الذي استقبله النقاد بالثناء الواسع ، نجد دراسة دقيقة لتلك الأحداث التي تُعتبر بين أشرس الأحداث في تاريخ الإنسانية .

والى تاريخ البحر المتوسط في القرون الوسطى وفي العصر الحديث ، سرعان ما تبَّعَ الاهتمام التاريخي لدى المستشرقين، إيتوري روسيٌّ؛ وكان هذا من كبار المعنّين بالدراسات التركية من المستعربين ، وقد ساعده ذلك أكثر من سواه على أن يُعنى باللقاء الذي تسمَّى بين عالمين مختلفين في ذلك البحر ، ليقوم بدراسة بعض أحداثه استناداً إلى وثائق مزدوجة . ومن أبرز الأدلة على ذلك مؤلفاته النبوية التالية : ( حكم فرسان مالطة في ليبيا ، ١٥٣٠ - ٥١ ) و ( صلات جمعية الفرسان بطرابلس الغرب في القرون اللاحقة ، ١٥٥١ - ٩٨ ) و ( المراسلات بين كبار معلمي جمعية القديس يوحنا في مالطة وباليات )

طرابلس ، من ١٧١٤ الى ١٧٧٨ ) و ( والصلات بين كبار معلمي جمعية  
مالطة وباليات تونس ، من ١٦٤٢ الى ١٧٥٦ ) — الكتابان الاولان منها  
اسبق من سواها ، وهما من اوسع مؤلفات روسي حول طرابلس  
الغرب واراضيه ، التي ستنشير اليها فيما بعد .

وعلى الرغم من أنه ليس من قصتنا أن نمضي في تدوين جهود الباحثين الإيطاليين الرامية إلى معرفة تلك العلاقات مع دول البربر ، فإنه يبدو واجباً علينا أن نذكر أن كثيراً من العلماء المتخصصين بالعصور الوسطى والمؤرخين قد قاماً بابحاث في هذا الحقل ، مستندين في الغالب إلى اكتشافات واسعة لوثائق مستمدّة من السجلات . ومن هؤلاء الباحثين ذكر : ج . كابوفين - وج . فيدوغانو - ور . تشيبتي - و أ . غاليليو ؟ كما ذكر ، بالنسبة إلى إيطاليا الجنوبية وصقلية نسي نطاق السياسة في عالم البحر المتوسط : ج . لامانتيا - وج . موتي - وتشي تراسيلي - و ف . جونتا . ونحن حين نذكر هؤلاء ، ليس لنا من تصدّ غير الاشارة إلى الاتجاهات ، وكذلك الواقع المتعلقة بجزء من كتابة التاريخ الإيطالية خلال الأعوام الخمسين الأخيرة بالنسبة إلى تاريخ البحر المتوسط .

• • •

### القرن التاسع عشر :

بالقرن التاسع عشر - وهو نقطة الوصول ، بالنسبة إلى هذه المراجعة السريعة - تنتهي فترة الركود ، أو الانحطاط ، في العالم العربي ، وتبدأ بعد ذلك فترة النحر التدريجي من السيطرة العثمانية المسؤولة مسؤوليةً مباشرةً عن استنزاف المقدرة على التطور لدى شعوب الشرق الأدنى ، والمغرب ، نتيجة للمناخ الإداري التركي المرهق الذي استمر أكثر من ثلاثة قرون . وفي هذه البقظة يساهمُ الغرب بوجوده في مصر في نهاية القرن الثامن عشر ، بحملة نابوليون ، التي وضعت أمام العرب مثالياتٍ تختلف كلَّ الاختلاف عما عرفوه في الماضي التربّب الجديب ، وتدفعهم إلى الأخذ بأسباب الوعي القومي ، تمهدًا لقيام الحركات الثائرة ابتداءً من الحرب العالية الأولى . وكان بعض البلدان العربية ، منذ بداية القرن التاسع عشر ، قد أتجهَ إلى الخروج من الحكم العثماني الذي استمر أكثر من ثلاثة قرون ، ليصل إلى استرداد بعض ملامحه القومية الأصيلة . ولذلك نرى من

الاًنْسَبُ وَالاًنْفَعُ مِنْ جَمِيعِ الْوِجْهَاتِ خَتَمَ الْقَسْمُ الْآخِرُ مِنْ هَذِهِ الْمَرْاجِعَ ،  
مَكْتَفِي بِذَكْرِ جَهُودِ الْإِيطَالِيِّينَ الْعُلْمَاءِ فِي بَعْضِ الْحَقُولِ الْفَرْدَيَّةِ .

مِنْ السَّهْلِ الْحَدِسُ أَنَّ الْفَرْنَسِيِّينَ قَدْ سَاهَمُوا مَسَاهِمَةً جَلِيلَةً  
فِي كِتَابِهِ تَارِيخُ الْبَلَادِ الْمَغْرِبِيَّةِ الْمُخْلَفَةِ، مِنْذُ عَهْدِ الْفَتْحِ الْعَرَبِيِّ حَتَّى  
الْاِحْدَادِ السِّيَاسِيِّ الْمُعَدَّةِ الَّتِي اَنْتَهَىَ هَنَالِكَ بِالاستِعْمَارِ الْفَرْنَسِيِّ  
لِلْجَزَائِرِ وَتُونِسِ ، وَالْاِسْتِعْمَارِ الْفَرْنَسِيِّ وَالْإِسْبَانِيِّ لِلْمَغْرِبِ . وَأَمَّا  
جَهُودُ الْبَاحِثِيْنَ الإِيطَالِيِّيْنَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِتَارِيخِ الْمَفْرَبِ ، وَعَلَى الْأَخْصِ  
فِي الْوَضْعِ الْادَارِيِّ فِي تَلْكَ الْمَنَاطِقِ الْتَّلَاثِ ( الْفَرْنَسِيَّةُ ، وَالْإِسْبَانِيَّةُ ،  
وَالْدُّولِيَّةُ ) فَنَذَكِرُ مِنْهَا ، لِلْأَهْمَيَّةِ ، كِتَابَ ( تَقْسِيمُ مِرَاكِشَ – اَحْدَانُهَا  
الْسِيَاسِيَّةُ وَالْدِبْلُومَاسِيَّةُ ) لِلْبَاحِثِ سَ . نَافَا – وَلَوْ أَنَّ هَذَا الْكِتَابُ  
يَنْتَهِي بِشَكْلِ خَاصِّ إِلَى الْقَرْنِ الْعَشَرِيْنَ ، وَلَيْسَ مِنْ اِخْتِصَاصِ هَذِهِ  
الْدِرَاسَةِ – وَأَمَّا فِي تَارِيخِ الْحَدِيثِ ، أَوْ عَلَى الْاِصْحَاحِ فِي فَتَرَةِ تَارِيْخِيَّةٍ  
مُحَدَّدةٍ مِنْهُ ، فَنَذَكِرُ ( اِسْبَانِيَا وَالْمَغْرِبُ ، ١٨٤٤ – ١٩١٢ ) لِلْبَاحِثِ ا .  
فِيْسَتَا ؛ وَكَذَلِكَ كِتَابَ ( وَجْهَا الْمَغْرِبُ ) لِلْمَؤْرِخِ م . جَامِبِروُ ، وَهُوَ  
اَكْثَرُ تَحْدِيدًا . وَحَوْلِ الْجَزَائِرِ – وَالَّذِي لَدِينَا عَنْهَا قَلِيلٌ – نَذَكِرُ ( الْحَرْبُ  
الْجَزَائِرِيَّةُ التُّونِسِيَّةُ عَامُ ١٨٠٧ ، فِي مَذَكُورَاتِ دِبْلُومَاسِيِّ هُولَنْدِيِّ ) .  
وَهُنَاكَ كِتَابٌ اَخْرَى شَامِلٌ هُوَ ( تَارِيخُ الْجَزَائِرِ لِلْمَؤْرِخِ ر . رَابِنِرُو ،  
الَّذِي اُولَى اِهْتِمَامَهُ اِيْضاً لِلْحَرْكَةِ الْوُطْنِيَّةِ الْجَزَائِرِيَّةِ . وَأَمَّا التَّزَامَاتُ  
فَرْنِسَا فِي شَمَالِيِّ اِفْرِيْقِيَا فَنَدِيْدُ خَصْصَ لَهَا ف . دِيْ لُوبِجيِّ كِتَابًا .  
وَأَمَّا الْاِسْتِعْمَارِ الْفَرْنَسِيِّ لِاِفْرِيْقِيَا الشَّمَالِيَّةِ ، وَالْتَّدْخِلَاتُ ذَاتُ الطَّابِعِ  
الْدِبْلُومَاسِيِّ ، الَّتِي سَبَقَتْهَا وَرَافَقتْهَا وَتَلَتَّهَا مَؤْسَسَاتُ سِيَاسِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ  
وَدِينِيَّةٍ فِي كُلِّ الْبَلَادِ الْاِرْبَعَةِ ( الْجَزَائِرُ ، وَتُونِسُ ، وَمِرَاكِشُ ، وَلِبِيَا ) ،  
وَالْتَّغْيِيرَاتُ الَّتِي جَرَتْ عَلَى اِثْرِ اِنْتِصَالِهَا بِالْمَغْرِبِ ، فَانْتَنَا نَجَدُ لَهَا كُلَّهَا  
تَصْوِيرًا وَانْيَا فِي كِتَابِيْنِ قَيْيَيْنِ لِلْمَؤْرِخِ اِي . دِيْ لِبُونِي . وَقَدْ اسْتَفَادَ  
الْمُؤْلِفُ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ – فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمِرَاكِشَ خَاصَّةً – وَمِنْ وَثَائِقٍ  
جَدِيدَةٍ عَثَرَ عَلَيْهَا فِي السُّجَلَاتِ الْحُكُومِيَّةِ فِي جَنْوَا ، وَلِيُونُورُونُو ، وَنَابُولِي ،  
وَتُورِينُو . وَهَذَا الْبَاحِثُ عَيْنَهُ كَانَ مِنْ قَبْلِهِ قدْ وَضَعَ كِتَابًا حَوْلَ

( سياسة الوطنيين في افريقيا الشمالية الفرنسية ) ، ومتلا حوال ( مشكلة الوطنيين ومشاكل اجتماعية في الجزائر ) . واكثر عددا مما تقدم كانت كتابات الباحثين الاطفالين حول تونس . وكان بعضهم مدحوبا بعامل « المداعنة » عن ازمنة أخرى ، فلم يكن من الممكن تقدير اعمالهم هذه تقريبا مجددا . وكان بعضهم الآخر يتميز بالاتزان الرموق ، لتجزدهم عن التعمق « للقضية الإيطالية » التي طرحت خلال الحرب العالمية الثانية . ومن المنطقي ان يكون القطر المغربي الذي ازدادت فيه اهتمامات مستعربينا ومؤرخينا ، هو ليبيا ، وعلى الاخص طرابلس الغرب . وفي تاريخ هذا البلد من الفتاح العربي ( ٦٤٢ ) الى الاحتلال الاطالي ( ١٩١١ ) ترك لنا ايتوري روسي عملا رائعا لاعادة بناء هذا التاريخ . وقد اكمل كتابه هذا عام ١٩٢٨ تقريبا ، ولم ينشر الا بعد وفاته ، منذ بضع سنوات فقط <sup>(١)</sup> . وهو اوفى كتاب وادقه في هذا الموضوع – وهو في القسم الحديث منه يتوم بدبلا عن كتاب ( طرابلس الغرب من عام ١٥١٠ الى ١٨٥٠ ) للكاهن الفرنسيسكاني الاب كويستانتسو دابيرنيا ، وبضيف اليه تحسينات قيمة – وقد استند في كتابه هذا الى العديد من المصادر العربية والتركية ، مع دراسة نقديّة واسعة لها ، كما رجع الى وثائق وسجلات غير منشورة . نجاء كل نصل من فصول الكتاب التسعة عشر تصويرا وانيا مشبعا ، وقائما على تفكير عميق في الاحداث التاريخية ، والتاريخية السياسية خلال ثلاثة عشر قرنا . ولم يعن بالتعيميات ، بل اعتمد دائما اعتمادا دقيقا على النصوص . والذين عرفوا ايتوري روسي معلم لهم – كما عرّفه كاتب هذه المراجعة – يشهدون شهادة امينة بعданه لكلّ شكل من اشكال الحلول الوسطى بين البحث العلمي الجاد والهواية الارتجالية .

(١) تام الاديب الليبي خليبة الظبيسي بترجمة هذا الكتاب الى العربية ، ونشره في بيروت ، سنة ١٩٧٤ ( ع ٠٠٠ ) .

ان الاشارة الى المصادر العربية التي استند منها الباحث المذكور  
مواده الاولية لتأريخ ليببيا هذا ، ولمعد آخر من الابحاث ، يحدونا  
الى ان نذكر – حتى قبل هذه الابحاث – ترجمته الدقيقة لكتاب  
( تاريخ الوقائع العربية الليبية ، لابن غلبون ) وما علّقه عليه من  
هوامش وملحوظات . وهذا الكتاب ينفرد من بين المصادر العربية  
الاخرى لتأريخ ليببيا ، ليس فقط بامتداده الى سنة ١٧٢٢ ، بل  
باشتتماله ايضا على اخبار لا توجد في سواه ، حول الحياة التكربية  
المحلية ، ابتداءً من الحكم العثماني . ونرى من لفuo القول تأكيد  
أهمية الخدمة التي قدمها روسى للباحثين من غير المستعربين في تاريخ  
ليبيا ؛ فقد كانت ترجمته لكتاب المذكور من اهم المراجع في تاريخ  
ليبيا . ومن سلسلة كتابات هذا الباحث حول ليببيا ، وهي تؤلف  
حقلا خاصا في انتاجه الضخم النافيس ، نشير كذلك الى كتاب له حول  
( فزان وواحة غات ) ، والى صورة سريعة من ( تاريخ ليببيا من  
الفتح العربي الى سنة ١٩١١ ) حيث تعطينا لحة موجزة ، حسنة  
الشرح ، حول ذلك التاريخ .

هناك صفٌ كثيف من الباحثين الایطالين الذين قرروا اسماءهم  
بمشاركات في الموضوع عينه . ومن بين هؤلاء يجدر بنا ان نذكر  
ذلك ر . ميكاكى ، الذي كتب بحثاً تاريخياً حول ( طرابلس وليببيا  
قبل الاحتلال الایطالي ) وكتاباً بعنوان ( ليببيا تحت حكم آل قرمنلي ) .  
وآل قرمنلي هم اسرة اهتم بها كذلك من بعده الاب كوزستانسو بيرنيسا ،  
الذى تقدّم ذكره . ولاجل وضع الكتاب المذكور ، استعان ميكاكى –  
وكان موظفاً كبيراً في الادارة الاستيطانية حينئذ – بموادٍ وغيرها غير  
منشورة ، كانت متوفّرة في السجلات الاوروبية ، وتتعلق بليبيا تحت  
حكم الاسرة القرمنلية ( ١٧١١ - ١٨٣٥ ) وقد جاد بوضعها تحت  
تصرّفه . تومسكي ، وكان قد وضع لما كشفاً غنّياً بعنوان ( المصادر  
غير المنشورة في تاريخ ليببيا ) . وهناك اشارات أخرى الى الوثائق  
المحفوظة في السجلات الرسمية تُدمّها بعدئذ س . بونسو . وهنالك

عدد كبير آخر كبير من المؤلفات حول تاريخ ليببيا نترك ذكرها للمقدمة التي وضعها روسي لكتابه (تاريخ طرابلس) ولما الحقه من اضافات بيليوغرافية بمختلف الفصول . وأما ما له صلة مباشرة بالسنوسية — وكانت هذه قد دخلت منذ منتصف القرن الماضي دخولاً بارزاً في الاحداث التاريخية في بُرقة وطرابلس — فنتركها الى الاشارات البيليوغرافية التي تضمنتها كتابات كارلوس تللينو ، واليتي حول هذه الجماعة الدينية .

• • •

### أسرة محمد علي :

وناتي الان الى محمد علي ، رأس الاسرة التي حكمت مصر الى عام ١٩٥٢ ، والرجل الذي كان «باجماع الاراء» معيده مجد مصر بعد سقوطها في اوائل القرن الماضي في حالة من الفوضى ، كانت الحملة النابوليونية قد خففت من حِدتها آنياً نقط . لقد كانت جهود الباحثين الاطفالين حوله كبيرة ، غير ان القليل منها ذو قيمة حقيقة جديرة بالتقدير . ومن بينها جيما تتميز اعمال ا . سماراكو ، الذي عُهد اليه الملك فؤاد الاول بتكميل الوثائق الدبلوماسية الاطالية المتعلقة بِملك محمد علي ، ودراساتها ونشرها . وكان اي . غريفيني قد بدأ بجمع هذه الوثائق وادارتها ، وهو مستشرق متخصص بالدراسات التركية ، كان قد استُدعي الى القاهرة ليتولى ادارة مكتبة القصر الملكي . ومن هذه المجموعة النيسنة غير المنشورة ولِدَ القسم الأهم والأكثر اصالة من انتاج سماراكو التاريخي المتعلق بمصر الحديثة ، ومن ابرزها : ( رحلة محمد علي الى السودان ، من اكتوبر ١٨٣٨ الى ١٥ مارس ١٨٣٩ )؛ وكتاب ( مملكة محمد علي في الوثائق الدبلوماسية الاطالية غير المنشورة ) باجزائه الأحد عشر . لاجل هذه الكتب ، وغيرها مما تلاها ، قام المؤرخ بفحص قسم كبير من الوثائق العشرة الالاف المحفوظة في السجلات الحكومية في نابولي ، وفلورنسا ، وتورينو ، والبنديقية ، وفيينا ، مدققاً ومقارناً بينها ، ومستخلصاً منها حقائق

وتقديرات تاريخية جديدة كل الجدّة بالنسبة الى تلك التي كانت تميّز بها الكتابات التاريخية الشرقية والغربية حينذاك ، بسبب نقص الوثائق المصاححة .

ومن المؤسف ان اندلاع الحرب العالمية الثانية ، ووفاة الباحث بعدئذ ، كانا السبب في عدم انجاز العمل في عدد آخر من الاجزاء التي كانت متوقعة لهذا الكتاب ، عدا الاجزاء المنشورة منه . ولقد كان سُماروكو كذلك مؤلّفاً للجزء الرابع من الكتاب الفرنسي ( موجز تاريخ مصر ) حول مُلك عباس ، وسعيد ، واسماويل ؛ وكذلك المجلد الثالث من كتاب ذى خمسة مجلدات ، تبدأ من اوائل القرن التاسع عشر ، وتصل الى الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ ، وكذلك ( مُلك الخديوي اسماعيل ، من ١٨٦٣ الى ١٨٧٥ ) باللغة الفرنسية . وهذه كلّها اعمال اضجعتها الدراسة الجاءدة للوثائق المنشورة وغير المنشورة ، المتعلقة بالقرن التاسع عشر من التاريخ المصري .

وفي هذا القرن نجد تمييزات لجوء مع اوروبا ، كان قد بدأ من قبل في زمن محمد علي ، واستأنفه من بعده خلفاؤه بكثير من الاهتمام ، مما ساهم في وضع مصر على رأس البلدان العربية ، في الحقل السياسي ، والسياسي الثقافي ، وبمحمد علي يختتم كتاب ( تأسيس مصر الحديثة ، والمساهمة الابطالية في نهضتها السياسية والمدنية - فجر النهضة المصرية - ١٧٦٠ - ١٨٤٠ ) ؛ وهو رؤية شاملة ورائعة تمثّلها ا . فيرتسى . وكذلك كتاب ( القضية المصرية من سنة ١٧٩٨ الى ١٨٤١ ) تأليف بشّي . جيليو ، المعروف بباحثاته الأخرى في التاريخ والسياسة المتعلّقين بالاستيطان ، او الاستعمار . ومن هذه الفترة عينها انطلق باولو منفاتي في كتابه ( مصر الحديثة ) ، الذي يمكن اعتباره واحدا من اكمـل الابحاث وأحدثها في الاحداث التي جرت في منطقة الدلتـا من القرن التاسع عشر الى ثورة ١٩٥٢ .

ولا تختلف زميلـا نقطـة الانطلاق في الكتاب الآخر ( مصر من احداث ١٨٨٢ الى أيامـنا هذه ) بـجزـاه ، للباحث بـ . البيـتي ؟ وقد عنـي فـي

هذين الجزأين عنابية جادة بتحديد وجه مصر خلال الاعوام الثلاثين الأخيرة من تاريخها . وانطلاقاً من مقدرة المؤلف الغريدة ، وتحليلاته الدقيقة ؛ وبحثه الجاد ، استطاع — وهو موظف كبير في وزارة الخارجية الإيطالية — أن يكمل كتابه في عدة سنين ، كما يبدو من مقالاته المنشورة في مجلات مختلفة ، حول ازمنة معينة من تاريخ مصر الحديثة .

ويمكننا ان نذكر بين المصادر التاريخية ذات الاهمية القليلة او الكثيرة ، اضافةً الى كتيب للباحث او . توسي ، اعمالاً ايطالية عديدة تساهم في معرفة تاريخ مصر بين قرنين . وقد اغفلنا الاشارة اليها لأن مؤلفات منغاثتي قد اشارت الى اهميتها في ثانيا الفصل .

### قناة السويس :

وقناة السويس ، التي ولدت في القرن التاسع عشر باهتمام دولي ومصالح مشتركة ، وبباركة الجميع ، ولم تثبت ان اصبحت مثار جدل محظوظ على اثر تأييم عبد الناصر لها في صيف سنة ١٩٥٦ ؛ لقد كثُرت حولها الابحاث والدراسات والمقالات ، ليس فقط من قبل المؤلفين الذين سبق ذكرهم ، بل من قبل كثيرين آخرين وتنووا العديد من المقالات على هذه المشكلة الشائكة ، لكي يبرزوا بشكل خاص تعقيداتها السياسية والقانونية . جميع الظروف التاريخية الماضية والحداثة التي كان فيها ذلك الممر المائي ذا دور حاسم من حيث النقل العسكري ، كانت تبدو مناسبات تفرض على الباحثين خوض ذلك الموضوع . وكما ان الحرب الإيطالية الحشيشية ، عام ١٩٣٥ ، أوجت الى سواركو بن يكتب مقاله (الحقيقة حول قناة السويس ) ، وعنوانه يربينا بيكه سابقة برمجة لدى المؤرخ لقاء الضوء على قضايا ذات اهمية رئيسية ، كذلك اوجت اليه الحرب العالمية الثانية بوضع كتابه (السويس — تاريخ ومشكلة) . ولكن في هذه المرة اراد ان يوضح لنا بعض الوجه بشكل اوسع ؛

وامتنادا الى وثائق مصرية واوروبية غير منشورة . وقبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية مباشرة ، خرج الى النور كتاب بعنوان ( قناة السويس والعلاقات الانجلو مصرية ) للباحث ب . البيتى ؛ وكتاب ( السويس ) وفيه أعادَ اي . انكيرى طبع كتاب كان قد نشره قبل ذلك بعامين ، واكلمه باحدث المعلومات . والبليوغرافية الفنية التي يتضمنها هذا الكتاب تُغنينا عن اية اشارة اخرى .

### السودان :

وهناك عبء آخر في التاريخ المصري الحديث ، وقد ظل كذلك عشرات السنين ؛ ذلك هو السودان الانجلو مصرى ؛ وهو حكم مشترك عاصف كان قد تقرر منذ سنة ١٨٩٩ لذلك القطر الواسع جنوبى نهر النيل ، ولم يكن اقلً من قناة السويس اثاره للنزاع والفوبي بين حُكُمِّين متخالفين . وقد اضطرب الانجليز والمصريون الى النزول عند مطالبة اهله الشرعية بالاستقلال . وأعلن الاستقلال رسمياً في ديسمبر ١٩٥٥ . وقد خصص سماروكو ، ومنغانتى ، والبيتى ، فسي مؤلفاتهم المذكورة آننا ، فصولاً لهذه القضية ، فأوضحاوا ببراعة مائقة الوجوه البارزة المختلفة ، وأصدروا في ذلك تقييمات موضوعية . وقد قام اي . انكيرى ، او . توiski بتحليل احداث الامس واليوم في مصر ؛ الاول فعل ذلك بكتابه ( تاريخ السياسة الانكليزية في السودان ، ١٨٨٢ - ١٩٣٨ ) والثانى في صورة سريعة للقضية اجملها في كتاب يضاف مع كتابه السابق حول مصر لوحدة عضوية ذات وجهين . وواسع من ذلك كتاب وضعه ١ . ميلليني بونشه دي ليون ، عنوانه ( تاريخ السودان الشرقي وبعض وجوهه - السودان الانجلو مصرى ) ؛ وهو جدير بأن نذكره بين الاعمال الحديثة جداً ، وبالتالي بين اوفاها واثملها ، ولكنه يخلو من اية اشارة الى الوضع الذى انتهى اليه البلد حالاً بعد الحرب العالمية الثانية ، حين احتمم النزاع بين الوحدويين ، الذين كانت القاهرة تشرف على تنظيمهم وتوجيههم لدعم الوحدة مع مصر ، ومعارضيهم الاستقلاليين .

## ختام :

بهذه الاشارة الى اهم الاحداث التاريخية والانعطافات السياسية في العالم العربي في نهاية القرن التاسع عشر ، التي اوضحتها ايضاً ايسحاكا كانوا النصول الاخيرة من الابحاث التاريخية العامة والجزئية ، نختتم هذه المراجعة السريعة لأهم الجمود الايطالية في حقل التاريخ العربي خلال الاعوام الخمسين الاخيرة . وقد لا يكون الحصاد وافراً في بعض الحقول ، ولكنه وافر فعلاً في حقول اخرى . وقد جمعناه ما عُنى بتاليته المستعربون ؛ وهم ذوو خضل في انهم كثيراً ما هبوا للباحثين الآخرين امكانية الوصول مباشرةً الى المعلومات ، او بالآخرى تَدَمُوا لهم المثل في التخصص المهني ، والانقطاع الى دراسة عالِمٍ ظلت البحوث الخاصة بمسيرته التاريخية زمناً طويلاً <sup>تُعتبر</sup> هامشيةٌ بالنسبة الى تاريخ الانسانية الْأَكْبَر ، ولكنه اليوم - اخيراً - لم يُعَذَّ خارج نطاق الابحاث العلمية المتخصصة .



مَعَ الْكِتَبِ

# رَأِيَاتُ الْمُبَرَّزِينَ وَغَایَاتُ الْمُمِيَّزِينَ لِابْنِ سَعِيدِ الْأَندَلُسِيِّ<sup>(١)</sup>

مراجعة : الدكتور محمد حسوان الدايم

(أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة دمشق)

- ١ -

بعد اضطراب أحوال الاندلس في القرن السادس الهجري ، كثُرت الهجرة عنها إلى بلاد المغرب والشرق . وكان في العلماء الأدباء الذين قصدوا إلى المشرق أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد ؛ وهو أندلسي من قلعة يَحْصَب (قرب غرناطة) ، ولكنه اشتهر في الشرق بابن سعيد المغربي ، باعتبار أن ما وراء مصر جميماً مغرب .

وكان موسى والد علي يعمل مع الموحدين ، ثم انضم إلى ابن هود في مدة سلطنته على قسم من الاندلس (٦٢١ - ٦٣٥) . ثم غادر موسى وابنه علي إلى تونس فمصر . واشتهر ابن سعيد في مصر والشام والعراق وغيرها أديباً شاعراً مصنعاً ، وترك عدداً من المصنفات ، طبع بعضها وما زال بعضها مخطوطاً .

وقد اظرف ابن سعيد (الأندلسي) أهل المشرق بطرف من أخبار بلاده ، وبترجمات أدبائها ورجالها ، وأشاع بينهم الواناً من أشعارهم وموشحاتهم وأزجالهم ورسائلهم ... الخ ، فكان بحق رسولاً من رسول الثناء الاندلسية إلى المشرق الذي كان متعطشاً إلى الطرف الاندلسية والمغاربية .

ومن أشهر كتبه ، وهي مطبوعة : «المُغْرِبُ فِي حُلَى الْمَغْرِبِ» ، و«الفصون اليانعة في محسن المئة السابعة» ، وكتاب في الجغرافية ،

(١) تحقيق الدكتور النعمان عبد المعتمل التافسي - القاهرة .

وكتاب « المُرْقِصُ وَالْمُطَرِّبُ » المطبوع باسم : « عنوان المرقصات والمطربات ». وفي كتابه ايضاً : « رأيَاتُ الْمُبَرَّزِينَ وَغَایَاتُ الْمَبَرَّزِينَ » الذي نعرض اليه ، ولتحقيقه .

وكتاب الرأيَات هو مختارات شعرية مختصرة ، اعتمد فيه المؤلف اساساً على كتابه الآخر : « الْمُقْرِبُ فِي حُلَى الْمَغْرِبِ » . وقد قسمه الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : يختص بجزيرة الاندلس ؛ وجعله في ثلاثة اقسام داخلية، (غرب الاندلس ، ووسطها ، وشرقها ) .

والقسم الثاني : يختص بال المغرب، وهو في ثلاثة اقسام داخلية ايضاً، (المغرب الاتحى - المغرب الاوسط - المغرب الادنى « افريقيَّة » ) .

والقسم الثالث : يختص بجزيرة صِقلِّيَّة .

ويقوم اختيار ابن سعيد في كتابه على منهج يتابع فيه ما نجده في كتابه : « عنوان المرقصات والمطربات » : من التفريق بين انواع النظام والكلام بحسب منهج خاص ، وذوق معين ...

فهو يحتفل احتفالاً كبيراً ، بالغريب من المعاني ، والبعيد في الخيال ، والجديد المخترع من المعاني والصور . ولهذا قال في مقدمة « الرأيَات » (ص ٢١) : هذا مجموع اوردت فيه من غرائب شعراء المغرب ما كان معناه ارق من التسييم ، ولفظه احسن من الوجه الوسيم ، ليرتَّ على نداء ريحان القلوب ، وتنعلق الاسماع بمعاده تعلق عين الحب بطلعه المحبوب ... وحق له ذلك إذ قُمِصَ الفاظه مثصلة على قدود معانيه ، وزخرف اقتاته من حسن مبانيه ؛ واشتهرتُ مع هذا الا اورد منه الا ما لم يُسبِّتوا الى معناه ، او استحقّوه بزيادة او حسن عبارة ، أَبْرَزْتُه بعد تجويفه في حلاه .. » .

وهو سفر لطيف الحجم، يشغل ما بين صفحة ٣١ ، ١٥١ من المطبوع . وتشغل مقدمة المؤلف ثلاث صفحات .

اما مخطوطة الكتاب فهي نسخة وحيدة متأخرة ، لا تخلو من تصحيف وتحريف هنا وهناك ، غير ان خطها نسخي جميل جمود .

وليس طبعة الكتاب الجديدة هي الطبعة الاولى ، فمنذ سبق ان حققه المستشرق الاسباني الباحث القدير غارثياً غومس، في مدريد سنة ١٩٤٢ ، ثم نهض بعده نشره ثانية الدكتور النعمان القاضي في القاهرة .

وقدّم الدكتور القاضي لكتاب بمقدمة طويلة نسبياً ( نحو ٣٠ صفحة ) من كتاب لا يتجاوز ١٨٤ صفحة بفهرسه وملحقه . وهي مقدمة يستثنى عن كثير مما فيها، كما سأليّن .

والامر المطلوب في مقدمة كتاب كهذا ان يعرّف الحقائق المؤلف الكتاب ومخطوطة الكتاب ، وان يتحدث عن مضمون الكتاب ومنهجه ، ومصادر المؤلف ومراجعه ؛ ولله ان شاء ان يقوّمه ويضعه في مكانه من الكتب المماثلة ، إن وجدت ، وما اشبه ذلك ...

ولكن الحقّ رَحَّمْ المقدمة وطَوَّلَها بموضوعات من نافل القول ، واضطر - وقد جَرَّ الكلام بعضه بعضاً - الى اطلاق الاحكام العامة ، والى البت في تفصايا اندلسية ما زالت مدار بحث ، لم يقطع فيها المتخصصون انفسهم ، ووقع في اخطاء تاريخية وادبية كثيرة !

وتتذوّر مقدمة الحقّ حول ثلاثة امور :

١ - الحديث عن وحدة الفكر العربي على مر العصور ، وعن ارتباط الاندلس بالشرق . وقد اضطرب الحقّ في هذه العلاقة وتحديدهما .

٢ - الدفاع عن الحضارة الاندلسية ، وللاعتذار عن غياب بعض الاغراض ، كالشعر الفلسفي الذي نجده في شعر المعري ؛ واعتذر عن غياب بعض فنون القول ، كالذى ظهر في الغرب !!

٣ - الحديث عن كتاب الريات ، وصاحبه ، وعن الطبيعة السابقة ( بتحقيق غارثيا غومس ) .

ولم يوفر حماسته البالغة حين وصف المحقق السابق<sup>(١)</sup> لنص ريات البرزین بالعجمة ( عجمة المحقق ، صفحه ٢٦ ) ، وبوقوعه في المزالق ، صفحه ٣٠ ، وبأنه يتصرف بالففلة، هامش صفحه ٥٣ الخ . وهناك مسوّغات كثيرة لنشر الكتاب ثانية دون الوقوع في عمل المستشرق القدير وشخصه . وهذه هنـو من هفوات الدكتور القاضي في هذا الكتاب وسنعد لك منها اشياء .

- ٢ -

من احكام المحقـق الخطأة ، في مقدمته ، ما قررـه جازما بأنه كان من الصعب اشاعة وحدة سياسية في الاندلـس ( صفحـه ٥ ) . وقولـه ان ابن عبد ربه جمع مادة كتابـه كلـها من آثار المـشرق . ( صفحـه ٨ ) . ومعلوم ان في العـقد تبـذاً اندلسـية تمنع ذلك التعمـيم . ومنه حكمـه على الشـعر الاندلـسي بأنه يصطبـغ بصبغـة المحافظـة ( صفحـه ٩ ) على غـموض العـبارـة ، وقصرـه مهمـة العـرب في صـقلـية على نقلـهم التـراث اليـونـاني الى ايطـالـية وسـائر اورـوبـة !! ( صفحـه ٦ ) . وقولـه ان ابن شـهـيد تـأثر ابا العـلاء المـعـري ( صفحـه ٩ ) ! وغمـوضـه في قوله عن الاندلـسيـين ان تـجـديـدهـم « لا يـتجاوزـونـ التـعمـقـ فيـ الخيـالـات دونـ المسـاسـ بالـجوـهـرـ » ! ( صفحـه ٩ ) ، واشـادـته بشـاعـرـية ابن قـزـمانـ ( صفحـه ٩ ) عـلـماـ بـأنـهـ كانـ زـجـالـ الاندلـسـ ، اـمـاـ شـعـرهـ فـكانـ منـ طـبـقةـ دونـ طـبـقةـ الـاجـادـةـ . . . اوـهـامـهـ فيـ ذـلـكـ وـاسـعـةـ كـثـيرـةـ .

---

(١) يظهر لـى أنـ المـحقـقـ الدـكتـورـ القـاضـيـ لمـ يـطـلـعـ علىـ كتابـ ( الشـعرـ الاندلـسيـ ) بـحـثـ فيـ تـطـورـهـ وـخـاصـائـصـهـ ( الذىـ تـرـجمـهـ دـ. حـسـينـ مـؤـنسـ وـطـبـيـعـهـ مـرـتـبـتـ فىـ القـاهـرةـ ) . . . فـانـ غـومـسـ اـعـتـدـ اـسـاـ فىـ هـذـاـ الكـتابـ عـلـىـ نـصـوصـ " رـيـاتـ البرـزـينـ " .

وأنفق قسماً من المقدمة للحديث في نشأة المؤشّحات ، ونصر راي الدكتور شوقي ضيف الذي تبنّاه من القول بالاصل المشرقي للمؤشّحات ، علماً بأنّ كتاب "الرأي" لا يذكر المؤشّحات ولا يبرّ بها – عدا ذكره خرجة واحدة صنفحة ٧٩ من موشحة لابن بقيّ ! – .

وفي الجملة، هي مقدمة مشوّشة ، كان الاجدر بالحق أن يقتصر فيها ولا يغوص في قضايا لم يُبيّن فيها ، او في قضايا هي بحاجة الى بحث موسيع لتتبين معالمها ..

### - ٣ -

ونظراً لكثرـة الملاحظـات التي سـجلـتها على حواشي نـسـختـي من الكتاب ، سـاقـتصرـ على بـيـنـذـ منها في أبواب مـتـفرـقة منـ الحديث ؛ وـسـأـكـفـيـ بـقـسـمـ منـ الـاتـسـامـ الـثـلـاثـةـ فيـ الـكتـابـ (ـ الـقـيـمـ الـأـوـلـ )ـ فـغـلـيـتـيـ هيـ تـقـدـيمـ النـماـذـجـ ، وـمـنـاقـشـةـ منـهـجـ الـحـقـقـ ، وـمـرـاجـعـةـ بـعـضـ الـقـضـائـاـ ..

وأول ما ابدا به أمر هام يتعلق بحصول تحقيق النصوص ، وهو الاخذ بالنص والتقييد به ، وعدم الخروج عنه . وفي النسخ الوحيدة لا يكون التبديل الا بترينة واضحة او مرجع واضح ، وينبه الى ذلك في مواضعه ، كما ينبه الى ذلك في خطة العمل . وقد يكتفي بعض المحققين باثبات النص على حاله مع التعليق والتصويب في الحواشي .

وقد وجـدتـ الدـكتـورـ القـاضـيـ يـخـالـفـ النـصـ ، وـيـخـرـجـ عنـ روـايـتهـ الىـ روـايـةـ مـصـادـرـ أـخـرىـ دونـ سـبـبـ اوـ دـاعـ الىـ ذـلـكـ .

١ - في الصفحة ٤١ ، قال ابن زهر الإشبيلي :

وموسـدينـ عـلـىـ الـأـكـفـ خـدـوـدـهـمـ      قـدـ غالـلـهـمـ ضـوءـ الصـبـاحـ وـغـالـنـيـ  
وـهـذـهـ روـايـةـ "ـالـنـفـحـ"ـ وـ"ـالـوـفـيـاتـ"ـ ؟ـ اـمـاـ روـايـةـ المـخـطـوـطـةـ الـاـصـلـيـةـ فـهـيـ  
ومـوسـدينـ عـلـىـ الـخـدـودـ أـكـفـهـمـ      قـدـ غالـلـهـمـ ضـوءـ الصـبـاحـ وـغـالـنـيـ

ومن العجب مخالفة النص في هذا المجال .

ب - في الصفحة ٤٣ انشد قول مفوان بن ادريس ، صاحب كتاب "زاد المسافر" :

أَبْعِنِكَ الشَّرَاءُ عَيْنُ ثَرَةٍ      منها تررق دمعك المفوح  
شَتَرْتَ      فَقْلَنَا زورقَ      في لَجْنَرٍ      مالت باحدى جانبيه الريح  
رواية المخطوطة :

"مَالَتْ فَقْلَنَا زورقَ .." الخ . مخالف النص الى سواه ، وكان حقه ان يرجع الى "زاد المسافر" مفحة ٩٢ حيث روى مفوان الابيات لنفسه !

ج - في الصفحة ٤٦ من شعر ابى الصلت امية بن عبد العزيز :

قال حسودي وتد رآه      يُخْبِتْ تحتى الى القتال

والبيت ، في جملة ابيات ، في صفة فرس وروايته في المخطوطة :

قال حسودي وتد رآه      يُجْنِبْ خلفي الى القتال  
نبذله مُخْللا رواية "التفع" على رواية النص الاصلية "والخريدة" معاً !

د - في الصفحة ٤٦ ، عن شعر ابى الصلت :

لا غرو ان سبقت يداك مدائحى      وتدفقتْ جدواك ملء إيانها

رواية النص : لا غرو ان سبقت علامك مدائحى ...

ه - في الصفحة ٤٧ : وقال في فرس اصفر . وفي الامثل المخطوط : في فرس اكحل !

و - في الصفحة ٥١ وصف الشاعر تباليلاً القصب بمرّ الهواء على مجلس الشراب حتى لشم رؤوسهم ، وقال للساقى :

أَسْهِمْتُ      بِنْ اكوابنا ولو أَنْهَ سكرانٌ يطفع ، حقَّ مالئم الرقوس

رواية المخطوطة :

”الْثِمَةُ مِنْ اكوابنا ..“ الخ . بيدلها المحقق ، وضيّعه ان الناسخ اوردتها (أليثية) فلم يهتم الى تصحيفه ، وبدل الكلمة برواية المغرب .

### ز - في الصفحة : ٧٧

واذا نظرت الى محسن وجهه ابصرت وجهك في ثناء غريقا اوردها (ثناء) اجتهادا . وترك رواية الاصل وهي (ابصرت وجهك في ثناء غريقا) . والابيات مشهورة جدا لابن عبد ربّه وتتردد في ترجمة .

• • •

ويتحقق بهذه الفقرة خطأ المحقق في قراءة بعض الكلمات . وكثيرا ما تجده يلتئس رواية او يصوّب كلمة ، ولو أنه قرأ النص على وجهه لاستقام له وانفتح . في الصفحة ٢١ قال ان الكلمة في المخطوطة (إذن) وحولها الى (آذن) . وهي في الاصل مهملة من المهز ! وفي الصفحة ٣٨ قرا (زِدْتُك) و (زاد) وحولها الى : زُرْتُك وزار . وهما كذلك في المخطوط ! ولكن خفي على المحقق قاعدة كتابة الخط النسخي . وفي الصفحة ٢٤ قرا العبارة (قتلت به) وصوّبها الى (قتل إيه) وهي كذلك في الاصل . وفي الصفحة ٤٧ قرا العبارة (وقرّ به) واثبّتها : فَقَرَّ بِهِ ، وهي كذلك في الاصل .. الخ .

ومما اخطأ في قراءته واثبّته على خطنه قوله، منحة ٦؛ “وانشد صاحب الخربدة لأنبية بن عبد العزيز في ( مجرة طبيب ) هكذا ، وصوابها في مجرة ( طبيب ) ، وهي كذلك في المخطوطة !

### - ٤ -

وفي ضبط بعض البلدان وهم او خطأ . في الصفحة ٣٨ ( رُنْدَه ) بفتح الراء ، والصواب ( رُنْدَه ) بالضم . وفي منحة ٥١ : وقد قعدنا بالغروس على نهر اشبيلية . والصواب : قعدنا بالعروس ( بالعين

المهله ) على نهر اشبيلية ( ديوان ابن سهل الاشبيلي صفحة ٩٢ )  
و ( العروس ) من متزهات اشبيلية .

وفي صفحة ٥٢ وردت ( مدينة مُنْبِش ) مشددة النون ، ثم  
اوردتها بعد سطر بنون مفتوحة مخففة ( مُنْبِش ) . وفي المغرب ( مُنْبِش )  
بنون مخففة مكسورة . وفي جغرافية الاندلس وأوروبا ( قطعة من المسالك  
والمالك للبكري صفحة ٦٢ ، ٦٣ ) مدينة مُنْبِشة Mantesa  
بناء زائدة . وكان يُحْسَن أن يوحّد رسم الكلمة ويراجعها على المظان  
الجغرافية الاندلسية .

وفي صفحة ٦١ قال : هي مدينة ( يابُرُه ) بباء ساكنة ، وصوابها  
( يابُرُه ) بباء مضمومة .

وضبط مدينة شنترين ( صفحة ٦٤ ) بكسر التاء والصواب فتحها .  
وفي الصفحة ( ٨٦ ) عرف ( الزاب ) بأنه بلد بالأندلس !! والصواب  
انه، كما في الروض المعطار : في اطراف الصحراء من عمل إفريقية .

وضبط ( مَقْلِبة ) بفتح الصاد ، والصواب كسرها . وهي :  
١٢٧ ضبط ( مُكناة ) بضم الميم والصواب كسر الميم ...

وتحدث في المقدمة وفي الحواشي عن جزر ( البليسار ) والعرب كانت  
تسميها الجزائر الشرقية ، وهي مبورقة ومنورقة وبابسة .  
ووَقَعَ مثلُ هذه الاوهام في ضبط بعض الاعلام او التعريف بهم ،  
ما هو ظاهر او معروف . فهو ضبط ( الخَشْنِي ) بسكون الشين ،  
والصواب فتح الشين : صفحة ( ٤٠ ) .

وضبط غياث ( صفحة ٥٣ ) غَيَاثٌ على وزن شَدَادٍ !  
وضبط ابن دُحْبِيَة ( صفحة ٥٣ ) بضم الدال ، والصواب ( بِحْبِيَة )  
بكسر الدال .

وقال في نسب ابن حزم إنـه ( أبو محمد علي بن أبي عمرو بن حزم ) والصواب ( ابن أبي عمر ) . ( صـفـحة ٦٩ )

وفي المـنـحة ٤٢ في الحـاشـية ( ٨ ) عـرـف بـابـي بـكـر مـحـمـد ، وـهـوـ منـ بـنـي عـمـ اـبـن زـهـرـ المـعـرـوفـ بـالـحـفـيدـ فـقـالـ : «ـ هـوـ اـبـو بـكـرـ بـنـ زـهـرـ الـاـصـفـرـ ، وـهـوـ اـبـنـ عـمـ الـاـكـبـرـ . . . . » . فـأـخـطـاـ في تـعـيـنـ اـبـنـاءـ زـهـرـ الـتـلـاثـةـ . وـالـصـوـابـ اـنـ الـمـرـجـمـ فـيـ الـصـفـحةـ ٤٣ـ وـاحـدـ مـنـ اـسـرـةـ بـنـيـ زـهـرـ ، اـمـاـ الـاـخـرـانـ فـاـحـدـهـماـ اـبـنـ زـهـرـ الـحـفـيدـ اـبـوـ بـكـرـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ ( تـ ٥٩٥ ) وـالـثـانـيـ جـدـهـ اـبـوـ عـلـاءـ زـهـرـ ( تـ ٥٢٥ ) .

ونـقـلـ اـبـنـ سـعـيـدـ خـبـرـاـ عـنـ شـيـخـهـ الـاـعـلـمـ الـبـطـلـيوـسـيـ ( تـ ٦٤٢ ) . فـلـقـ المـحـقـقـ فـيـ الـحـاشـيةـ ( ٤ ) : «ـ هـوـ غـيرـ الـاعـلـمـ الـبـطـلـيوـسـيـ صـاحـبـ التـالـيفـ الـمـشـهـورـةـ : . . . السـخـ » . وـهـذـاـ وـهـمـ . وـهـوـ يـرـيدـ : الـاعـلـمـ الـبـطـلـيوـسـيـ غـيرـ الـاعـلـمـ الشـفـقـيـ ( تـ ٧٦ ) صـاحـبـ التـالـيفـ الـمـشـهـورـةـ . . . ( هـذـاـ فـيـ الـصـفـحةـ ٤٨ ) .

وـعـرـفـ باـحـدـ الـأـبـاءـ الصـقـلـيـنـ فـقـالـ : ( اـبـوـ الـحـسـنـ عـلـيـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ اـبـيـ الـبـشـرـ ، الكـاتـبـ الصـقـلـيـ ) ، وـالـصـوـابـ اـنـهـ الشـاعـرـ الـكـاتـبـ ، وـلـهـ دـيـوـانـ طـبـعـ مـرـتـيـنـ !!

واـسـتـغـرـبـ المـحـقـقـ ( صـفـحةـ ٢٣ ) اـنـ يـنـسـبـ المؤـلـفـ اـبـنـ رـشـيقـ الـىـ الـمـسـيـلـةـ ( الـمـحـدـيـةـ ) !! وـلـيـسـ فـيـ هـذـاـ عـجـبـ لـاـنـهـ مـولـودـ بـهـماـ ، وـإـنـ اـشـتـهـرـ بـابـنـ رـشـيقـ الـقـيـرـوـانـيـ .

## - ٦ -

وتـجـدـ بـعـضـ الـاـلـفـاظـ مـضـبـوـطـةـ بـالـشـكـلـ بـمـاـ يـخـالـفـ الصـوـابـ ، اوـ بـمـاـ لـيـتـقـنـ مـعـ الـمـعـنـىـ . وـقـدـ يـكـونـ شـيـءـ مـنـ هـذـاـ مـنـ اـخـطـاءـ الـطـبـاعـةـ . مـنـ ذـلـكـ وـرـوـدـ كـلـمـةـ ( ذـخـرـ ) بـالـذـالـ ، اـخـتـ الدـالـ ، مـرـتـيـنـ ( صـفـحةـ ٢٦ ) وـهـوـ يـرـيدـ ( زـخـرـ ) بـالـزـايـ ، اـخـتـ الرـاءـ .

وضبط ( الكلة ) ( صنحة ٧٠ ) بفتح الكاف وهي ( الكلة ) بالكسر ،  
لمعنى الستر الرقيق ...

وفي الصنحة ( ٧٢ ) قال أحد شعراء "الرايات" :

امسى النِّرَاشْ يطوف حول كُووسنا      اذ خالَمَا تحت الدجى قتديلا  
ما زال يخنق حولها بجناحه      حتى رَمَته على النِّرَاشْ قتيلا !  
ضبَطَ المَحْقَ ( يخنق ) بضم الفاء ، والصواب كسر الفاء .  
وزاد ان ضَبَطَ ( النِّرَاشْ ) في البيت الثاني بالفتح ، والصواب بالكسر ،  
للتضليل المعنى .

وضَبَطَ المَحْقَ ( صنحة ٨١ ) كلمة ( كناس ) بضم الكاف ،  
والصواب الكسر لانه يريد الماوی الذي يلجا اليه الظبي .

وضبط كلمة ( كبد ) بكسر الباء ( صنحة ٤٩ ) والصواب فتح  
الباء ، يريد معنى المشقة ، والبيت من قطعة في وصف فواره :  
يا حسن فواره للاقف راجمة      بالشَّهْب تَنْزُو نَزْوَ الْوَاثِب الْمُعَبِّر  
الى البحيرة مثل الأيم من رَعْبِر      يناسب عنها حباب الماء مندفعا  
كانما مار تحت الارض في ( كَبَدٍ ) :      فحين ابصر وسماً جَدًّ في الهرب ..

وفي ( الصنحة ٤٢ ) "كافورتي" ضَبَطَها بكسر التاء، والصواب فتحها  
كما في المقرب ١ : ٢٤٨ من قول الشاعر :

وبِضَاءَ تَحْسِبُهَا دُرَّةَ      تذوب اذا ذُكرت او تكاد  
تُنْمِيْ بِالْسِكِّ كافورتَيْ      مُجَيَا حوى الحسن طُرَا وزاد ..

ولم يُعْنِ المَحْقُق بِإِضَاحَاتِ اشْتِرَاكِ الْمُؤْلِفِ النَّحْوِيِّ بِالْمُقْتَضَى  
الْتَّحْقِيقِ إِذَا حَدَّثَهُ أَوْ يَحْسُنُ ؛ وَهِيَ اشْتِرَاكَ هَامَةً بِالْتَّقْيَاشِ إِلَى تَبْيَانِ  
مَنْهَجِ الْمُؤْلِفِ وَمَوْقِفِهِ النَّقْدِيِّ .

في الصفحة ٥٩ قال الشاعر :

انهض ابا طالب البنا واسقط سقوط الندى علينا  
وكان حقه ان يشير الى بيت عمر بن أبي ربيعة :  
واسقط علينا كسقوط الندى ليلة لا ناه ولا أمر  
وفي صفحة ٥٩ نفسها :

يا ايها الملِكُ الذي آباؤه شُمُّ الانوف من الطراز الأول  
وكان حقه ان يضع الشطر الثاني بين قوسين ...

وفي الصفحة ( ٧١ ) ورد بيت ابن زيدون :  
تهـ، أحـتـيلـ، واستـطـيلـ، أصـبـيرـ، وعـرـزـ، أـهـنـ  
وـوـلـ، أـقـيلـ، وـقـلـ، أـسـمـعـ، وـمـرـ، أـطـيـعـ

وقال المؤلف ابن سعيد انه احسن من بيت المتنبي . ولم  
ينبه اليه المحقق . وقتل مثل هذا في اشارة المؤلف الى متابعة ابن  
شهيد لأبيات امرئ القيس ، ولم يشر المحقق اليها .

وفي الصفحة ٧٤ قال الشاعر :

نانَ قرین السوء يُعدِّي، وشاهدي ( كما شرقت صدر القناة من الدم )  
وكان يَحْسُنُ ان يشير الى انه شاهد نَحْوِي في تصيد للاغشى .

اما الشروح التي أضافها المحقق مكانت احيانا سريعة لا تُفْنِي ،  
وكان احيانا يَسْكُت عن شرح ما يجب شرحه ؛ وهو كثير ، اذْكُر منه  
مثلا تعليقه على قول الشاعر :

خلان قد كَثَر الكافور ذاك وتد عَقَ العقيق احرارا ذا وما ظلما !  
وقال : « معنى كفر : سترا » . والصواب : انسه اخذ من الكافور  
فعلا ، ومن العقيق فعلا ، ولهذا قال : وما ظلما .

وفي الصفحة ٨٣ مَرَ ذكر الدولاب ولم يشرحه ، وهو الناعورة .  
وأورد ابيات ابن القوطية واولها :

إِشْرَبْ عَلَى السَّوْسَنِ الْفَضِّ الَّذِي فَعَمَا  
وَبَاكِرِ الْأَسَّ وَالْوَرَدِ الَّذِي بَخْمَا  
والصواب الذي نجما ، وهذا ظاهر . ولم يشرح "فَعَمَّ" وإن  
شرح غيرها من الانفاظ في القطمة !

— وما يسلك في الوهم ، والسرعة في العمل قوله (صفحة ٧١) في التعريف بالكاتب ابى يحيى ابى بكر بن هشام القرطبي فـى  
الحاشية (٥) : كانت له كتيبتان !! — واضاف ايضا — : على عادة  
أهل الاندلـس ! فهذا خطأ مرـكب ؟ فلم يكن من عادة اهل الاندلـس  
ان يتخدوا كـتـيـبـاتـا الا في القليل ، وعلى الاحكام التي تعرف فـى المـشـرقـ  
(للـحـربـ وـالـسـلـمـ .. السـخـ) . ومن جـمـةـ اخـرىـ نـالـتـرـجـمـ اـسـمـ اـبـوـ بـكـرـ  
وـكـتـيـبـهـ اـبـوـ يـحـيـىـ ، وـلـكـنـ الـامـرـ التـبـسـ عـلـىـ الـحـقـقـ !

— ومن ذلك قوله ان ابـا بـكـرـ بنـ مـيمـونـ صـاحـبـ شـرـحـ (ـ الجـلـ)ـ ؟  
وـكـرـرـ هـذـاـ فـيـ الـاـصـلـ وـالـحـاشـيـةـ مـنـ ٧٧ـ ، وـصـوـابـهـ (ـ الجـلـ)ـ ، وـهـوـ  
كتـابـ نـحـوـ مـدـرـسـيـ مشـهـورـ فـيـ الـانـدـلـسـ بـخـاصـةـ ، وـهـوـ لـلـزـجاـجـيـ .

— ومن ذلك قوله في الصفحة ٧١ ان المعتصد العبّادي غزا مطرية واخذها . والصواب انها وقعت في يد المعتمد ابنه سنة ٤٦١ هـ .

— ومن ذلك قوله<sup>٢</sup> صفة ٧٣ في ترجمة ابن عبدوس : « وهو الذي وجَّهَ الى ابن زيدون رسالته الهزلية ». وهذا خطأ صوابه : « هو الذي وجَّهَ اليه ... ».

— ومن ذلك قوله (صفحة ٤٠ هامش ٢) عن علي بن يوسف ابن ناشين انه ملك المرابطين . والحق ان المرابطين لم يتلقبوا بغير « أمير المسلمين » ...

وغير هذا مما يقع تحت عنوان الاوهام ...

## - ٩ -

ومن الامور الهامة في عملية التحقيق مراجعة الاصول التي نقل عنها المؤلف . فاذا كان لدى المحقق نسخة وحيدة، تعين عليه ان يعود اليها .. فما بالك بنسخة وقوع فيها شيء من السهو ، والوهم ؟

ويُعجِّب القارئ حين يتتبَّع الى ان المحقق أغلق العودة الى عدد من الاصول التي اعتنَى بها ابن سعيد ، والاصول التي ذكرها ، او لم يذكرها ، واكتفى بذلك المصادر التي لم يرجع اليها المحقق ، على ضرورة العودة اليها في مثل هذا الكتاب : من ذلك : كتاب (البديع في وصف الربيع) لابي الوليد الحميري ، وكتاب (زاد المسافر) لابي بحر صفوان بن ادريس ، وكتاب (العقد) لابن عبد ربه ، ودواوين ابن سهل ، وابن زيدون ، وابن الزقاق ، والرصافي البلنسي ، وابن عمار ، وكتاب (المطلب) لابن سعيد ، و (المعجب) للمراكشي و (بتيمة الشعالي) وغيرها كثيرة .

وهذا الاغفال أثَّر على قضية توثيق النصوص في الكتاب . وقلَّ مثل ذلك في التعريف بالادباء والشعراء ، فهو لمن يستقصِّ ما

بين يديه من مصادر ، بل لم يرجع الى بعض كتب المؤلف نفسه ...  
وكاد ان يلتصق بكتابه ( المُفْرِب ) وان لم يلتزم بضبطه وحواشيه .

ومن هنا كانت تعريفات كثيرة من الاعلام سريعة ، مبسطة ، او  
كانت نقلات من عبارات المؤلف نفسه او من سبقه الى التأليف في ( المغرب )  
ما لا يزيد قضية التوثيق توكيدا وتوضيحا .

## — ١٠ —

ولا تشعر ان الحق ( عايشُ ) المؤلف في مقصده و منهجه ، ولا  
خالطه بالعودة الى مؤلفاته ، ولا هو رَصَدُ مواقفه الادبية والنقدية .  
ومن اوضح الامثلة على ذلك ان المؤلف اعتذر الى موسى بن يغمور  
( المُهَدَّى اليه الكتاب ) عن صغر حجمه ، فقال له :

« ... والملوك - يعني نفسه - ينهي لملوئي ان هذا المجموع  
إِنْ تَنْصَصْ فِي عَيْنِي مِنْ عَيْبِتْ بِصِرَتِه لصَفَرْ جَرْمَه ، فَجَوابِه قَوْلُ اشْعَرِ  
مَلَكُ طَرِيقَ التَّحْيَلِ ، وَتَوَصَّلُ بِلَطَانَةِ الْذَّهَنِ إِلَى الْاسْتِبَاطِ وَالْتَّحْيَلِ :  
وَالنَّجْمُ تَنْصَفِرُ الْبَصَارُ رَوْيَتِه  
وَالذَّنْبُ لِلْعَيْنِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصِّفَرِ  
وَلَمْ يُلْقَ الْمَحْقَقُ بِشَيْءٍ ، وَلَمْ يَنْسِبْ الشِّعْرَ » .

وعبارة المؤلف ابن سعيد تنبئ عن منهجه ، وميله الى مدرسة  
ابي العلاء المعري وطريقته في التخييل والغوص على المعاني . والبيت  
المذكور من سقط الزند ( ١ : ١٦٢ ) . واذا نظرنا في كتاب ابن سعيد  
الآخر : ( عنوان المرقصات والمطربات ) ( صفحة ٤٦ ) وجدهما يقول :  
ابو العلاء المعري هو جليل القدر في الغوص ، وكثرة التخييل .

ولو تابعت ما في القسمين الآخرين مما وقع لى ، ورأيت فيه  
مسادة ملاحظة ، لطال الحديث وتشعيب .

ونحن ، وإن وجدنا للدكتور القاضي ، محقق « رأيات المُبرّزين » ،  
عذراً في بعض ما أشرت إليه في هذه المقالة ، لا نستطيع أن نلتزم  
العذر للباقي ، وهو كثير ، ولكن يكفيه أن عمل ، ومن لا يعمل لا يخطيء !

• • •

أما ( رأيات المُبرّزين وغایات المیّزین ) لابن سعيد فهو حقيقة  
في حاجة إلى تحقيق علمي متأنٍ .

د. محمد رضوان الدابة

بِحَمْيَرِ الْأَصْلُوْنِ



الزميل المستشرق المغربي عبد الكريم هيرمانوس  
في ذمة الدار  
لعيسي الناعوري

لم أعلم بوفاة الصديق جرمانوس الا بعد اكثر من عشرين يوماً من رحيله ، وقد قرأت النبأ في جريدة ( البعض ) الدمشقية الصادرة في ٢٠/١١/١٩٧٩م ، وحزنت للنبأ ، لأنني فقدت بالجاج عبد الكريم جرمانوس صديقاً عظيماً حقاً ، وانساناً طيب القلب ، عالماً ، محباً لاصدقائه ومخلصاً لهم .

أول معرفتي للمستشرق الكبير كانت عن طريق كتاباته في بعض المجالات العلمية والادبية العربية ؛ ثم كتب هو الى اولاً ، فكان من بعد ذلك اتصال مستمر بالراسلة . وسُئلَ لاجل زيارتي للجر ؛ ونجح مسعاه، فزرت الجر في كانون الاول عام ١٩٦٤م ، وهناك سعدت بلقائه ، وأتيتُ بمحاضته وتبادل الحديث والتفكير معه في منزله ؛ وفُقدَّل فراغتني الى اتحاد الكتاب المجريين ، واتحاد الصحفيين ، ونادي القلم ؛ وهناك قدّمني الى الحضور تقديماً لطيناً كريماً ، وقام بدور الوسيط المترجم بيني وبينهم . وقدّمني كذلك الى الجمهور في احد الاندية الثانية في بودابشت ، حيث التقيتُ محاضرة باللغة الانكليزية حول ( الحركة الادبية في المملكة الاردنية الهاشمية ) . واكرمني كذلك بدعوتي الى العشاء في منزله هو وقرinetه الحاجة عائشة .

ولم ينقطع تبادل الرسائل بيننا بعد ذلك . وآخر رسالة  
تلقيتها منه تحمل تاريخ ٢٨/نوفمبر/١٩٧٩ . وهذه صورة عنها .

الى اعز اصحابي العلامة الكبير عيسى الماعري حفظه الله  
عززيه بعد تعيين القلبية اجلته اتنى شهراً مع اشكراً مظلوم  
الكتيب المعنون "بصطلحات التجارة والاقتصاد والمحارف"  
من اثر علامة الجميع العلمي في كردش . وانكركم من صاحب غواصي  
لهذه الهدية الشفيعة - ان اتفاقية العربية احياناً انسانية في  
الغزو الوسطى . وهكذا تسد روح الجنس البشري اليوم باغلامها  
العلمية الادبية . ونحن في الغرب مضطرون لعرقان العجل والنكبات  
للإجتهد الفاسق الذي تمد به جراح اللغة العربية لنا اثناء هذه الأيام  
الخطيرة - ارجوكم ان تقدمون نموذجى الحلقة الى ديوان المحاج وكل الامضاء  
الكلمة وتعيت مع الارشاد والموافقة بخطكم المساعي عبد الكليم بن زاد

١٩٧٩  
٢٨ / نوڤمبر

جده  
١٩٧٩

وقد ردتُ عليها بتاريخ ٢/آب/١٩٧٩ ؛ فكانتا بالرسالتين تبادلنا  
تحية الوداع الاخير .

كان المرحوم جرمانوس عضواً لمجتمع دمشق وبغداد والقاهرة ،  
الي جانب عضوية المجتمع العلمي المجري ، وعدد من المجتمع العلمية  
العالمية الاخرى . وحين علم باننا في الاردن ايضاً قد انشأنا مجتمعاً  
للغة العربية ، مسرّ لذلك كثيراً ؛ وحين منحه المجتمع عضوية شرف  
فيه ، اعتبر ذلك مجدًا كبيراً له يختتم به عمره المديد ؛ واهتمّ  
بنزل مصحف المجر ومجالاتها العلمية والادبية .

والعجب في جرمانوس انه كان ، رغم تمايز العمر ، كثيراً  
الحيوية والنشاط : يقرأ ، ويكتب ، ويؤلف ، ويترجم ، ويسافر ،  
ويراسل اصدقاء العبيدين بنشاط يعجز عنه الشبان . واذكر انتي

حين لقيته في بودابشت سنة ١٩٦٤ كان قد بلغ الحادية والثمانين من عمره ، وكان يُدين الجسم ؛ ومع ذلك فقد كنتُ ، حين ارافقه في طريق ، أضطرَّ الى الجري لكي استطيع مسايرةً مشيته الشبابية السريعة . وكان قد أحيلَ على التقاعد قبل سنة واحدة فقط من معهد الدراسات الشرقية في جامعة بودابشت . فقال لي ساخراً وهو يعلق على ذلك : حتى السنة الماضية كنت « ثابا صالحا للعمل » ... والآن صرت في نظر الناس ( هِرمَا ) لا اصلح لشيء ...

وبعد عشر سنوات من ذلك اللقاء ، في عام ١٩٧٤ ، كان جرمانوس قد بلغ التسعين من عمره ؛ فكرمه اصدقاؤه وتلاميذه من علماء بلده وادبائها بمجموعةٍ من البحوث والدراسات ، تكتوها حول العالم الاسلامي ، وجمعوها في كتاب عنوانه ( الشرق الاسلامي : بحوث لتكريم جوليوس جرمانوس ) . و ( جوليوس ) هو اسمه المجرى الاصلي ، وقد استبدل به بعد اسلامه اسم الحاج عبد الكري姆 جرمانوس . وكذلك زوجته السيدة عائشة ، استبدلت باسمها المجري النصراني اسمها الاسلامي ( الحاجة عائشة ) ، وحَجَّت مع زوجها الى الديار المقدسة، وكرست حياتها معه لخدمة الاسلام والعروبة والثقافة العربية الاسلامية .

ولد جوليوس جرمانوس في بودابشت سنة ١٨٨٤ ، ودرس في جامعات بودابشت واسطنبول ، ونيبيتسا ، وليتزيغ . وفي سنة ١٩٠٧ نال درجة الدكتوراه بدرجة شرف من جامعة بودابشت في اللغة التركية وآدابها وفي اللغة العربية وآدابها ، وفي التاريخ القديم . وكان من أساتذته في اللغات الشرقية المستشرق المجري الشهير إينياس غولد تزيمير .

وفي سنة ١٩١٢ عُيِّن مدرساً في اكاديمية التجارة الشرقية ، ثم أصبح مدرساً في كلية الاقتصاد منذ سنة ١٩٢١ . فلما كان عام ١٩٢٩ دعاه شاعر الهند الاعظم رابندرانات طاغور، فقام بإنشاء قسم

الدراسات الاسلامية في جامعة البنغال ، وظلّ يدرس فيه الى سنة ١٩٢٣ . وفي تلك الفترة شعر بميل الى الاسلام ، فاعتنته عقيدة له بدلا من عقيدة المسيحية . ثم سافر الى مصر سنة ١٩٢٤ والتحق بالازهر لاجل التعمق في دراسة اللغة العربية والدين الاسلامي والتاريخ الاسلامي . ومن هناك ذهب الى الديار المقدسة ، حيث ادى فريضة الحج ، وشاء ان يتعرف بالاسلام في منابعه الاولى . ومن نتيجة ذلك الحج اصدر كتابه ( الله اكبر ) الذي طبع سنة ١٩٢٦ بال مجرية ، ثم لم يلبث ان ترجم الى الالمانية والاطالية ، واعيد طبعه بعد ذلك مرارا .

وفي سنة ١٩٤١ اختير جرمانوس لرئاسة المعهد الشرقي في كلية الاقتصاد في جامعة بودابشت . ثم دعته بعد ثلاث سنوات كلية الفنون لادارة قسم اللغة العربية فيها . وحتى ذلك الحين كان قد كتب العديد من البحوث والدراسات في التاريخ العربي والاسلامي وفي الثقافة العربية . وفي سنة ١٩٤٨ عُين استاذًا للغربية والدراسات الاسلامية في جامعة اوتفوش لورانت ، في بودابشت ، وظلّ في منصبه هذا الى ان احيل على التقاعد سنة ١٩٦٤م.

وتقديرًا لنفضل جرمانوس وعلمه ، منحه الكثير من الجامع اللغوية والاكاديميات العلية عضوية المراسلة او عضوية الشرف ، كما دعاه العديد من الجامعات الى التدريس او المحاضرة : ففي سنة ١٩٥٧ عُين عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وفي سنة ١٩٦٢ عُين عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العراقي ، وسنة ١٩٦٦ في مجمع اللغة العربية في دمشق ، وسنة ١٩٧٨م عُين عضواً شرف في مجمع اللغة العربية الاردني ، وعُين عضواً شرف في اتحاد الكتاب العرب في القاهرة ، و بغداد ، ودمشق . وكان قد عُين عضواً في اكاديمية البحر المتوسط في ايطاليا سنة ١٩٥٤ ، وفي اكاديمية ليوناردو دافنشي ، في روما ، سنة ١٩٦٩ . وكان استاذًا زائراً في العديد

من الجامعات ، ومنها جامعات : الاسكندرية ، والقاهرة ، ودمشق ، واكره ، وعليكـره ، ولكنـو ، وحيدـر ابـاد ، ودـلهـي ، والـربـاط ، وـنـاسـ . وـاخـسـرـ عـضـواـ فيـ الـبرـلـانـ المـجـرـيـ منـ عـامـ ١٩٥٨ـ إـلـىـ عـامـ ١٩٦٦ـ ، فـكانـ العـضـوـ المـلـمـ الـوحـيدـ فـيـهـ .

واما اعمالـهـ العـلـيـةـ فـاڪـثـرـ مـنـ انـ تـحـصـيـ ؟ـ وـهـيـ ماـ بـيـنـ مـؤـلـنـاتـ وـبـحـوثـ وـدـرـاسـاتـ ؟ـ وـقـدـ كـتـبـ هـذـهـ الـكـتـبـ وـالـبـحـوثـ وـالـدـرـاسـاتـ بـالـلـغـاتـ :ـ الـمـجـرـيـةـ ،ـ الـتـرـكـيـةـ ،ـ الـعـرـبـيـةـ ،ـ الـأـنـكـلـيـزـيـةـ ،ـ الـمـالـمـيـةـ ،ـ الـإـيطـالـيـةـ ،ـ الـهـنـدـوـسـتـانـيـةـ ،ـ تـعـرـيـفـاـ بـالـقـافـةـ الـعـرـبـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ وـالـقـافـاتـ الـشـرـقـيـةـ .ـ

وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ تـقـدـمـهـ فـيـ السـنـ ،ـ فـقـدـ ظـلـ إـلـىـ آخـرـ حـيـاتـهـ يـكـتبـ وـيـطـالـعـ وـيـكـاتـبـ أـصـدـقاـءـ فـيـ مـخـتـلـفـ الـبـلـدـانـ .ـ

وـاـذـاـ كـانـ مـنـ غـيرـ الـبـيـسـرـ سـرـدـ تـبـتـ بـجـمـيعـ مـؤـلـنـاتـهـ وـبـحـوثـهـ بـمـخـتـلـفـ الـلـغـاتـ ،ـ فـسـاقـتـصـرـ هـنـاـ عـلـىـ ذـكـرـ مـاـ كـتـبـهـ بـالـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ وـحـدـهـاـ ،ـ وـهـوـ :

- ١ - بعضـ الـكلـمـاتـ عـنـ الـادـبـ الـعـرـبـيـ الـحـدـيـثـ فـيـ الـمـفـرـبـ الـاـقـصـىـ - مجلـةـ مـجـمـعـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ بـدـمـشـقـ - ١٩٦٩ـ مـ.
- ٢ - حـمـاـيـةـ فـلـسـفـةـ التـشـرـيـعـ الـإـسـلـامـيـ - الـاـصـالـةـ /ـ الـجـازـيـرـ ١٩٧٤ـ مـ.
- ٣ - الـإـسـلـامـ كـدـيـنـ عـالـيـ - ١٩٧١ـ مـ.
- ٤ - دورـ الـإـسـلـامـ فـيـ تـارـيـخـ الـإـنـسـانـيـةـ - ١٩٧٢ـ مـ.
- ٥ - نـهـضـةـ الـادـبـ الـعـرـبـيـ - ١٩٧٥ـ مـ.
- ٦ - النـظـرـةـ الـإـسـلـامـيـةـ إـلـىـ الـحـيـاةـ - مجلـةـ رـابـطـةـ الـعـالـمـ الـإـسـلـامـيـ - مـكـةـ الـكـرـمـةـ .ـ
- ٧ - الـاسـسـ الـلـغـوـيـةـ لـوـحـدةـ النـاطـقـينـ بـالـضـادـ - مجلـةـ تـائـلـةـ الـزـيـتـ /ـ الـظـهـرـانـ ١٩٧٥ـ مـ.

٨ - ذكريات عن الحج - ١٩٦٩

٩ - دور الاسلام في تاريخ الانسانية / مجلة الاديب / بيروت ١٩٧٤م.

١٠ - عباس محمود العقاد - الاصالة / الجزائر ١٩٧٧م.

وعدد من الاعمال العلمية الاخرى ، ظهرت في مجلة المتنف  
وغيرها في مصر .

ولقد عكف جرمانوس في الاعوام الاخيرة على كتابة سيرته  
وجولاته في البلاد العربية والاسلامية . وذكر لى في بعض رسائله  
الاخيرة ان هذا الكتاب سيتجاوز ٦٠٠ صفحة . وكان قبل ذلك قد اصدر  
كتابا باللغة المجرية عنوانه : "Az Arab Irodalom Tortenete"  
تحديث فيه عمما رأه في البلاد العربية وعُنّ عرفهم من اعلام الادب  
والفن ، وعن الحياة الثقافية في هذه البلاد . فجاء هذا الكتاب تاريخا  
مائلا للفترة التي عاشها جرمانوس مناضلا بقلمه ولسانه في سبيل  
الثبات والاسلام ، وفي سبيل الاسلام الذي كان قد امعن في  
منذ شبابه الباكر عن يقين وأيمان . وكان من دواعي اعتزازه ان  
يتحدث عن المؤلف في كتابه ، وينشر بين صور الاعلام ورسائلهم  
صورة لى وجها من احدى رسائله اليه .

والآن وقد مضى الشيخ والعالم الجليل الحاج عبد الكريم  
جرمانوس ، فلن مجمع اللغة العربية الاردنى ليبعث الى روحه  
الطاقة باطيب التحية ، معربا عن الاسف العميق لفقدانه .

رحمة الله عليه .

\_\_\_\_\_  
عمر بن عبد الله



فقدان العربية

## الأستاذ عباس حسن (١٩٧٩ - ١٩٦)

للمذكور عدنان الخطيب  
(عضو مجتمع اللغة العربية في دمشق)  
الرئيسي العام المساعد لاتحاد الجامعات

تمَّى مجمُّع اللغة العربية بالقاهرة ، في النصف الثاني من شهر نيسان الماضي ( ابريل سنة ١٩٧٦ ) ، الى علماء العربية ورجالها ، الاستاذ عباس حسن مصطفى ، عضو المجمع والاستاذ السابق بدار العلوم ؛ اختُطِنَه الموت وهو في اوج نشاطه الجسيم وتمَّة عطائه الفكري ، لم ينقطع يوماً عن حضور جلسات المؤتمر السنوي لجمع اللغة العربية ، والأخيرة منها كانت قبل وفاته بسابع قليلة ، كما انه لم يتغيب عن شهود اجتماعات اللجان الجمعية المتخصمة ، وآخرها — كما تُبَيَّنُ الى — كان قبل بضعة أيام من لقائه وجه ربه الكريم .

كان الفقید ، رحمة الله ، من اركان الدفاع عن لغة القرآن ،  
الذائدين عن الفصحي وسلامتها ؛ كما كان في طليعة الناھحين عن  
تواعد النحو الاصيلة ، ومن اصلبهم عودا في رد هجمات المخفيين منها ،  
وشتھات المستهرين بها ؛ لا يبالي بحجمهم ولا يقيم وزنا لذرائهم ،  
ولو ادى الامر به الى شيء من اللد .

كان ، رحمة الله ، من ائبٍ علماء العربية جنانا في الدفاع عن  
قدسية المتنون — وقد امن بها — ونذر نفسه لخدمتها وتجدید عرضها  
على من يطلبها ؛ شديد الكره للنظريات المستحدثة باسما «علم اللسانيات» ،  
يدھض آراء اصحابها ومحاولاتهم تلبيسها باللغة العربية ، ولا يُحجم  
ابحاننا عن وصف ادعاءات بعضهم الغيرة على العربية ، بانها مُتّور  
لتغريب والتھييم .

دخل الفقید الساحة ، والمعركة محتمدة بين انصار العربية  
وخصومها ، وكان مع اهل اليمين ، وسلامه ، كثیر من المقابلة ، ایمان  
بالعربية لا حد له ، وعلم باصولها وقواعدها قلل نظيره ، وخبرة  
ایام خلت ، امضها في نقل هذا العلم الى طالبيه ما استطاع ،  
وغرس ذلك الایمان في نفوس طلابه ما تقبّله .

واختير فقيتنا باخرة ، ليكون مع النخبة من علماء العربية ،  
يعملون ليل نهار في خدمة اللغة ودفعها لشساير ركب الحضارة العالمية  
المتسارعة في مطلعاتها ، والمسابقة مع الزمس في اندفاعاتها .

وكان الفقید في مجمع اللغة العربية مع طائفة قال الله  
عز وجل فيها : ( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمِنْهُمْ  
مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا يَدْلُو بِتَبْدِيلٍ ) .

## زميل جديد :

في يوم من أيام سنة ١٩٦١ ، دخلت لأول مرة قاعة المؤتمرات في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ؛ وقادتني خطواتي الوئيدة إلى الصف المواجه لمقعد الرئيس ، وأخذت متقدماً منحرفاً ، يستطيع من يجلس عليه أن لا يُبدع حركة في داخل القاعة أو خارجها تقونه . وتنقلت جلسات المؤتمر ، وقد انتُقِدَ المُقعد عينه ، أُشْرِغَ إِلَيْهِ كَلَّا كان فارغاً ، أو إلى اقرب مقعد يجاوره .

وفي نهاية السينين دخلت قاعة المؤتمر وجلست على المقعد إِيَاه ، وأخذت اتعلّم نحو الزملاء وهم يدخلون القاعة ، انتظر صديقاً منهم يجاورني فاقْتَمْ بجواره ؛ غير أنني فوجئت ببعضه جديد ، لم يسبق لساني أن وقعت عليه ، يسير بخطى ثابتة نحو المقعد المجاور ويحتله ، دون أن ترقَّ عينه نحو مقعد آخر . كان ربعة بين الرجال يبيل إلى القحقر : وما نهى من شعر رأسه قد اشتعل شيئاً ، وفي وجهه شيء من جهosity ، وتقابليه تتمَّ عن جد تحالطه وحشة . وكتبت ما شعرت به . وأخذت انتظاراً بالبحث عن شيء بين أوراقي ؛ ولم البيث ان ادرت وجهي بيته ، فإذا بأساري الزميل الجديد تكاد تنفرج عن لبسامة ، وبرأسه ينحني قليلاً وهو يعتم بكلمات لم أنهما ، فتقدَّرت أنه يحييني ويفذكر اسمه ، وووجدت نفسي أردّ تحيته بمثلها ؛ ثم رفعت الجلسة دون أن تتبادل شيئاً ما .

وفي جلسة اليوم التالي كان جارُ الامس جاري ، ودارت مناقشات حاليه حول بحث القسي وفيه دعوة إلى شيء من التحرر في تواعد اللغة ؛ نسبلاً لتعزيز الفصحي بين الناس . وأعطيت الكلمة للزميل الذي يجاورني ، فوق يرتجل كلمة واضحة ، هادئة، متسللة الانكار ، يذكر فيها دعوات تردد بين حين وآخر باسم تسهيل تعليم الفصحي ، مستنكراً التوجه بامتثالها إلى مؤتمر ما اعتقد إلا لخدمة لغة القرآن والحفظ عليها سلبيّة صحيحة ، داعياً إلى رفض كل

دعوه ظاهرها خدمة اللغة ، وما هي في الحقيقة الا من معاول هدمها .  
ورايته نفسي اشارك المؤتمرين ، الذين اعلنوا تأييدهم لتعليق الزميل ،  
بالتصنيق . وما لبث الزميل ان جلس والنتت نحوه وهو يبتسم  
ابتسامة اشرق بها وجهه ، فبدا لي انه اصبح مطمئنا الى جواري .

كان ذلك الزميل عالم النحو الكبير عباس حسن ، الذي افتقدناه بالامس القريب ، وجاءني نعييه مصادفة<sup>(١)</sup> ، رحمة الله وأجلل ثوابه .

لقد تناول المؤتمرات ، ونعددت فيها الجلسات ، وحافظ كلّ  
منا على مقعده . حتى في اللقاءات خارج المجمع . كان التقى كثيراً ما  
يائس بجواري ويسمعني إليه . وأسبحنا صدقيتين تبادل الأحاديث المتعلقة  
بشؤون المؤتمر وبرامج جلساته ورحلاته . وفي شؤون كثيرة أخرى .

• • •

نذة عن حياة الفقيد وآثاره

فتی از هری «بَنْدَرْعُم» :

وليد عباس حسن سنة ١٩٠٦ ، وكانت مصر في ضياء حركة الفكرية ، والوضع اللغوي لدى جمهورة المثقفين فيها قد نبأ به واحد كثيرون ينادون بالعمر لتصحيف «الفصحي» ، لفحة العلم والتقدمة . لم سهلة متطورة ينتمي وينتسبها العامة فضلاً عن الخاصة .

١- نعاء في الرمل الاستاذ محمد عبد الفتى حسن ، وكان يجلس الى جانبى ، حلال  
مليجان بور الشمام ، الحانة ابن عساكر .



(النقيد في مؤتمر ١٩٧٨ بين الدكتورين محمد احمد سليمان وعذنان الخطيب )

والتحق الفتى عباس ، كالملايين من لداته ، بالجامع الازهر ، يحفظ القرآن ويتلقى مبادئ العلوم العربية ، على الطريقة الازهرية المتوارثة . وشعر عباس بحب للعربية وعلومها يعلق قلبه ، فأخذ يفكر في الانتقال الى « دار العلوم » ، وقد شاع بين اقرانه ما يدور في مختلف الندوات العلمية ، وحتى على صفحات الجرائد ، من ان تنظيما للدراسة في دار العلوم قد أقيمت على أساس جديدة جامعية ، تضاهي الاسس التي يقوم عليها تدريس العلوم المصرية .

ما لبث عباس - على حد قول العالم الاديب الدكتور احمد عمار - ان « تملكته نزعة الهجرة من التقديم الى الجديد ، فتحول من الازهر الى دار العلوم ؛ واذا به يحرز قصب السبق في اللغة العربية »

ويستائز بالجائزة المرصودة لها ، على مدى اعوام دراسته في دار العلوم ، ما أخلفته ولا فانته عالياً » (١) .

وانشأ عباس تحصيله في دار العلوم ، وعمل معلماً في المدارس الحكومية ، منتقلًا بين ثانوياتها ، وأسمه يزداد لمعاناً بين معلمي العربية ، مما ساعد على ترشيحه ليكون مدرساً في « دار العلوم » نفسها ؛ حتى إذا ما تحولت الدار إلى كلية من كليات جامعة القاهرة ، كان عباس حسن أحد أساتذة العربية فيها ، ومن ثم رئيساً لقسم النحو والصرف والعرض ، إلى أن بلغ سن الاحالة على المعاش .

### النحو الواقفي :

اشتهر الفقيد بدراساته النحوية المتعمقة (٢) ، وقد توجهاً أخيراً بكتابه الضخم « النحو الواقفي » (٣) وهو في أربعة أجزاء ، تستوعب جميع الأبواب النحوية والصرفية ، مع ربطها بالأساليب الرفيقية والحياة اللغوية المتعددة ، وقد أعدّه — على حد قوله — إعداداً محكماً يناسب طبة الدراسات « النحوية والصرفية » ، ومناهج هذه الدراسات بالجامعات ، ثم ذيله بتعقيبات وافية وشروح ضافية ، تكون مرجعاً واغياً للأساتذة والعلماء والمتخصصين ، غير مُقبل الضوابط والاحكام التي قررتها الجامع اللغوية ومؤتمراتها الرسمية .

قدم الفقيد لكتابه « النحو الواقفي » بمقدمة هامة بين فيما تيبة علم النحو في ذاته ، وأثره في بقية علوم العربية ؟ فهو دعامتها وقانونها الأعلى ، ترجع إليه في جليل مسائلها وفروع تشريعها ؟ كما ضمن هذه

(١) انظر الخطاب الجمي في استقبال عباس حسن . من ١٦٨ من الجزء الثاني والمدربين من مجلة محمد اللغة العربية . القاهرة ١٩٧٧ .

(٢) من هذه الدراسات كتاب « رأي في بعض الاصлюں اللغویة والنحویة » وكتاب « اللغة والنحو بين القديم والحديث » .

(٣) صدر الكتاب عن دار المعارف بحمر ، ومدير طبعته الرابعة سنة ١٩٧١ .

المقدمة «دستوراً» ملزماً نفسه باعتماده في التاليف ، موضحاً خطته لـ  
تجيئ مواد الكتاب ، عارضاً تاريخ النحو منذ نشأته ، وللشوائب التي  
داخلته ثم «نَمَتْ على مَرْأَةِ الْلِيَالِيِّ» ، وتفلقت ببرعاية الصروف ، وغفلة  
الحراس ، فشَوَّهَتْ جماله ، وأضفت شانه ، وانتهت به إلى ما نرى )١( )٢( .

وشرح الفتيد الغرض الذي رمى إليه من تأليف الكتاب ، وقد  
استعان «بخبرة طويلة ناجعة ، وتجربة صادقة في تَعْلُم النحو ، طالباً  
مستوعباً ، ثم تعليمه في مختلف المعاهد الحكومية مدّساً ، فأستاذًا  
ورئيسيًا لقسم النحو والصرف والعروض بكلية «دار العلوم» بجامعة  
القاهرة ، سنوات طوالاً » )٢( .

ثم أوضح «الدستور» الذي أقام عليه الكتاب ، وخلامته في  
المواد التالية :

أولاً - تجميع مادة النحو كله ، وما يتصل به من الصرف في كتاب واحد  
ذي أربعة أجزاء ، في كل منها قسمان : قسم موجز يناسب  
طلاب الجامعات غاية المناسبة ، مذيل بقسم مفصل يلائم  
الأساتذة والمتخصصين أكمل الملاعة وأتمها .

ثانياً - العناية بلغة الكتاب ووضوها وائراتها وإحكاماً واسترسالاً .

ثالثاً - اختيار الأمثلة ناصعة ، بارعة في اداء مهمتها .

رابعاً - الفرار من العلل الزائنة ، وتعدد الآراء الضارة في المسألة  
الواحدة .

خامساً - تدوين أسماء المرآجع في المسائل التي تتطلب الرجوع إليها ،  
استجلاء للحقيقة أو إزالة لللوهم .

١) انظر ص ٤ من النحو الوافي .

٢) انظر ص ٥ من مقدمة الكتاب .

سادساً — عدم التزام طريقة تربوية معينة ؛ فقد تكون الطريقة « استنباطية » أو « القافية » ، وقد تكون « حواراً » حسب ما يقتضيه صادق الخبرة وملامحة الموضوع .

سابعاً — تسجيل أبواب النحو مرتبة ترتيب « ابن مالك في الفيضة » لشيوعه ومزاياه التي تلائم العصر .

ثامناً — توثيق المسائل المترابطة بذكر مواضع ورودها .

وختتم النقيد مقدمته بقوله : « والله أرجو ملخصاً أن يجعل الكتاب نافعاً لفحة القرآن ، عوناً لطلابها ، محظياً الغاية النبيلة التي دعت لتأليفه ، والقصد الكريم من إعداده » (١) .

### عباس حسن ناقداً :

لم يكن عباس حسن شاعراً ، ولكنه كان عروضياً ناقداً ؛ كان شديد التذوق للشعر، قديمه ومعاصره ؛ وكان في تذوقه هذا ، دقيق الملاحظة عبيقاً ، مرهف الشعور ، ذا حساسية فنية تكشف مواطن الجمال والخيال الرائع ؛ ساعده على ذلك ذوق بلاغي تماه وأصله فيه الاطلاع الواسع على الأدب العربي ، والمعرفة الكلمة بعلوم العربية وأساليبها البلاغية .

أقسام عباس حسن للنقد الأدبي منها ملخصاً علمياً ، كما أقامه في إبحانه اللغوية وال نحوية . لقد كان ، مثلاً ، من أشد المعجبين بأحمد شوقي ، من الشعراء المعاصرين ، وعندما أقسام موازنة بينه وبين المتنبي ، كبير شعراء العربية المسلمين في كتابه عنهما ، كان حكمه في التمة من الاتصال . لهذا رأينا — كما يقول الأديب الكبير الدكتور أحمد عمار — على فرط اعجابه بشوقي : « قد ناي بحجه إيه عن أن يكون باعثه محابة ، كما لم يُحسن على المتنبي بالمستطاب من الثناء حينما جلسوا وأجاد ... » (٢) .

(١) انظر من ١١ من المتممة .

(٢) انظر الخطاب المشار إليه سابقاً .

قارن عباس حسن بين الخيال عند المتنبي والخيال عند شوقي ،  
وبين المعانى لدى كل منهما ، مستشهدًا بشعر منتقى من ديوانيهما ،  
ثم ختم مقارنته بقوله :

« ومن طرائفه - شوقي - الساحرة اندلسية النونية التي  
يُعارض بها نونية ابن زيدون ، والتي أطلق فيها خياله ، يبتدع ويبتكر ما  
شاءت له القدرة والحرية والبراعة التي أغرّته بالجموح حيناً؛ وبهذه  
المناسبة نقول : ان خيال شوقي يتأثر في مختلف قصائده، شأن الذين  
اتيحت لهم ثقانته وسياحاته ومتنه ووسائل حياته؛ وقد يتجاوز  
خياله حد الفراهة محموداً إلى حد الجمود . وقد يموج الخيال  
في قصائده ويجلو ويمرح ، وقد يجمع ؛ وشوقي في خياله الهادئ او  
الجامح خيراً من المتنبي واقدر ، فكيف به في الخيال الفارغ التنشيط » (١) .

### الفقيد في مجمع اللغة العربية :

في سنة ١٩٦٥ شَفَرَ في مجمع اللغة العربية بالقاهرة مendum  
كان يحتلُّ المرحوم على بدوي ، أحد كبار أساتذة القانون اللامعين ؟  
وفي جلسة المجمع المنعقدة بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة  
١٩٦٦ ، تم انتخاب الاستاذ عباس حسن ، أحد كبار علماء اللغة  
العربية المتخصصين بال نحو ، ليحتلَّ المقعد الخالي في المجمع .

وعُقد المجمع بتاريخ ٢٥ من ذي الحجة سنة ١٢٨٦هـ ، الموافق  
٦ من آذار (مارس) ١٩٦٧م ، جلسة خصمتها لاستقبال الاعضاء  
المنتخبين لاحتلال المقاعد الخالية فيه ؛ وكان أولهم مؤرخاً ، وثانيهم  
ثانونياً ، وأما الثالث فكان نحوياً ؛ لهذا كانت من أطراف جلسات  
الاستقبال الجمعية ، لما جمعته من أصناف الرجال المتباينة بضائعهم ،  
إذ كانت بضاعة الأول هي : الإنسان والمجتمعات ، بينما بضاعة الثاني :  
النظام والدول ، وأما ثالثهم بضاعته : الحروف والكلمات .

(١) نبذة من取لة من كتاب « دفاع عن شعراء » تأليف الفكيكي . بيروت ١٩٧٥ .

وقف الدكتور احمد عمار ، يستقبل صديقه الزميل الجديد عباس حسن ؟ فلم يجد بُدًّا من ان يرنه عن زملائه ، وقد طال بينهم الحديث عن التاريخ والقانون ، بالتعريض بعلماء النحو ، ذاكرا بعض المأْخَح المرويَّة عن رجالٍ كان النحو بضاعتهم ، مجترنا من معايباته مع صديقه عباس بِمُلْحَّة « تجلوه نقيها نحويا ، قد ملك عليه النحو او تار حسه ، وملا عليه اقطار نفسه .

قلتُ له يوما في احدى ندواتنا الادبية التي نعتقدها نسي امسية محددة من كل أسبوع : ما انا من رجال النحو ، وانما شائي مك شان ذلك الاعرابي الذي قال :

ولست بِنَحْوِيِّ يلوك لسانهُ    ولكن سَلِيقِيُّ أقول فاعرب  
قال : يلوك لسانهُ ام يلوك لسانه ؟ فلذلت بالصمت ايشارا  
للسلامة ، وخشية التورط فيما اُقْتَر عن المbara فـه » (١) .

على ان الدكتور عمار ، وهو يتحدث عما يُسْتَشْعِر به الناس من ثقل في النحو ، وعما تحفل به الكتب من افاعيل للنحو هي بافاعيل الحواة اشبه واشكُل ، استطاع وهو العالم الاريب ان ينتزع من زملائه بعض ما بَثَّه فيهم رهبة من افاعيل رجال النحو ، وهو يقول : « .. وعلَّمنَا النحوي عباس حسن ، وان كان يحلو له في هزله ان يصطنب بعض تلك الافاعيل ، فانه في جده لشَدَّ ما يستكره ويستنكِر كل ما يعتور النحو من حِين مستنقفات ، وتقديرات تخابايا انتياب ، وإرجاف بخفايا المضمرات ؛ بل ان حبه للنحو حبًا جًّا ، وتدلهه فيه مستهاما به صبا ، واستيقانه انه من اجل علوم اللغة نفعا وجدوى ، كل ذلك لم يثنه عن ان يشنّها حملات مدق شعواء على كل ما يشوب النحو من متعارف المعائب ومتناقض المثالب » (٢) .

(١) انظر من ١٦٨ من الجزء الثاني والعشرين من مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ١٩٦٧ .

(٢) انظر المصدر السابق .

واستشهد الدكتور عمار بما جاء في حملات مدينته على من يُلْمِق بالنحو ما هو منه براء ، وعلى الذين يفتلون المَلْعُون للتذر والارتزاق . واتى على ذكر نادرة اقتبسها عباس حسن من كتاب « الحيوان » ، للجاحظ ، مستنثرا ، « وهي ان معترضا قال للاخرين : انت اعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلّها ؟ وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم اكثرها ؟ وما لك تقدّم بعض العويس وتوخّر بعض المنهوم ؟ ناجاب قائلا : انا رجل لم أضع كتبي ابتداء وجه الله ولا زلفي اليه ، فليس من كتب الدين ، ولو وضعتها على النحو الذي تريدونه ، لتكلّت حاجة الناس الى السؤال عما لا يفهمونه منها ، وانا غايتها الكسب ، فوضعت بعضها مفهوما لدعوه هم حلاوة ما فهموه الى التماس فهم ما لم يفهموا .. » (١) .

وعندما قام الاستاذ حسن ليدافع عن النحو، رئيس علوم اللغة ، وعن سمعة النحاة الذين جَمَعوا اللغة وصانوها ، ورفعوا مرّحها شامخاً ركينا ، كما قال أحد كبار الفقهاء ، اثنى على مجمع اللغة العربية الذي يستقبلهاليوم، فقد « استطاع بنافع عمله وكتبه منجزاته ، ان ينزع الاعجاب من اهل النصفة والاعتدال ، وان مارى في الاصناف والتقدير بعض زنادقة اللغة ، ليهُوي مدخول او حقد كامن ، او جهالة يقدر اللغة واهلها ». ثم خاطب عباس حسن زملاءه طالبا منهم التأسي بالنحاة قائلا : « فلا يبتئس علماؤنا بما كان ويكون من خارج هذه الايام ، فتلك شنائنة عرفناها من قرنائهم في مختلف الاجيال » (٢) .

#### صراع مُخل الصف :

لا يَحْسَبُنَّ الذين يَقْرَأُونَ مُقرّرات مؤتمرات مجمع اللغة العربية ، ان اقرارها كان سهلاً هيناً ، نكم من حوار امتدّ زمناً حول قاعدة لغوية او حول مدى التقيد بها ، وكسم من مناقشة حادة جرت حول إثبات كلمة او حول حذفها ، وكسم من جلسة صاخبة عقدها مجلس المجمع

(١) انظر المصدر السابق .

(٢) انظر من ١٧٥ من المصدر السابق .  
— ٤٤٠ —

حتى استطاع اتخاذ قرار في مسألة من مسائل اللغة ، وكم من الوقت استغرقه اقراراً او رفضاً متراجعاً على مؤتمر المجمع ؟ !

لعل عباس حسن ، يوم دخل مجمع اللغة العربية ، كان يعتقد بأن عناءه في خدمة لغة القرآن سيفتح عما كان قبل دخوله ، فقد أصبح من النخبة من علماء العربية العاملين على خدمتها ودفعها لتساير ركب الحضارة . ولكن لم يلبث أن وجد نفسه وحيداً أمام أعضاء من دائرة التحرش بالنحو وال نحوين ، شأن القديم من العلماء ، ومنهم من يجاهر بكرهه للمتون ، ولا يقيم وزناً لقراء علماء عاشوا من مئات السنين ، إذا كانت آراؤهم لم تتمدد تتلاعماً والعصر الذي نعيش فيه ؛ ولعله ، رحمة الله ، كان شديد الدهشة من زملاء عرفهم من غلاة الغيارى على العربية يوم انكروا عليه القول بـ (تحديث) اللغة لتساير العصر الحديث ، وهو لا يدرى ماذا ينتقص عن شأن (علم الحديث) إذا كان للتحديث أكثر من معنى في المعجم (١) !

التزم فقيينا في مجمع اللغة بخطه اختطه لنفسه ، غير مبالٍ بموقعه بين علماء العربية ؛ فبينما تراه في أقصى يمين هؤلاء مرات عديدة ، تراه أحياناً في أقصى يسار أولئك ؛ وليس لك أن تعجب ، لأن الفقيد أسلم نفسه بالمتون التي حفظها ، وبالقواعد التي قال بها علماء اللغة ، والنحوين خاصة ، تلك القواعد التي آمنَ بها أسلوباً وحيداً للحفظ على اللغة وإنماها .

وعندما اختلف رأي المجمعين حول اجازة ادخال لفظه «**مناورة**» في المعجم على أحد الوجهين التاليين :

الاول – ان من معاني «**المناورة**» : الدهاء ، فمن حقها ان تثبت في المعجم في مادة (ن و ر) التي تحمل معنى الخداع والاحيلة .

---

(١) انظر وقائع مؤتمر ١٩٧٦ في ص ١٢٤ من مجلة المجمع الاردني مدد ٢ .

الثاني — ان لفظ «مناورة» معرّب ، ومنقول بدلاليه الحربية والسياسية المجازيتين ، ومن الواجب ان يدخل في المعجم في مادة (من ا) .

وقف النقيد مع اصحاب الرأي الاول ، ليعلن ان وزن «المغاعلة» وزن اصيل شائع في العربية مثل : المداورة والمراوغة والمناورة والمحاورة ، وليس في قواعد العربية ونصوصها ما يمنع من ان تدخل الكلمة في مادة (من ور) كما تدخل الكلمات المشابهة في مواد (دور ، وروغ ، وشور ، وحور) فهي مثمن عربية ، وان لم ترد في المعجمات ؛ وكأنه يقول بأن المناورة عربية الجذر بمعنى الدهاء ، أما معانها الحديثة فهي من قبل المجاز المستحدث <sup>(١)</sup> .

وعُرِضَت على المؤتمر ، في دورته الاخيرة ، كلمة (التطبيع) بمعنى (جعلها طبيعية) ، كما ترددت على صفحات الجرائد وعلى السنة رجال السياسة ، نكان النقيد مع كثير من زملائه لا يرون ما يمنع من اجازة الكلمة بالمعنى المذكور ، طبقاً للضوابط اللغوية ، ولكن هذا المعنى السياسي الجديد رفضته الاكثرية عند اعلان التصويت عليه <sup>(٢)</sup> .

وعندما وقف بعض المتشددين من المجمعين ينتقد استخدام الكتاب والصحابيين لنظرة (تواجَد) بمعنى لا تُقرَّءُه معجمات اللغة ، ثار النقيد ببرئنا العربية من الجمود الذي توصم به ، وقليلاً : ان العربية لا تحول دون اعطاء كلمة (تواجَد) المعنى الذي يريدون ، فمثلها مثل : (تكاثر) و (تناسل) <sup>(٣)</sup> .

#### شمائل النقيد ومزاجه :

خَبِرْتُ النقيد خلال عدد من السنوات ، بمجاوري له في المؤتمرات السنوية لجمع اللغة العربية ، مما عرفت عنه الا رقة

(١) انظر المصدر السابق .

(٢) انظر المصدر السابق .

الشمائل ، مع انتصارات في المجالات المترافق عليها بين الزملاء . كان رحمة الله ، عف اللسان ، صافى السريرة ، يقول ما يعتقد ، دون محاباة أو موافقة ، أو يُضفي . لم اسمع منه يوماً كلمة نابية ولو بحق إنسان فيه انحراف أو عنده زيف .

كان خجولاً ، لا يجلس إلا جنب من يائس البهـ، ولا يتطفل على مكان شاغر بين الناس اذا لم يدعـ اليه ؛ كان هادئاً الااعصاب ، عنده قدرة عجيبة على امتلاكها اذا ما أثيرت ، مع كثرة المنفصالـات .

لـم اشعر يوماً بـكـرهـ يـضـيرـهـ نحوـ اـحـدـ ، ولوـ كانـ مـنـ يـكـثـرـ الغـمزـ وـالـلـزـ منـ النـحوـ اوـ النـحـاـةـ؛ـ وـكـثـرـاـ ماـ سـمعـتـهـ يـرـدـدـ جـمـلـةـ (ـهـدـاهـ اللـهـ)ـ .

كان القيد ، اذا ما استقرّ به المقام ، نثر دفاتره وأوراقه امامه ، وقد ملأها بخطوط وشارات ورموز لـتـذـكـرـهـ بالـمـوـضـعـ التـيـ عـلـيـهـ انـ يـتـبـعـهـ لـمـوـعـدـ عـرـضـهـ ، فـيـبـدـيـ اـعـتـراـضـهـ عـلـيـهـ اـوـ تـنـتـهـ لـهـ ، اوـ دـنـاعـهـ عـنـ سـلـامـتـهـ؛ـ وـكـانـ الدـنـاتـرـ تـسـعـنـهـ بـالـادـلـةـ التـيـ يـسـتـنـدـ لـهـاـ وـبـالـمـاصـادـرـ التـيـ يـعـتمـدـهـ ، وـهـنـىـ بـارـقـامـ الصـفـحـاتـ فـيـ هـذـهـ المـاصـادـرـ وـبـتـارـيخـ طـبـعـهـاـ وـمـكـانـهـ .

كان القيد يـسـنـدـ كـوـعـ يـسـرـاهـ عـلـىـ المـضـدـةـ ، وـكـنـهـ مـفـتوـحةـ تـشـيرـ دائمـاـ إـلـىـ انـ صـاحـبـهاـ يـطـلـبـ الـكـلـامـ ، بـيـنـماـ تـكـونـ يـمـنـاهـ تـعـبـثـ بـالـأـورـاقـ المـنـثـورـةـ لـيـسـتـخـرـجـ مـنـهاـ الـوـرـقـةـ ذـاتـ الـصـلـةـ بـالـمـوـضـعـ الـذـيـ تـدـورـ حـولـهـ الـمـنـاقـشـاتـ . وـهـوـ يـحـاـوـلـ أـنـ لـاـ تـقـوـتـهـ كـلـمـةـ مـاـ يـدـورـ ، وـكـثـرـاـ مـاـ فـانـهـ الـاذـنـ بـالـكـلـامـ وـهـوـ رـاغـبـ فـيـهـ ، فـكـانـ يـتـرـدـدـ فـيـ الـاـصـرـارـ عـلـىـ طـلـبـهـ ، وـبـخـاصـةـ عـنـدـمـاـ يـشـعـرـ بـرـغـبـةـ الـاـكـرـيـةـ فـيـ اـمـضـاءـ الـاـمـرـ المـطـرـوـحـ عـلـىـ التـصـوـيـتـ ، إـلـاـ اـذـاـ كـانـ الـأـمـرـ مـاـ لـيـصـحـ سـخـونـهـ عـنـيـهـ ، فـكـانـ يـرـفعـ يـمـنـاهـ إـلـىـ اـقـصـىـ مـاـ يـسـتـطـعـ لـيـنـالـ الـاـذـنـ بـالـكـلـامـ ؛ـ وـاـحـيـاـنـاـ كـانـ لـاـ يـتـاـخـرـ عـنـ الـوـقـوفـ لـيـعـلـمـ اـنـهـ يـرـيدـ الـكـلـامـ ، هـنـىـ اـذـاـ مـاـ اـعـطـيـهـ ، كـانـ جـريـباـ فـيـ الدـفـاعـ عـمـاـ

يعتقد صوابه ، شديداً في مهاجمة ما سمعه أو ما يراد اثاره ، مبيناً وجه الصواب المتنق مع النصوص ، تالياً لها أو مشيراً إلى موضعها .

كان التقى يحاول أن لا يردد على زميل من غير المصريين لا يعرفه ، قبل أن يميل نحو سائل عن هوية المتكلم ومشربه ، كي لا يتعذر حدود الموضوع إلى البواعث الخفية .

كان وطبيع المناقشات يحتمي في كثير من الجلسات ؟ فإذا رغب تقى في الكلام انتظر الان لبياده . ولم اره مرة يقطعن متكلماً ، على كثرة الذين كانوا يقاطعونه ، حتى اذا أنهى الرأي الذي يريده ابداءه او تسجيله في محضر الجلسة لقراءة الاجمال الناشئة ، استراح غير عابئ بصدى كلامه عند سامعيه ، وغير مهتم برأي منكراً أو مستهجن .

كان رحمة الله ، كثيراً ما يغضن الطرف عن الحركات التي يعم بها بعض مخالفي آرائه ، او عن التقلبات التي تعلو وجوه بعض آخر ، غير ملتفت إلى الوريفات الصغيرة تداولها بعض الإيدي ، وفيها البيت او البيتان من رواي « شعر البدانه » غزوا بال نحو والنحوين . وان أنس لا أنس يوماً وتعتَّ بيه احدى تلك الوريفات ، فإذا به يبتسم متوجهاً نحو مصدرها وهو يقول : رائع .. ولكن لسو كان (كذا) بدل (كذا) لكان القول بلغ .

كما انى لا انسى يوماً قرأتُ فيه قطعة أدبية منّها المرحوم محمد كامل حسين ، صاحب « النحو المعقول » (١) ، فيها تهمّ على النحوين وسخرية بارائهم وتعقidiاتهم ؛ ثم علمت بأن عباساً ، تغمده الله

---

(١) محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية (١٩٠١ - ١٩٧٧) كان أحد عباقرة العلم والأدب والنقد ، وكان جرحاً ماهراً وفطلاً اديباً ، وناقداً يؤمن بالعلم والحقيقة ، وكان يكره أساليب النحوين القديمة وتعليلاتهم ، له نضلاً عن كتابه « النحو المعقول » ، مؤلفات قيمة من أهمها : « قرية ظالمة » و « التفسير البيولوجي للتاريخ » و « الوادي المقدس » و « الذكر الحكيم » و « وحدة المعرفة » و « متنوعات » .

بالرحمة والرضاوan ، سبق ان اطّلعت عليهما ، ولكن لم يخرج عن قوله :  
«سامحه الله » .

كان مقيينا ، رحمه الله ، يحلق في اجوائه منفردا ؛ كان أمّة  
وحده . اجزل الله نوابه ، وعُوض العربية خيرا .

دمشق في ١٩٧٩/٤/٥ .

د. عدنان الخطيب



تعالیہتات  
و  
مُناقتَشَات

## «قين ايجرز» = «عشريون»

جاء في مقال للزميل الدكتور ناصر الدين الاسد عنوانه : «العشرينات والعشرينات» ، ظهر في العدد الاول من هذه المجلة ( عدد كانون الثاني ١٩٧٨ ) في الصفحة ١٤٥ منه ، قوله إننا نحار في اختيار كلمة عربية مقابلة لكلمة «تین ايجرز» الانكليزية .

وأنا مثله لا اعرف ان العرب استحدثوا قبل اليوم مصطلحاً عربياً يقابل هذا الاصطلاح الانكليزي ويؤدي معناه .

ولقد ردَّ الزميل الاستاذ روكس بن زائد العزيزي في العدد الثاني من المجلة ( عدد تموز ١٩٧٨ ) في الصفحة ١٨٢ ، على مقال الدكتور الاسد ، بان «الارادنة يقولون ، وهم يذكرون الفتاة والفتى في ما بين الحادية عشرة والتاسعة عشرة : بالطبع ! ». .

العامّة يقولون هذا حقاً ؛ فالقضية محلولة بالنسبة الى اللهجة العامية ، لأن هذا اللفظ موجود فيها ، فبما : (ثلاث طعْش - اربع طعْش - السُّنْخ) وليس في الاردن فقط ، بل في كل بلاد الشام ؟ كما ان المصريين لا يختلفون في هذا كثيراً عن الاردنيين ، اذ يقولون : (ثلاث طعْشر - اربع طعْشر .. السُّنْخ) . وأما العربية الفصحى فليس فيها شيء من ذلك ، ولا يُعقل باي حال ان تستقيس من المصطلح العامي الثقيل على اللفظ والسمع . ولعل الاخ العزيزي انت قمَد في ردِّه المداعبة ، ولم يكن جاداً في ما قاله .

وقد خطر لي ان لفظة «عشريون» يمكن ان تؤدي المعنى بدقة ولطف معاً ، قياساً على ما ذكره الدكتور الاسد نفسه في مقاله المشار اليه ، عند تفسيره لقول الشاعر :

**بِنْتُ مَثْرِ لِمْ تَعْنِقْ رَجُلًا مُوَرَّ الْبَدْرُ عَلَى صُورَتِهَا**

فقد علق على ذلك قاتلا : « ان الشاعر لم يقصد الى تحديد من العاشرة ... وانما اراد هذه السن التي تزدهر بين العاشرة والتاسعة عشرة » ( من ١٤٤/١٤٥ ) . وهذا حق ؟ فلي sis حتما ان تعني « العشرة » رقمها وحده ، بل يمكن ان تشتمل بقية الاعداد المركبة . وللهذا يمكن ان نقول ببساطة : « **هَذَا مَنْتَيْ عَشْرِيَّ** — وهذه فتنة عشريّة » ، ونحن نعني من العشرات ، لا السنوات العشر فقط .

اذا جاز هذا — ولست ارى ما يمنع من جوازه — فأن انساب لفظة عربية تقابل « **تِينَ اِيجِرِز** » الانكليزية هي « **الْعَشْرِيُّونَ** » ؟ وهذه لفظة سهلة ، يتقبلها الذوق ، وتدل على معناها دون غموض او تعقيد او جناء .

ومن الممكن ان تقترب احيانا بالوصوف ، فيقال : « **الْغِيَّبَانُ الْعَشْرِيُّونَ** » ، كما ان بقاءها وحدها يكتسي للدلالة على المقصود ، لانه لا يمكن ان ترد الا في جهة تدل على ان المقصود هو الغيّبان والفتیات الذين هم في سن العشرات .

وبالقياس على ذلك يمكن ان يقال **لِمْ هُمْ** في سن العشرينات او الثلاثينيات : ( **الْعَشْرِيَّنِيُّونَ** ، او **الثَّلَاثِينِيُّونَ** ... الخ ) ولمن هم في سن الثمانينات او التسعينات : ( **الثَّمَانِيَّنِيُّونَ** او **التِّسْعِينِيُّونَ** ) . ولعله ليس غريبا على اللفظ والذوق والسمع ان يقال : « **شِيْخَ ثَمَانِيَّ** » او « **شِيْخَ تِسْعِينِيَّ** » ، دون تحديد للثمانين او التسعين من عمره .

\* \* \*

يسى الناعوري

**اقتراح اسم عربي لمحصول الحبوب الجديد المسمى في اللغات الأجنبية :**  
**TRITICALE تريتيكالسي**

تريتيكالسي هو أول محصول للحبوب يوجده الانسان عن طريق تهجين القمح Triticum من الشيلم Secale ؛ وتأخذ الاسم لهذا المحصول الجديد Triticale من المقطع الاول والثاني للاسم العلمي للقمح Triticum ، والثاني والآخر للاسم العلمي للشيلم Secale . ودرج كثيراً من العرب المشتغلين في مجال علوم المحاصيل وتربية النبات على استعمال هذا الاسم الاجنبي . ولقد حاولت منذ مدة ايجاد اسم عربي - يضاف الى لفتنا العربية التي نعتز بها جميعاً - لهذا المحصول الجديد، باستعمال الطريقة نفسها تقريباً التي تؤخذ عنها الاسم الجديد في اللغات الأجنبية . وذلك باخذ بعض المقطاع من كلمة ( قمح ) وكلمة ( شيلم ) وضمّهما الى بعضها البعض .

وإذا ما نظرنا الى كلمة ( قمح ) فانها تتكون في نظري من مقطعين : ( قم ) و ( ح ) ؛ أما كلمة ( شيلم ) فهي تتكون ايضاً من مقطعين اثنين ( شب ) و ( لم ) .

وإذا ما افترضنا ان الاسم العربي الجديد الذي نبحث عنه لهذا المحصول لا بد ان يبدأ بالمقطع الاول من كلمة ( قمح ) او ( شيلم ) ، لأن هذا هو الشيء المنطقي والسليم ، فسان الاحتمالات المتوافرة لدينا عندئذ هي :

١ - قملم ، باستعمال المقطع الاول من كلمة قمح ( قم ) والآخر من كلمة شيلم ( لم ) .

٢ - قمشي ، باستعمال المقطع الاول من كلمة قمح ( قم ) والاول من كلمة شيلم ( شب ) .

٣ - شبيح ، باستعمال المقطع الاول من كلمة شيلم ( شب ) والآخر من كلمة قمح ( ح ) .

٤ - شِيْقَم ، باستعمال المقطع الاول من الكلمة شِبَل ( شِيْ ) والاول من الكلمة تِمَح ( قَمَ ) .

واما ما استعرضنا هذه الاسماء العربية الاربعة المتولدة لدينا والمبنية اعلاه من حيث سهولة النطق بها ووسمها على اذن السامع العربي، ماننا نجد ان :

١ - قَمَلْم : ثقيلة على النطق وغير موسيقية وغير مستساغة للأذن .

٢ - قَمَشِي : ثقيلة على النطق وغير موسيقية وغير مستساغة للأذن .

٣ - شِبَع : خفيفة على النطق وموسيقية ومستساغة ، غير ان لها عبياً كبيراً وهو انه عندما يسألهُنْ طبقها ( بكسر حرف الشين ) يحصل التباس بينها وبين اسم نبات آخر ينمو بِرِيشاً في بعض البلاد العربية وهو : شِبَع ( نكهة ) والشِّبَع ( معرفة ) .

٤ - شِيْقَم : اخف من الكلمة قَمَلْم وقَمَشِي ولها وقع موسيقي، ومستساغة ايضاً ، مع عدم وجود الالتباس بينها وبين اي كلمة عربية اخرى .

وعليه ثان : "شِيْقَم" هو احسن اسم عربي بين هذه الاسماء الاربعة يرشح لحصول الحبوب الجديد تريتيكالي Triticale

د. خيري الصفي

كلية الزراعة / جامعة الفتح

طرابلس / ليبيا



# أَخْبَارِ مُجْمِعَيَّةٍ

## نعي عالم جليل

ينعي رئيس مجمع اللغة العربية الاردني واعضاء  
المجمع زملائهم العالم الجليل المستشرق المجري :

### ال حاج عبد الكري姆 جرمانوس

الذى انتقل الى جوار ربه بعد ان تجاوز الخامسة  
والتسعين من عمره . وكان المرحوم عضوا في مجامع  
القاهرة ودمشق وبغداد، وفي عدّة مجاميع علمية غربية وشرقية.



ال حاج عبد الكرييم جرمانوس  
مع الموده والاجلال  
١٩٧٦

ولإن المجمع الاردني اذ يعرب عن اسفه الشديد لفقد  
هذا العالم الجليل والزميل الكريم ، ليتلقّم بتعازيه الى  
أسرة الفقيد ، والى الحكومة المجرية وجامعة بودابست .  
تفيد اللـه بواسع رحمته ورضوانه .

وأنا للـه وانا اليه راجعون .